الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَىَ رَبّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُواْ فِيَ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا, ولا يَخْشَوْن عقابنا, هلا أنزل الله علينا ملائكة, فتخبرَنا أن محمدا محقّ فيما يقول, وأن ما جاءنا به صدق, أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك, كما قال جلّ ثناؤه مخبرا عنهم: وقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا ثم قال بعد: أوْ تَأْتِيَ باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً يقول الله: لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم, وتعظموا, وَعَتَوْا عُتُوّا كَبِيرا يقول: وتجاوزوا في الاستكبار بقيلهم ذلك حدّه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19963ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال كفار قريش: لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلائِكَةُ فيخبرونا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم, لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا في أنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّا لأن «عتا» من ذوات الواو, فأخرج مصدره على الأصل بالواو. وقيل في سورة مريم: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاوإنما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر في هذا الوجه جمع الأسماء كقولهم: قعد قعودا, وهم قوم قعود, فلما كان ذلك كذلك, وكان العاتي يجمع عتيا بناء على الواحد, جعل مصدره أحيانا موافقا لجمعه, وأحيانا مردودا إلى أصله.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَىَ يَوْمَئِذٍ لّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مّحْجُوراً }.

يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: لَولاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ أوْ نَرَى رَبّنَا بتصديق محمد الملائكة, فلا بشرى لهم يومئذٍ بخير. يقولُونَ حِجْرا مَحْجُورا يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا, حراما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله ومن الحِجر قول المتلمّس:

حَنّتْ إلى نَخْلَةَ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَاحِجْرٌ حَرَامٌ ألا تِلْكَ الدّهارِيسُ

ومنه قولهم: حَجَر القاضي على فلان, وحَجَر فلان على أهله ومنه حِجر الكعبة, لأنه لا يدخل إليه في الطواف, وإنما يطاف من ورائه ومنه قول الآخر.

فَهَمَمْتُ أنْ أَلْقَى إلَيْها مَحْجَرافَلَمِثْلُها يُلْقَى إلَيْهِ المَحْجَرُ

أي مثلها يُركب منه المَحْرَمُ.

واختلف أهل التأويل في المخبر عنهم بقوله وَيَقُولُونَ حِجْرا مَحْجُورا ومن قائلوه؟ فقال بعضهم قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

19964ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا أبو أسامة, عن الأجلح, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم, وسأله رجل عن قول الله: وَيَقُولُونَ حِجْرا مَحْجُورا قال: تقول الملائكة: حراما محرما أن تكون لكم البُشرى.

19965ـ حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: ثني أبي, عن جدي, عن الحسن, عن قَتادة: وَيَقُولُونَ حِجْرا مَحْجُورا قال: هي كلمة كانت العرب تقولها, كان الرجل إذا نزل به شدّة قال: حجرا, يقول: حراما محرّما.

19966ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرا مَحْجُورا لما جاءت زلازل الساعة, فكان من زلازلها أن السماء انشقّت فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ, وَالملَكُ عَلى أرْجَائِهَا على شفة كل شيء تشقّق من السماء, فذلك قول: يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ: يعني الملائكة تقول للمجرمين: حراما محرّما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا.

19967ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ قال: يوم القيامة وَيَقُولُونَ حِجْرا مَحْجُورا قال: عوذا معاذا.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, وزاد فيه: الملائكة تقوله.

وقال آخرون: ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة. ذكر من قال ذلك:

19968ـ حدثنا القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرا مَحْجُورا قال ابن جُرَيج: كانت العرب إذا كرهوا شيئا قالوا: حجرا, فقالوا حين عاينوا الملائكة. قال ابن جُرَيج: قال مجاهد: حِجْرا: عوذا, يستعيذون من الملائكة.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحِجْر هو الحرام, فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البُشرى عليهم حرام. وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة, وليست بتحريم. ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم, فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة.

الآية : 23 - 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَدِمْنَآ إِلَىَ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مّنثُوراً * أَصْحَابُ الْجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: وَقَدِمْنَا وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون مِنْ عَمَلٍ ومنه قول الراجز:

وَقَدِمَ الخَوَارِجُ الضلاّلُإلى عِبادِ رَبّهِمْ وَقالُواإنّ دِماءَكُمْ لَنا حَلالُ

يعني بقوله: قدم: عمد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19969ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَقَدِمْنَا قال: عَمَدنا.

19970ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله وقوله: فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورا يقول: فجعلناه باطلاً, لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان. والهباء: هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوّة يحسبه الناظر غبارا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه, ولا يرى ذلك في الظلّ.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

19971ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن عكرِمة أنه قال في هذه الآية هَباءً مَنْثُورا قال: الغبار الذي يكون في الشمس.

19972ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورا قال: الشعاع في كوّة أحدهم إن ذهب يقبض عليه لم يستطع.

19973ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: هَباءً مَنْثُورا قال: شعاع الشمس من الكوّة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله هَباءً مَنْثورا قال: ما رأيت شيئا يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوّة, فهو الهباء.

وقال آخرون: بل هو ما تسفيه الرياح من التراب, وتذروه من حطام الأشجار, ونحو ذلك. ذكر من قال ذلك:

19974ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: هَباءً مَنْثُورا قال: ما تسفي الريح وتَبُثّهُ.

19975ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا عن قَتادة هَباءً مَنْثُورا قال: هو ما تذرو الريح من حطام هذا الشجر.

19976ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن يزيد, في قوله: هَباءً مَنْثُورا قال: الهباء: الغبار.

وقال آخرون: هو الماء المُهراق. ذكر من قال ذلك:

19975حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: هَباءً مَنْثُورا يقال: الماء المهراق.

وقوله جلّ ثناؤه: أَصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً يقول تعالى ذكره: أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرّا, وهو الموضع الذي يستقرّون فيه من منازلهم في الجنة من مستقرّ هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم, وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا, وأحسن منهم فيها مقيلاً.

فإن قال قائل: وهل في الجنة قائلة, فيقال وأَحْسَنُ مَقِيلاً فيها؟ قيل: معنى ذلك: وأحسن فيها قرارا في أوقات قائلتهم في الدنيا, وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمرّ فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوّله

إلى وقت القائلة, حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة, فذلك معنى قوله: وأحْسَنُ مَقِيلاً ذكر الرواية عمن قال ذلك:

19977ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّا وأحْسَنُ مَقِيلاً يقول: قالوا في الغرف في الجنة, وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة, وذلك الحساب اليسير, وهو مثل قوله: فَأمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرا, وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرُورا.

19978ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, في قوله: أصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّا وأحْسَنُ مَقِيلاً قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار, فيقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.

19979ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج أصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّا وَأحْسَنُ مَقِيلاً قال: لم ينتصف النهار حتى يقضي الله بينهم, فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. قال: وفي قراءة ابن مسعود: ثُمّ إنّ مَقِيلَهُمْ لإلَى الجَحِيم.

19980ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّا وأحْسَنُ مَقِيلاً قال: قال ابن عباس: كان الحساب من ذلك في أوّله, وقال القوم حين قالوا في منازلهم من الجنة, وقرأ أصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّا وأحْسَنُ مَقِيلاً.

19981ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصوّاف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضي على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس, وأنهم يقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس, فذلك قول الله: أصحَابُ الجَنّةَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّا وأحْسَنُ مَقِيلاً.

قال أبو جعفر: وإنما قلنا: معنى ذلك: خير مستقرا في الجنة منهم في الدنيا, لأن الله تعالى ذكره عَمّ بقوله: أصحَابُ الجَنّةِ يَوْمَئِذٍ وأحسَنُ مَقِيلاً, جميع أحوال الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها, والقائلة من جميع أحوال أهل النار, ولم يخصّ بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا, ولا في الدنيا دون الآخرة, فالواجب أن يعمّ كما عمّ ربنا جلّ ثناؤه, فيقال: أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرّا في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة, وأحسن منهم مقيلاً. وإذا كان ذلك معناه, صحّ فساد قول من توهّم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله: خَيْرٌ مُسْتَقَرّا على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم: هذا خير من هذا, وهذا أحسن من هذا.

الآية : 25 -26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقّقُ السّمَآءُ بِالْغَمَامِ وَنُزّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنزِيلاً * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقّ لِلرّحْمَـنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً }.

اختلف القرّاء في قراءة قوله تَشَقّقُ فقرأته عامّة قرّاء الحجاز: «وَيَوْمَ تَشّقّقُ» بتشديد الشين بمعنى: تَتَشقق, فأدغموا إحدى التاءين في الشين فشدّدوها, كما قال: لا يسّمّعُونَ إلى المَلإِ الأعْلَى.

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: وَيَوْمَ تَشَقّقُ بتخفيف الشين والاجتزاء بإحدى التاءين من الأخرى.

والقول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وتأويل الكلام: ويوم تُشقق السماء عن الغمام. وقيل: إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل, وجعلت الباء, في قوله: بالغَمامِ مكان «عن» كما تقول: رميت عن القوس وبالقوس, وعلى القوس, بمعنى واحد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19982ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: وَيَوْمَ تشَقّقُ السّماءُ بالغَمامِ قال: هو الذي قال: فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ الذي يأتي الله فيه يوم القيامة, ولم يكن في تلك قطّ إلا لبني إسرائيل. قال ابن جُرَيج: الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة.

19983ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن عبد الجليل, عن أبي حازم, عن عبد الله بن عمرو قال: يهبط حين يهبط, وبينه وبين خلقه سبعون حجابا, منها النور والظلمة والماء, فيصوّت الماء صوتا تنخلع له القلوب.

19984ـ قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرمة في قوله: يَأْتِيَهُمُ اللّهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةُ يقول: والملائكة حوله.

19985ـ قال: ثني حجاج, عن مبارك بن فضالة, عن عليّ بن زيد بن جُدعان, عن يوسف بن مهران, أنه سمع ابن عباس يقول: إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجنّ والإنس, وهو يوم التلاق, يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض, فيقول أهل الأرض: جاء ربنا, فيقولون: لم يجىء وهو آت, ثم تَتَشقق السماء الثانية, ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة, فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجنّ والإنس. قال: فتنزل الملائكة الكَرُوبيّون, ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة, وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة, قال: وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه, وكلّ ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول: سبحان الملك القدوس, وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القباء, والعرش فوق ذلك, ثم وقف.

19986ـ قال: ثنا الحسن, قال: حدثنا جعفر بن سليمان, عن هارون بن وثاب, عن شهر بن حوشب, قال: حملة العرش ثمانية, فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهمّ وبحمدك, لك الحمد على حلمك بعد علمك. وأربعة يقولون: سبحانك اللهمّ وبحمدك, لك الحمد على عفوك بعد قدرتك.

19987ـ قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, قال: إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم, فوقهم شخصت إليه أبصارهم, ورجفت كُلاهم في أجوافهم. قال: وطارت قلوبهم من مقرّها في صدورهم إلى حناجرهم.

19988ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَيَوْمَ تَشّقّقُ السّماءُ بالغَمامِ ونُزّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلاً يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام, وتنزل الملائكة تنزيلاً.

وقوله: وَنُزّلَ المَلائكَةُ تنزِيلاً يقول: ونزّل الملائكة إلى الأرض تنزيلاً الـمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ للرّحْمَنِ يقول: الملك الحقّ يومئذ خالص للرحمن دون كلّ من سواه, وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه. وقد كان في الدينا ملوك, فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار وكانَ يَوْما عَلى الكافِرِينَ عَسِيرا يقول: وكان يومُ تشقّق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله عسيرا, يعني صعبا شديدا.

الآية : 27 - 29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضّ الظّالِمُ عَلَىَ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتّخَذْتُ مَعَ الرّسُولِ سَبِيلاً * يَوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لّقَدْ أَضَلّنِي عَنِ الذّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً }.

يقول تعالى ذكره: ويوم يعضّ الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه, يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً, يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله. وقوله يا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتّخِذْ فُلانا خَلِيلاً اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله:فُلاَنا, فقال بعضهم: عني بالظالم: عقبة بن أبي مُعَيط, لأنه ارتدّ بعد إسلامه, طلبا لرضا أبيّ بن خلف, وقالوا: فلان هو أبيّ. ذكر من قال ذلك:

19989ـ حدثنا القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني حجاج عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس قال: كان أبيّ بن خلف يحضر النبيّ صلى الله عليه وسلم, فزجره عقبة بن أبي معيط, فنزل: وَيَوْمَ يَعَضّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتّخَذْتُ مَعَ الرّسُولِ سَبِيلاً... إلى قوله خَذُولاً قال: الظالم: عقبة, وفلانا خليلاً: أبيّ بن خلف.

19990ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن الشعبيّ في قوله: لَيْتَنِي لَمْ أَتّخِذْ فُلانا خَلِيلاً قال: كان عقبة بن أبي معيط خليلاً لأمية بن خلف, فأسلم عقبة, فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعتَ محمدا, فكفر وهو الذي قال: لَيْتَنِي لَمْ أَتّخِذْ فُلانا خَلِيلاً.

19991ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن قَتادة وعثمان الجزري, عن مقسم في قوله: وَيَوْمَ يَعَضّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُول يا لَيْتَنِي اتّخَذْتُ مَعَ الرّسُول سَبِيلاً قال: اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف, وكانا خليلين, فقال أحدهما لصاحبه: بلغني أنك أتيت محمدا فاستمعت منه, والله لا أرضى عنك حتى تتفل في وجهه وتكذّبه, فلم يسلطه الله على ذلك, فقتل عقبة يوم بدر صبرا. وأما أبيّ بن خلف فقتله النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال, وهما اللذان أنزل الله فيهما: وَيَوْمَ يَعَضّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتّخَذْتُ مَعَ الرّسُولِ سَبِيلاً.

19992ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, وَيَوْمَ يَعَضّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ... إلى

قوله: فُلانا خَـلِـيلاً قال: هو أُبـيّ بن خـلف, كان يحضر النبـي صلى الله عليه وسلم, فزجره عقبة بن أبـي معيط.
19993ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَيَوْمَ يَعَضّ الظّالِـمُ عَلــى يَـدَيْهِ قـال: عقبـة بن أبـي معيط دعا مـجلسا فـيهم النبـيّ صلى الله عليه وسلم لطعام, فـأبى النبـيّ صلى الله عليه وسلم أن يأكل, وقال: «لا آكُل حتــى تَشْـهَدَ أنْ لا إلـهَ إلا اللّهُ, وأنّ مُـحَمّدا رَسُولُ الله», فقال: ما أنـت بآكـل حتــى أشـهد؟ قـال: «نعم», قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن مـحمدا رسول الله. فلقـيه أُمية بن خـلف فقال: صبوت: فقال: إن أخاك علـى ما تعلـم, ولكنـي صـنعت طعامـا فأبى أن يأكل حتـى أقول ذلك, فقلته, ولـيس من نفسي.
وقال آخرون: عنـي بفلان: الشيطان. ذكر من قال ذلك:
19994ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: فُلانا خَـلِـيلاً قال: الشيطان.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
وقوله لَقَدْ أضَلّنِـي عَنِ الذّكْرِ بَعْدَ إذْ جاءَنِـي يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن هذا النادم علـى ما سلف منه فـي الدنـيا, من معصية ربـه فــي طاعـة خـلـيــله: لقد أضلنـي عن الإيـمان بـالقرآن, وهو الذكر, بعد إذ جاءنـي مــن عنـد اللــه, فصدّنـي عنه. يقول الله: وكانَ الشّيْطانُ للإنْسانِ خَذُولاً يقول: مسلّما لـما يَنزل به من البلاء غير منقذه ولا منـجيه.

الآية : 30 - 31

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالَ الرّسُولُ يَرَبّ إِنّ قَوْمِي اتّخَـذُواْ هَــذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّاً مّنَ الْمُجْرِمِيـنَ وَكَفَـىَ بِرَبّـكَ هَادِياً وَنَصِيراً }.
يقول تعالـى ذكره: وقال الرسول يوم يعضّ الظالـم علـى يديه: يا ربّ إن قـومي الـذين بعثتنــي إلــيهم لأدعـوهم إلــى توحيـدك اتــخذوا هـذا القـرآن مهجورا.
واختلف أهل التأويـل فـي معنى اتـخاذهم القرآن مهجورا, فقال بعضـهم: كان اتـخاذهم ذلك هُجرا, قولهم فـيه السيىء من القول, وزعمهم أنه سحر, وأنه شعر. ذكر من قال ذلك:
19995ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مــجاهد قـوله: اتّــخَذُوا هَـذَا القُـرآنَ مَهْجُـورا ق ال: يهجُرون فـيه بـالقول, يقولون: هو سحر.
19996ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله: وَقـالَ الرّسُـولُ... الآيـة: يهجـرون فــيه بــالقول. قال مـجاهد: وقوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِرا تَهْجُرُونَ قال: مسـتكبرين بــالبلد سامرا مـجالس تهجرون, قالَ: بـالقول السيىء فـي القرآن غير الـحقّ.

19997ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال, حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, في وقول الله: إنّ قَوْمي اتّخَذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُورا قال: قالوا فيه غير الحقّ ألم تر إلى المريض إذا هذي قال غير الحقّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له. ذكر من قال ذلك:

19998ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَقالَ الرّسُولُ يا رَبّ إنّ قَوْمي اتّخَذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُورا لا يريدون أن يسمعوه, وإن دعوا إلى الله قالوا لا. وقرأ: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنأوْنَ عَنْهُ قال: ينهون عنه, ويبعدون عنه.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بتأويل ذلك, وذلك أن الله أخبر عنهم قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه, وذلك هجرهم إياه.

وقوله: وكَذلكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّا مِنَ المُجْرِمِينَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وكما جعلنا لكَ يا محمد أعداء من مشركي قومك, كذلك جعلنا لكلّ م ن نبأناه من قبلك عدوّا م ن مشركي قومه, فلم تخصص بذلك من بينهم. يقول: فاصبر لِما نالك منهم كما صبر مِن قبلك أولو العزم من رسلنا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19999ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن عباس وكَذلكَ جَعَلْنا لكُلّ نَبِيّ عَدُوّا مِنَ المُجْرِمِينَ قال: يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوّا من المجرمين كما جعل لمن قبله.

وقوله: وكَفَى برَبّكَ هادِيا وَنَصِيرا يقول تعالى ذكره لنبيه: وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك إلى الحقّ, ويبصرك الرشد, ونصيرا: يقول: ناصرا لك على أعدائك, يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين, فإني ناصرك عليهم, فاصبر لأمري, وامض لتبليغ رسالتي إليهم.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُـزّلَ عَلَيْـهِ الْقُـرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتّلْنَاهُ تَرْتِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا بالله لَوْلا نَزّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ يقول: هلا نزّل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟, قال الله: كَذلكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ تنزيله عليك الآية بعد الآية, والشيء بعد الشيء, لنثبت به فؤادك نزلناه. ذكر من قال ذلك:

20000ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذلكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتّلْناه تَرْتِيلاً قال: كان الله ينزل عليه الآية, فإذا علمها نبيّ الله نزلت آية أخرى, ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب, ويثبت به فؤاده.

20001ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, ع ن ابن جُرَيج, قوله: وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كما أنزلت التوراة على موسى, قال: كذلكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ قال: كان القرآن

ينزّل عليه جوابا لقولهم: ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحقّ, ويعني بقوله: لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك, ونشجعك به.

وقوله وَرَتّلْناهُ تَرْتِيلاً يقول: وشيئا بعد شيء علمناكَهُ حتى تحفظنه. والترتيل في القراءة: الترسل والتثبت.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20002ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, في قوله: وَرَتّلْناهُ تَرتِيلاً قال: نزل متفرّقا.

20003ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: وَرَتّلْناهُ تَرْتِيلاً قال: كان ينزّل آية وآيتين وآيات جوابا لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم, وردّا عن النبيّ فيما يتكلمون به. وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة:

20004ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وَرَتّلْناهُ تَرْتيلاً قال: كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين, ومات النبيّ صلى الله عليه وسلم لثنتين أو لثلاث وستين.

وقال آخرون: معنى الترتيل: التبيين والتفسير. ذكر من قال ذلك:

20005ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَرَتّلْناهُ تَرْتيلاً قال: فسرناه تفسيرا, وقرأ: وَرَتّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً.

الآية : 33 - 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْنَاكَ بِالْحَقّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً * الّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىَ وُجُوهِهِمْ إِلَىَ جَهَنّمَ أُوْلَـئِكَ شَرّ مّكَاناً وَأَضَلّ سَبِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحقّ, بما نبطل به ما جاءوا به وأحسن منه تفسيرا. كما:

20006ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج وَلا يأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاّ جِئْناكَ بالحَقّ قال: الكتاب بما تردّ به ما جاءوا به من الأمثال التي جاءوا بها وأحسن تفسيرا.

وعني بقوله وأَحْسَنَ تَفْسِيرا: وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20007ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وأَحْسَنَ تَفْسيرا يقول: أحسن تفصيلاً.

20008ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وأَحْسَنَ تَفْسِيرا قال: بيانا.

20009ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وأَحْسَنَ تَفْسِيرا يقول: تفصيلاً.

وقوله: الّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمَ أُوَلَئِكَ شَرّ مَكانا يقول تعالى ذكره لنبيه: هؤلاء المشركون يا محمد, القَائلون لك: لَوْلا نُزّلَ هَذَا القُرآنُ جُمْلَةً واحِدة ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله, الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم, فيساقون إلى جهنم شرّ مستقرّا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة, وأضلّ منهم في الدنيا طريقا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20010ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد الّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنّمَ قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أُولَئِكَ شَرّ مَكانا من أهل الجنة وأضَلّ سَبِيلاً قال: طريقا.
20011ـ حدثني محمد بن يحيى الأزدي, قال: حدثنا الحسين بن محمد, قال: حدثنا شيبان, عن قَتادة, قوله الّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنّمَ قال: حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «الّذِي أمْشاهُ عَلى رِجْلَيْهِ قادِرٌ أنْ يُمْشِيَهُ عَلى وَجْهه».
حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو, قال: حدثنا خلاد بن يحيى الكوفي, قال: حدثنا سفيان الثوري, عن إسماعيل بن أبي خالد, قال: أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: كيف يحشرهم على وجوههم؟ قال: «الّذِي يَحْشُرُهُمْ عَلى أرْجُلِهِمْ قادِرٌ بأنْ يَحْشُرَهُمْ عَلى وُجُوهِهِمْ».
حدثنا عبيد بن محمد الورّاق, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي داود, عن أنس بن مالك, قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يُحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال: «إنّ الّذِي أمْشاهُمْ عَلى أقْدامِهِمْ قادِرٌ عَلى أنْ يُمْشِيَهُمْ عَلى وُجُوهِهِمْ».
20012ـ حدثني أحمد بن المقدام قال: حدثنا حزم, قال: سمعت الحسن يقول: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: الّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنّمَ فقالوا: يا نبي كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «أرأيْتَ الّذِي أمْشاهُمْ عَلى أقْدامِهِمْ ألَيْسَ قادِرا أنْ يُمْشِيَهُمْ عَلى وُجوهِهِم».
20013ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا منصور بن زاذان, عن علي بن زيد بن جدعان, عن أبي خالد, عن أبي هريرة, قال: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدوابّ, وصنف على أقدامهم, وصنف على وجوههم», فقيل: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم, قادر أن يمشيهم على وجوههم».

الآية : 35 - 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً * فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا فَدَمّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله, وتكذيبهم رسوله ويخوّفهم من حلول نقمته بهم, نظير الذي يحلّ بمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها: وَلَقَدْ آتَيْنا يا محمد مُوسَى الكِتابَ يعني التوراة, كالذي آتيناك من الفرقان وَجَعَلْنا مَعَهُ أخَاهُ هارُونَ وَزِيرا يعني: معينا وظهيرا فقُلْنا اذْهَبا إلى القَوْمِ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا يقول: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذي كذّبوا بإعلامنا

وأدلتنا, فدمرناهم تدميرا. وفـي الكلام متروك استغنـي بدلالـة مـا ذكـر مـن ذكره وهو: فذهبـا فكذبوهما, فدمرناهم حينئذٍ.

الآية : 37

القول فـي تأويـل قولهِ تعالــى: {وَقَـوْمَ نُـوحٍ لّمّـا كَـذّبُواْ الرّسُـلَ أَغْرَقْنَـاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً }.

يقول تعالـى ذكره: وقوم نوح لـما كذّبوا رسلنا, وردّوا علـيهم ما جاءوهم به من الــحقّ, أغرقنـاهم بـالطوفــان وَجَعَلْنـاهُمْ للنّـاس آيَـةً يقـول: وجعلنـا تغريقنا إياهم وإهلاكنا عظة وعـبرة للنـاس يعتـبرون بهـا وأعْتَـدْنا للظّالِــمِينَ عَذَابـا أَلِـيـما يقول: وأعـددنا لهـم مـن الكـافرين بـالله فــي الآخـرة عذابـا أليـما, سوى الذي حلّ بهم من عاجل العذاب فـي الدنـيا.

الآية : 38 - 39

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرّسّ وَقُرُونـاً بَيْـنَ ذَلِكَ كَثِيراً * وَكُلاّ ضَرَبْنَا لَهُ الأمْثَالَ وَكُلاّ تَبّرْنَا تَتْبِيراً }.

يقول تعالـى ذكره: ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرسّ.

واختلف أهل التأويـل فـي أصحاب الرسّ, فقال بعضهم: أصـحاب الـرسّ من ثمود. ذكر من قال ذلك:

20014ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس وأصحَابَ الرّسّ قال: قرية من ثمود.

وقال آخرون: بل هي قرية من الـيـمامة يقال لها الفلْج ذكر من قال ذلك:

20015ـ حدثنـي يونس بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن وهب, قال: حدثنا جرير بن حازم, قال: قال قتادة: الرسّ: قرية من الـيـمامة يقال لها الفلْج.

20016ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قال عكرِمة: أصحاب الرسّ بفلـج هم أصحاب يس.

وقال آخرون: هم قوم رسّوا نبـيهم فـي بئر. ذكر من قال ذلك:

20017ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن أبـي بكر, عن عكرِمة, قال: كان الرسّ بئرا رسّوا فـيها نبـيهم.

وقال آخرون: هي بئر كانت تسمى الرسّ. ذكر من قال ذلك:

20018ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, وأصحَابَ الرّسّ قـال: هـي بئـر كـانت تسمى الرّسّ.

20019ـ حدثنـي مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا عبـيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيـل, عن أبـي يحيى عن مـجاهد فـي قوله: «وأصـحَابَ الـرّسّ» قال: الرّسّ بئر كان علـيها قوم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك, قول من قال: هم قوم كانوا علـى بئر, وذلك أن الرّسّ فـي كلام العـرب كـلّ مــحفور مثـل الـبئر والقـبر ونـحو ذلك ومنه قول الشاعر:

سَبَقْتَ إلـى فَرَطٍ بـاهِلِتَنابِلَةً يَحْفُرُونَ الرّساسا

يريد أنهم يحفرون الـمعادن, ولا أعلـم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة, ذكرهم الله فـي كتابه إلا أصحاب الأخدود, فإن يكونوا هم الـمعنـيــين بقـوله وأصـحَابَ الـرّسّ فإنـا سـنذكر خـبرهم إن شـاء اللـه إذا انتهينـا إلــى سـورة البروج, وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا, إلا ما جاء مـن جملـة الــخبر عنهم أنهم قوم رَسّوا نبـيهم فـي حفرة. إلا ما:

20020ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن كعب القرظي, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ أوّلَ النّاسِ يَدخلُ الجَنّةَ يَوْمَ القِيامَةِ العَبْدُ الأَسْوَدُ». وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن مِنْ أهلها أحد إلا ذلك الأسود, ثم إن أهل القرية عدوا على النبيّ عليه السلام, فحفورا له بئرا فألقوه فيها, ثم أطبقوا عليه بحجرٍ ضخم, قال: وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره, ثم يأتي بحطبه فيبيعه, فيشتري به طعاما وشرابا, ثم يأتي به إلى ذلك البئر, فيرفع تلك الصخرة, فيعينه الله عليها, فيدلي إليه طعامه وشرابه, ثم يعيدها كما كانت, قال: فكان كذلك ما شاء الله أن يكون. ثم إنه ذهب يوما يحتطب, كما كان يصنع, فجمع حطبه, وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سِنَة, فاضطجع فنام, فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما. ثم إنه هبّ فتمطى, فتحوّل لشقة الآخر, فاضطجع, فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى. ثم إنه هبّ فاحتمل حزمته, ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار, فجاء إلى القرية فباع حزمته, ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع, ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتمسه فلم يجده, وقد كان بدا لقومه فيه بداء, فاستخرجوه وآمنوا به وصدّقوه, قال: فكان النبيّ عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود: ما فعل 0فيقولون: ما ندري, حتى قبض الله النبيّ, فأهبّ الله الأسود من نومته بعد ذلك, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ ذلكَ الأَسْوَدَ لأَوّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنّةَ» غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته, فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله: وأصحَابَ الرّسّ لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دمرهم تدميرا, إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به, فيكون ذلك وجها. وَقُرُونا بينَ ذلكَ كَثِيرا يقول: ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سمّيناها لكم أمما كثيرة. كما:

20021ـ حدثنا الحسن بن شبيب, قال: حدثنا خلف بن خليفة, عن جعفر بن عليّ بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خلفت بالمدينة عمي ممن يفتي على أن القرن سبعون سنة, وكان عمه عبيد الله بن أبي رافع كاتب عليّ رضي الله عنه.

20022ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن الحجاج, عن الحكم, عن إبراهيم قال: القرن أربعون سنة.

وقوله وكُلاً ضَرَبْنا لَهُ الأَمْثالَ يقول تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي أهلكناها التي سميناها لكم أو لم نسمها ضربنا له الأمثال, يقول: مثلنا له الأمثال ونبهناها على حججنا عليها, وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ, فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20023ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: وكُلاً ضَرَبْنا لَهُ الأَمْثالَ قال: كلّ قد أعذر الله إليه, ثم انتقم منه.

وقوله: وكُلاّ تَبّرْنَا تَتْبِيرا يقول تعالى ذكره: وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم, فدمرناهم بالعذاب إبادة, وأهلكناهم جميعا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20024ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: وكُلاًّ تَبّرْنا تَتْبِيرا قال: تبر الله كلاً بعذاب تتبيرا.
20025ـ حدثنا أبو كريب قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد بن جُبير وكُلاًّ تَبّرْنا تَتْبِيرا قال: تتبير بالنبطية.
20026ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قوله: وكُلاًّ تَبّرْنا تَتْبِيرا قال: بالعذاب.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الّتِيَ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً }.
يقول تعالى ذكره: ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم, قرية قوم لوط. ومطر السوء: هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها. كما:
20027ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج وَلَقَدْ أتَوْا عَلى القَرْيَةِ التي أمْطِرَتْ مَطَر السّوءِ قال: حجارة, وهي قرية قوم لوط, واسمها سدوم. قال ابن عباس: خمس قريّات, فأهلك الله أربعة, وبقيت الخامسة, واسمها صعوة. لم تهلك صعوة. كان أهلها لا يعملون ذلك العمل, وكانت سدوم أعظمها, وهي التي نزل بها لوط, ومنها بعث. وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينادي نصيحة لهم: يا سدوم, يوم لكم من الله, أنهاكم أن تعرّضوا لعقوبة الله, زعموا أن لوطا ابن أخي إبراهيم صلوات الله عليهما.
وقوله: أفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها يقول جلّ ثناؤه: أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية, وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم, فيعتبروا ويتذكروا, فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم بَلْ كَانُوا لا يَرَجُونَ نُشُورا يقول تعالى ذكره: ما كذّبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله, لأنهم لم يكونوا رأوا ما حلّ بالقرية التي وصفت, ولكنهم كذّبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات, يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب, ولا يؤمنون بقيام الساعة, فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20028ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج أفَلَمْ يكُونُوا يَرَوْنَها, بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورا: بعثا.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتّخِذُونَكَ إِلاّ هُزُواً أَهَـَذَا الّذِي بَعَثَ اللّهُ رَسُولاً }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم إنْ يَتّخِذُونَكَ إلاّ هُزُوا يقول: ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك, يقولون: أهذا الّذِي بَعثَ اللّهُ إلينا رَسُولاً من بين خلقه.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن كَادَ لَيُضِلّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلّ سَبِيلاً }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم يقولون إذا رأوه: قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها, فيصدّنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها, وثبوتنا على عبادتها. وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العذَابَ يقول جلّ ثناؤه: سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حلّ بهم على عبادتهم الآلهة مَنْ أضَلّ سَبِيلاً يقول: من الراكب غير طريق الهدى, والسالك سبيل الردى أنت أوهم. وبنحو ما قلنا في تأويل قوله لَوْلا أن صَبرْنا عَلَيْها قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20029ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج إنْ كادَ لَيُضِلّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أنْ صَبرْنا عَلَيْها قال: ثبتنا عليها.

الآية : 43 - 44

القول في تأويل قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاّ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ سَبِيلاً }.

يعني تعالى ذكره: أرَأيْتَ يا محمد مَنِ اتّخَذَ إلَهَهُ شهوتَه التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر, فإذا رأى أحسن منه رمى به, وأخذ الآخر يعبده, فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه فلذلك قال جلّ ثناؤه أرأيْتَ مَنَ اتّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ, أفأنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً يقول تعالى ذكره: أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله؟ أم تَحْسبُ يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين يَسْمعُونَ ما يُتلى عليهم, فيعون أوْ يَعْقِلُونَ ما يعاينون من حجج الله, فيفهمون؟ إنْ هُمْ إلاّ كالأنْعامِ يقول: ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها, ولا تفقه, بل هم من البهائم أضلّ سبيلاً لأن البهائم تهتدي لمراعيها, وتنقاد لأربابها, وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم, ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم, بل يكفرونها, ويعصون من خلقهم وبرأهم.

الآية : 45 - 46

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَىَ رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمّ جَعَلْنَا الشّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً * ثُمّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً }.

يقول تعالى ذكره: ألَمْ تَرَ يا محمد كَيْفَ مَدّ ربك الظّلّ, وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20030ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أَلَمْ تَرَ إلى رَبّك كَيْفَ مَدّ الظّلّ يقول: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ قال: مدّه ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس.

20031ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جُبير, في قوله ألَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا قال: الظلّ: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

20032ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا أبو محصن, عن حصين, عن أبي مالك, قال أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ قال: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

20033ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله كَيْفَ مَدّ الظّلّ قال: ظلّ الغداة قبل أن تطلع الشمس.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: الظلّ: ظلّ الغداة.

20034ـ قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرِمة, قوله: أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ قال: مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

20035ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ يعني من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس.

قوله: وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا يقول: ولو شاء لجعله دائما لا يزول, ممدودا لا تذهبه الشمس, ولا تنقصه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20036ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا يقول: دائما.

20037ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا قال: لا تصيبه الشمس ولا يزول.

حدثنا القاسم: قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا قال: لا يزول.

20038ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ولَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا قال: دائما لا يزول.

وقوله ثُمّ جَعَلْنا الشّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً يقول جلّ ثناؤه: ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه, أنه خلْق من خلق ربكم, يوجده إذا شاء, ويفنيه إذا أراد والهاء في قوله «عليه» من ذكر الظلّ. ومعناه: ثم جعلنا الشمس على الظلّ دليلاً. قيل: معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء, إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها, نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض والبارد بالحارّ, وما أشبه ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20039ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله ثُمّ جَعَلْنا الشّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً يقول: طلوع الشمس.

20040ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ثُمّ جَعَلْنَا الشّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً قال: تحويه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

20041ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: ثُمّ جَعَلْنا الشّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً قال: أخرجت ذلك الظلّ فذهبت به.

وقوله: ثُمّ قَبَضْناهُ إلَيْنا قَبْضا يَسِيرا يقول تعالى ذكره: ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظلّ إلينا قبضا خفيا سريعا بالفيء الذي نأتي به بالعشيّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20042ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ثُمّ قَبَضْناهُ إلَيْنَا قَبْضا يَسِيرا قال: حوى الشمس الظلّ. وقيل: إن الهاء التي في قوله ثُمّ قَبَضْناهُ إلَيْنا عائدة على الظلّ, وإن معنى الكلام: ثم قبضنا الظلّ إلينا بعد غروب الشمس وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظلّ الممدود, قالوا: وذلك وقت قبضه.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله يَسِيرا فقال بعضهم: معناه: سريعا. ذكر من قال ذلك:

20043ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ قَبَضْناهُ إلَيْنا قَبْضا يَسِيرا يقول: سريعا.

وقال آخرون: بل معناه: قبضا خفيا. ذكر من قال ذلك:

20044ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد العزيز بن رفيع, عن مجاهد ثُمّ قَبَضْناهُ إلَيْنا قَبْضا يَسِيرا قال: خفيا.

20045ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج قَبْضا يَسِيرا قال: خفيا, قال: إن ما بين الشمس والظلّ مثل الخيط, واليسير الفعيل من اليسر, وهو السهل الهيّن في كلام العرب. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك, يتوجه لما روي عن ابن عباس ومجاهد, لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء. وقيل إنما قيل ثُمّ قَبَضْناهُ إلَيْنا قبْضا يَسِيرا لأن الظلّ بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة, ولا يقبل الظلام كله جملة, وإنما يقبض ذلك الظلّ قبضا خفيا, شيئا بعد شيء ويعقب كل جزء منه يقبضه, جزء من الظلام.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللّيْلَ لِبَاساً وَالنّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النّهَارَ نُشُوراً }.

يقول تعالى ذكره: الذي مدّ الظلّ ثم جعل الشمس عليه دليلاً, هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباسا. وإنما قال جلّ ثناؤه: جَعَلَ لَكُمُ اللّيْلَ لِباسا لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون فصار لهم سترا يستترون به, كما يستترون بالثياب التي يُكسونها. وقوله والنّوْمَ سُباتا يقول: وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم, وتهدأ به جوارحكم. وقوله وَجَعَلَ النّهارَ نُشُورا يقول تعالى ذكره: وجعل النهار يقظة وحياة, من قولهم: نَشر الميتُ, كما قال الأعشى:

حتى يقُولَ النّاسُ مِمّا رأَوْايا عَجَبا لِلْمَيّتِ النّاشِرِ

ومنه قول الله: لا يَـمْلِكُونَ مَوْتا وَلا حَياةً وَلا نُشُورا. وكـان مــجاهد يقـول فـي تأويـل ذلك ما:

20046ـ حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَجَعَلَ النّهارَ نُشُورا قال: ينشر فـيه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

وإنـما اخترنا القول الذي اخترنا فـي تأويـل ذلك, لأنه عقـيب قوله والنّـوْمَ سُبـاتا فـي اللـيـل. فإذ كان ذلـك كـذلك, فوصـف النهـار بـأن فــيه الــيقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الـموت. والذي قـاله مــجاهد غيـر بعيد مـن الصـواب لأن اللـه أخـبر أنـه جعـل النهـار معاشـا, وفــيه الانتشـار للـمعاش, ولكن النشور مصـدر م ن قـول القائـل: نشـر, فهـو بـ النشر م ن الـموت والنوم أشبه, كما صحّت الرواية عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه: «الـحَمْدُ لِلّـهِ الّـذِي أحْيانـا بَعْـدَما أماتَنـا, وَإلَـيْهِ النّشُورُ».

الآية : 48 - 49

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَهُوَ الّذِيَ أَرْسَـلَ الرّيَـاحَ بُشْـرَى بَيْـنَ يَـدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَآءِ مَآءً طَهُوراً * لّنُحْيِـيَ بِـهِ بَلْـدَةً مّيْتـاً وَنُسْـقِيَهِ مِمّـا خَلَقْنَآ أَنْعَاماً وَأَنَاسِيّ كَثِيراً }.

يقول تعالـى ذكره: والله الذي أرسل الرياح الـملقحة بُشْرا: حياة أو من الـحيا والغيث الذي هو منزله علـى عبــاده وأنْزَلْنـا مِـنَ السّـماءِ مـاءً طَهُـورا يقول: وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بـالرياح من فوقكم أيها الناس مــاء طهورا لِنُـحْيِـيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتا يعنـي أرضا قَحِطة عذية لا تُنبت. وقال بَلْدَةً مَيْتـا ولـم يقل ميتة, لأنه أريد بذلك لنـحيـي به موضعا ومكانـا ميتـا وَنُسْقِــيَهُ مــن خـلقنا أنْعَاما من البهائم وَأنَاسِيّ كَثِـيرا يعنـي الأناسـيّ: جمـع إنسـان وجمـع أناسي, فجعل الـياء عوضا من النون التـي فـي إنسان, وقـد يجمـع إنسـان: إناسين, كما يجمع النَشْيان: نشايـين. فإن قـيـل: أناسيّ جمع واحده إنسي, فهو مذهب أيضا مـحكي, وقد يجمع أناسـي مخففـة الــياء, وكـأن مـن جمـع ذلك كذلك أسقط الـياء التـي بـين عين الفعـل ولامـه, كمـا يجمـع القرقـور: قراقــير وقراقـر. ومــما يصـحح جمعهـم إيـاه بـالتـخفــيف, قـول العـبرب: أناسية كثـيرة.

الآية : 50

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَـدْ صَـرّفْنَاهُ بَيْنَهُـمْ لِيَـذّكّرُواْ فَـأَبَىَ أَكْثَـرُ النّاسِ إِلاّ كُفُوراً }.

يقول تعالـى ذكره: ولقد قسمنا هذا الــماء الـذي أنزلنـاه مـن السـماء طهورا لنـحيـي به الـميت من الأرض بـين عبـادي, لـيتذكروا نعمـي علــيهم, ويشكروا أياديّ عندهم وإحسانـي إلـيهم, فأبى أكْثَرُ النّاس إلاّ كُفُـورا يقـول: إلا حجودا لنعمي علـيهم, وأياديّ علـيهم. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20047ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا معتــمر بـن سليــمان, عـن أبـيه, قال: سمعت الـحسن بن مسلـم يحدّث طاوسا, عن سعيد بـن جُبــير,

عن ابن عباس قال: ما عام بأكثر مطرا من عام, ولكنّ الله يصرّفه بين خلقه قال: ثم قرأ: وَلَقَدْ صَرّفْناهُ بَيْنَهُمْ.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سليمان التيمي, قال: حدثنا الحسين بن مسلم, عن سعيد بن جُبير, قال: قال ابن عباس: ما عام بأكثر مطرا من عام, ولكنه يصرفه في الأرضين, ثم تلا وَلَقَدْ صَرّفْناهُ بَيْنَهمْ لِيَذّكّروا.

20048ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله وَلَقَدْ صَرّفْناهُ بَيْنَهُمْ قال: المطر ينزله في الأرض, ولا ينزله في الأرض الأخرى, قال: فقال عكرِمة: صرفناه بينهم ليذّكروا.

20049ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَقَدْ صَرّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذّكّرُوا قال: المطر مرّة ههنا, ومرّة ههنا.

20050ـ حدثنا سعيد بن الربيع الرازي, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن يزيد بن أبي زياد, أنه سمع أباجحيفة يقول: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ليس عام بأمطر من عامّ, ولكنه يصرفه, ثم قال عبد الله: ولقَدْ صَرّفْناهُ بَيْنَهُمْ. وأما قوله: فأبى أكْثَرُ النّاسِ إلاّ كفُورا فإن القاسم.

20051ـ حدثنا قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرِمة فأبى أكْثَرُ النّاسِ إلاّ كُفُورا قال: قولهم في الأنواء.

الآية : 51 - 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلّ قَرْيَةٍ نّذِيراً * فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره: ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كلّ مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسَنا على كفرهم بنا, فيخفّ عنك كثير من أعباء ما حملناك منه, ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة, ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى, لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعمدّ الله لك من الكرامة عنده, والمنازل الرفيعة قِبَله, فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم, فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات, ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا, حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله, ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها. وبنحو الذي قلنا في قوله: وَجاهِدْهُمْ بِهِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20052ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: قوله فَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَجاهِدْهِمْ بِهِ قال: بالقرآن. وقال آخرون في ذلك بما.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهادا كَبِيرا قال: الإسلام. وقرأ: وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وقرأ: وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وقال: هذا الجهاد الكبير.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مّحْجُوراً }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين, فأمرج أحدهما في الآخر, وأفاضه فيه. وأصل المرج الخلط, ثم يقال للتخلية: مرج, لأن الرجل

إذا خـلـى الشيء حتـى اختلط بغيره, فكأنه قد مرجه ومنه الـخبر عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, وقوله لعبد الله بن عمرو: «كَيْفَ بِكَ يـا عَبْـدَ اللّـهِ إذَا كُنْتَ فـي حُثالَةً مِنَ النّاسِ, قَـدْ مَرِجَـتْ عُهُـودُهُمْ وأمانـاتُهُمْ, وَصَـارُوا هَكَـذا وشَبّكَ بـين أصابعه» يعنـي بقوله: قد مرجـت: اختلطـت, ومنـه قـول اللـه: فِـي أمْرٍ مَرِيجٍ: أي مختلط. وإنـما قـيـل للـمرج مـن ذلـك, لأنـه يكـون فـيه أخلاط مـن الـدوابّ, ويقـال: مَرَجْـت دابتـك: أي خـلـيتها تـذهب حيـث شاءت. ومنه قول الراجز:

رَعَى مَرَجَ رَبِـيعٍ مَـمْرَجا

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20053ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَهُوَ الّذِي مَـرَجَ البَحْرَيْـنِ يعنــي أنه خـلع أحدهما علـى الآخر.

20054ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: مَـرَجَ البَحْرَيْـنِ أفــاض أحـدهما علـى الآخر.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

20055ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَهُوَ الّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنِ يقول: خــلع أحدهما علـى الآخر.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبـو تـميــلة, عـن أبــي حمزة, عن جابر, عن مـجاهد: مَرَجَ أفـاض أحدهما علـى الآخر.

وقوله هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ الفرات: شديد العذوبة, يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة. وقوله وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ يقول: وهذا ملـح مرّ. يعنــي بــالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار, وبـالـملـح الأجاج: مياه البحار.

وإنـما عنى بذلك أنه من نعمته علـى خـلقه, وعظيـم سلطانه, يخـلط ماء البحر العذب بـماء البحر الـملـح الأجاج, ثم يـمنع الـملـح مـن تغيــير العـذب عن عذوبته, وإفساده إياه بقضـائه وقـدرته, لئلا يضـرّ إفسـاده إيـاه يركبــان الـملـح منهما, فلا يجدوا ماء يشربونه عند حـاجتهم إلــى الــماء, فقـال جـلّ ثناؤه: وَجَعَلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخا يعنـي حاجزا يــمنع كـل واحـد منهمـا مـن إفسـاد الآخر وَحِجْرا مـحْجُورا يقول: وجعل كلـج واحد منهمـا حرامـا مــحرّما علــى صاحبه أن يغيره أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20056ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قـوله: هَـذَا عَـذْبٌ فُـرَاتٌ, وَهَـذَا مِلْـحٌ أُجاجٌ يعنـي أنه خـلق أحدهما علــى الآخـر, فلــيس يفسـد العـذب الـمالــح, ولـيس يفسد الـمالــح العـذب, وقـوله وَجَعَـلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخـا قـال: البرزخ: الأرض بــينهما وَحِجْـرا مــحْجُورا يعنــي: حجـر أحـدهما علــى الآخـر بـأمره وقضائه, وهو مثل قوله وَجَعَلَ بَـينَ البَحْرَيْنِ حَاجِزا.

20057ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا,

عـن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد وَجَعَـلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخـا قـال: مــحبسا. قوله:وَحِجْرا مـحْجُورا قال: لا يختلط البحر العذب.
20058ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد وَجَعَلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخا قـال: حـاجزا لا يـراه أحـد, لا يختلـط العذب فـي البحر. قال ابن جُرَيج: فلـم أجد بحـرا عذبــا إلا الأنهـار العـذاب, فإن دجلة تقع فـي البحـر, فأخبرنــي الـخبــير بهـا أنهـا تقـع فــي البحـر, فلا تـمور فـيه: بـينهما مثل الـخيط الأبـيض فإذا رجعت لـم ترجـع فــي طريقهـا من البحر, والنـيـل يصبّ فـي البحر:
20059ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي أبو تـميـلة, عـن أبـي حمزة, عن جابر, عن مـجاهد وَجَعَلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخـا قـال: الـبرزخ أنهمـا يـلتقــيان فلا يختلطـان, وقـوله حِجْـرا مَــحْجُورا: أي لا تــختلط ملوحـة هـذا بعذوبة هذا, لا يبغي أحدهما علـى الآخر.
20060ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن علـية, عن رجاء, عن الـحسن, فـي قوله: وَجَعَلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرا مَـحْجُورا قال: هذا الـيبس.
20061ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قَتادة, فـي قوله: وَجَعَلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرا مَـحْجُورا قال: جعل هذا ملــحا أجاجا, قال: والأجاج: الـمرّ.
20062ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول: مَرَجَ البَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ, وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ يقول: خـلع أحدهما علـى الآخر, فلا يغير أحدهما طعم الآخـر وَجَعَـلَ بَــيْنَهُما بَرْزَخا هو الأجل مـا بــين الدنــيا والآخـرة وَحِجْـرا مَــحْجُورا جعـل اللـه بــين البحرين حجرا, يقول: حاجزا حجز أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه.
20063ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَجَعَلَ بَـيْنَهُما بَرْزَخا وحِجْرا مـحْجُورا وجعل بـينهما سـترا لا يـلتقــيان. قال: والعرب إذا كلـم أحدهم الآخر بـما يكره قال: حِجـرا. قـال: سـترا دون الذي تقول.
قال أبو جعفر: وإنـما اخترنا القول الذي اخترناه فـي معنـى قـوله وجَعَـلَ بَـيْنَهُما بَرْزخا وحِجْرا مـحْجُورا دون القول الذي قاله من قال معناه: إنه جعل بـينهما حاجزا من الأرض أو من الـيبس, لأن الله تعالـى ذكره أخبر فــي أوّل الآية أنه مرج البحرين, والـمرج: هو الـخـلط فـي كلام العرب علـى ما بـيّنت قبل, فلو كان البرزخ الذي بـين العذب الفرات من البحرين, والـملـح الأجاج أرضا أو يبسا لـم يكن هناك مرج للبحرين, وقد أخبر جلّ ثنـاؤه أنـه مرجهمـا, وإنـما عرفنا قدرته بحجزه هذا الـملـح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات, مع اختلاط كلّ واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كـلّ واحـد منهمـا فــي حيـز عن حيز صاحبه, فلـيس هناك مرج, ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه علـيه أهل الـجهل به من الناس, ويذكرون به, وإن كان كلّ ما ابتدعه ربنا عجيبـا, وفـيه أعظم العبر والـمواعظ والـحجج البوالغ.

الآية : 54

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَهُوَ الّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبّكَ قَدِيراً }.
يقول تعالـى ذكره: والله الذي خـلق من النطـف بشـرا إنسـانا فجعلـه نسبـا, وذلك سبعة, وصهرا, وهو خمسة. كما:

20064ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله فجَعَلَهُ نَسَبا وَصِهْرا: النسب: سبع, قوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمّهاتُكُمْ... إلى قوله وَبَناتُ الأُخْتِ. والصهر خمس, قوله: وأُمّهاتُكُمُ اللاّتِي أَرْضَعْنَكُمْ... إلى قوله وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ.

وقوله: وكانَ رَبّكَ قَدِيرا يقول: وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق, وتصريفهم فيما شاء وأراد.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىَ رَبّهِ ظَهِيراً }.

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بـ الله م ن دونه آلهة لا تنفعهم, فتجلب إليهم نفعا إذا هم عبدوها, ولا تضرّهم إن تركوا عبادتها, ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفـ اء لأدناها, وهي م ا عدّد علينا جلّ جلاله في هذه الآيات من قوله: أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدّ الظّلّ إلى قوله: قَدِيرا. ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراده, ولا يتعذّر عليه فعل شيء أراد فعله, ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحلّ به ما أحلّ بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرّسّ, وقرونا بين ذلك كثيرا, فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر, ولا له عنه دافع. وكانَ الكافِرُ عَلى رَبّهِ ظَهِيرا يقول تعالى ذكره: وكان الكافر معينا للشيطان على ربه, مظاهرا له على معصيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20065ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد وكانَ الكافِرُ عَلى رَبّهِ ظَهِيرا قال: يظاهر الشيطان على معصية الله بعينه.

20066ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله عَلى رَبّهِ ظَهِيرا قال: معينا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله. قال ابن جُرَيج: أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه.

20067ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: وكانَ الكافِرُ عَلى رَبّه ظَهِيرا قال: عونا للشيطان على ربه على المعاصي.

20068ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وكانَ الكافِرُ عَلى رَبّهِ ظَهِيرا قال: على ربه عوينا. والظهير: العوين. وقرأ قول الله: فَلاَ تَكُونَنّ ظَهِيرا للكافِرِينَ قال: لا تكونن لهم عوينا. وقرأ أيضا قول الله: وأنْزلَ الّذِين ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صياصِيهِمْ قال: ظاهروهم: أعانوهم.

20069ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وكانَ الكافِرُ عَلى رَبّهِ ظَهِيرا يعني: أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبا جهل بن هشام.

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله وكانَ الكافِرُ عَلى رَبّهِ ظَهيرا أي وكان الكافر على ربه هينا من قول العرب: ظهرت به, فلم ألتفت إليه, إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه, وكأنّ الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهور به, كأنه قيل: وكان الكافر مظهورا به. والقول الذي قلناه هو وجه الكلام, والمعنى الصحيح, لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه, فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمّه إياهم, وذمّ فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم, ولِما يجر لاستكبارهم عليه ذكر, فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه.

الآية : 56 - 57

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ مُبَشّراً وَنَذِيراً * قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّ مَن شَآءَ أَن يَتّخِذَ إِلَىَ رَبّهِ سَبِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَما أرْسَلْناكَ يا محمد إلى من أرسلناك إليه إلاّ مُبَشّرا بالثواب الجزيل, من آمن بك وصدّقك, وآمن بالذي جئتهم به من عندي, وعملوا به ونَذِيرا من كذّبك وكذّب ما جئتهم به من عندي, فلم يصدّقوا به, ولم يعملوا. قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ يقول له: قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم, ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرا, فتقولون: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه, فلا نتبعه فيه, ولا نعطيه من أموالنا شيئا. إلاّ مَنْ شاءَ أنْ يَتّخِذَ إلى رَبّهِ سَبِيلاً يقول: لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا, طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله, وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوّه, وغير ذلك من سبل الخير.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَوَكّلْ عَلَى الْحَيّ الّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىَ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره: وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها. فثق به في أمر ربك, وفوّض إليه, واستسلم له, واصبر على ما نابك فيه. قوله: وَسَبّحْ بِحَمْدِهِ يقول: واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك. قوله: وكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عبادِهِ خَبِيرا يقول: وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه, فإنه لا يخفى عليه شيء منها, وهو محصٍ جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتّةِ أيّامٍ ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ الرّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره: وَتَوَكّلْ عَلَى الحَيّ الّذهي لا يَمُوتُ الّذِي خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ وَمَا بَيْنَهُما فِي سَتّةِ أيّامٍ فقال: وَما بَيْنَهُما, وقد ذكر السموات والأرض, والسموات جماع, لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشيئين, كما قال القطامي:

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أنّ حِبالَ قَيْسٍوَتَغْلِبَ قَدْ تَبايَنَتا انْقِطاعا

يريد: وحبال تغلب فثنى, والحبال جمع, لأنه أراد الشيئين والنوعين.

وقوله: فِي سِتّةِ أيّامٍ قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد, والفراغ يوم الجمعة ثُمّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرّحمنُ يقول: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه, وذلك يوم السبت فيما قيل. وقوله: فاسأَلْ بِهِ خَبِيرا يقول: فاسأل يا محمد خبيرا بالرحمن, خبيرا بخلقه, فإنه خالق كلّ شيء, ولا يخفى عليه ما خلق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20070ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله فاسأَلْ بِهِ خَبِيرا قال: يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتك شيئا, فاعلم أنه كما أخبرتك, أنا الخبير والخبير في قوله: فاسأَلْ بِهِ خَبِيرا منصوب على الحال من الهاء التي في قوله به.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُواْ لِلرّحْمَـنِ قَالُواْ وَمَا الرّحْمَـنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً }.

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرّهم: اسْجُدُوا لِلرّحْمَنِ: أي اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والأوثان, قالوا: أنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: لِمَا تَأْمُرُنا بمعنى: أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له؟ وقرأته عامة قرّاء الكوفة: «لِمَا يَأْمُرُنا» بالياء, بمعنى: أنسجد لما يأمر الرحمن؟. وذكر بعضهم أن مُسيلمة كان يُدعى الرحمن, فلما قال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم: اسجدوا للرحمن, قالوا: أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة؟ يعنون مُسَيلمة بالسجود له.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك, أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان, قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وقوله: وَزَادَهُمْ نُفُورا يقول: وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله, وإفراد الله بالعبادة بعدا مما دعوا إليه من ذلك فرارا.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {تَبَارَكَ الّذِي جَعَلَ فِي السّمَآءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مّنِيراً }.

يقول تعالى ذكره: تقدّس الربّ الذي جعل في السماء بروجا ويعني بالبروج: القصور, في قول بعضهم. ذكر من قال ذلك:

20071ـ حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسلم بن جنادة, قالوا: حدثنا عبد الله بن إدريس, قال: سمعت أبي, عن عطية بن سعد, في قوله تَبارَكَ الّذِي جَعَلَ فِي السّماءِ بُرُوجا قال: قصورا في السماء, فيها الحرس.

20072ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: ثني أبو معاوية, قال: ثني إسماعيل, عن يحيى بن رافع, في قوله تَبارَكَ الّذِي جَعَلَ فِي السّماءِ بُرُوجا قال: قصورا في السماء.

20073ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن منصور, عن إبراهيم جَعَلَ فِي السّماء بُرُوجا قال: قصورا في السماء.

20074ـ حدثني إسماعيل بن سيف, قال: ثني عليّ بن مسهر, عن إسماعيل, عن أبي صالح, في قوله تَبارَكَ الّذِي جَعَلَ فِي السّماء بُرُوجا قال: قصورا في السماء فيها الحرس.
وقال آخرون: هي النجوم الكبار. ذكر من قال ذلك:
20075ـ حدثني ابن المثنى, قال: حدثنا يعلى بن عبيد, قال: حدثنا إسماعيل, عن أبي صالح تَبارَكَ الّذي جَعَلَ فِ ي السّماءِ بُرُوج ا قال: النجوم الكبار.
20076ـ قال: ثنا الضحاك, عن مخلد, عن عيسى بن ميمون, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قال: الكواكب.
20077ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله بُرُوجا قال: البروج: النجوم.
قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من ق ال: ه ي قصور في السماء, لأن ذلك في كلام العرب وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيّدَةٍ وقول الأخطل:
كأنّهَا بُرْجُ رُوميّ يُشَيّدُهُبانٍ بِجِصّ وآجُرَ وأحْجارِ
يعني بالبرج: القصر.
قوله: وَجَعَلَ فيها سِرَاجا اختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: وَجَعَلَ فِيها سرَاجا على التوحيد, ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس, وهي السراج التي عني عندهم بقوله: وَجَعَلَ فِيها سراجا. كما:
20078ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله وَجَعَلَ فِيها سِرَاجا وَقَمَرا مُنِيرا قال: السراج: الشمس.
وقرأته عامة قرّاء الكوفيين: «وَجَعَلَ فِيها سُرُجا» على الجماع, كأنهم وجهوا تأويله: وجعل فيها نجوما وقَمَرا مُنِيرا وجعلوا النجوم سُرُجا إذ كان يُهتدى بها.
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأةِ الأمصار, لكل واحدة منهما وجه مفهوم, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
وقوله: وَقَمَرا مُنِيرا يعني بالمنير: المضيء.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي جَعَلَ اللّيْلَ وَالنّهَارَ خِلْفَةً لّمَنْ أَرَادَ أَن يَذّكّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً }.
اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: جَعَلَ اللّيْلَ والنّهارَ خِلْفَةً فق ال بعضهم: معناه: أن الله جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر, في أن ما فات أحدهما من عمل يعمل فيه لله, أدرك قضاؤه في الآخر. ذكر من قال ذلك:
20079ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن حفص بن حميد, عن شمر بن عطية, عن شقيق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فقال: فاتتني الصلاة الليلة, فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك, فإن الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر, أو أراد شُكورا.

20080ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وَهُوَ الّذِي جَعَلَ اللّيْلَ والنّهارَ خِلْفَةً يقول: من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار, أو من النهار أدركه بالليل.
20081ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله جَعَلَ اللّيْلَ والنّهارَ خِلْفَةً قال: جعل أحدهما خلفا للآخر, إن فات رجلاً من النهار شيء أدركه من الليل, وإن فاته من الليل أدركه من النهار.
وقال آخرون: بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه, فجعل هذا أسود وهذا أبيض. ذكر من قال ذلك:
20082ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله اللّيْلَ والنّهارَ خِلْفَةً قال: أسود وأبيض.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا يحيى بن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن عمر بن قيس بن أبي مسلم الماصر, عن مجاهد وَهُوَ الّذِي جَعَلَ اللّيْلَ والنّهارَ خِلْفَةً قال: أسود وأبيض.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه, إذا ذهب هذا جاء هذا, وإذا جاء هذا ذهب هذا. ذكر من قال ذلك:
20083ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا قيس, عن عمر بن قيس الماصر, عن مجاهد, قوله جَعَلَ اللّيْلَ والنّهارَ خِلْفَةً هذا يخلف هذا, وهذا يخلف هذا.
20084ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَهُوَ الّذِي جَعَلَ اللّيْلَ وَالنّهارَ خِلْفَةً قال: لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل, لو كان الدهر ليلاً كله كيف يدري أحد كيف يصوم, أو كان الدهر نهارا كله كيف يدري أحد كيف يصلي. قال: والخلفة: مختلفان, يذهب هذا ويأتي هذا, جعلهما الله خلفة للعباد, وقرأ لِمَنْ أَرَادَ أنْ يَذّكّرَ أوْ أَرَادَ شُكُورا والخلفة: مصدر, فلذلك وحدت, وهي خبر عن الليل والنهار والعرب تقول: خلف هذا من كذا خلفة, وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله, كما قال الشاعر:
وَلهَا بالمَاطِرُونَ إذَاأكَلَ النّمْلُ الّذِي جَمَعَا
خِلْفَةٌ حتى إذَا ارْتَبَعَتْسَكَنَتْ مِنْ جِلّقٍ بِيَعَا
وكما قال زهيَر:
بِهَا العَيْنُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةًوأطْلاؤُها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلّ مَجْثَمِ
يعني بقوله: يمشين خلفة: تذهب منها طائفة, وتخلف مكانها طائفة أخرى. وقد يحتمل أن زُهَيرا أراد بقوله: خلفة: مختلفات الألوان, وأنها ضروب في ألوانها وهيئاتها. ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا, وتجيء كذا.
وقوله لِمَنْ أرَادَ أنْ يَذّكّرَ يقول تعالى ذكره: جعل الليل والنهار, وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكّر أمر الله, فينيب إلى

الـحق أوْ أرَادَ شُكُورا أو أراد شكر نعمة الله التـي أنعمها علـيه فـي اختلاف اللـيـل والنهار.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
20085ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله أو أرَادَ شُكُورا قال: شـكر نعمـة ربـه علـيه فـيهما.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله لِـمَنْ أرَادَ أنْ يَذّكّرَ ذاك آية له أوْ أرَادَ شُكُورا قال: شـكر نعمـة ربه علـيه فـيهما.
واختلف القرّاء فـي قـراءة قـوله: يَـذّكّرَ فقـرأ ذلـك عامـة قـرّاء الـمدينة والبصرة وبعض الكوفـيـين: يَذّكّرَ مشددة, بـمعنى يتذكر. وقرأه عامـة قـرّاء الكوفـيـين: «يَذْكُرَ» مخففة وقد يكون التشديد والتـخفـيف فـي مثـل هـذا بـمعنى واحد. يقال: ذكرت حاجة فلان وتذكرتها.

والقول فـي ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا الـمعنى, فبأيتهمـا قـرأ القارىء فمصيب الصواب فـيهما.

الآية : 63

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَعِبَادُ الرّحْمَـنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَـىَ الأرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً }.
يقول تعالـى ذكره: وَعِبـادُ الرّحْمَنِ الّذِينَ يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنـا بـالـحلـم والسكينة والوقار غير مستكبرين, ولا متـجبّرين, ولا سـاعين فـيها بـالفساد ومعاصي الله.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قـال أهـل التأويــل, غيـر أنهـم اختلفـوا, فقـال بعضـهم: عنـى بقـوله: يَــمْشُونَ عَلــى الأرْضِ هَوْنـا أنهـم يــمشون علــيها بـالسكينة والوقار. ذكر من قال ذلك:
20086ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن ابن أبـي نـجيح, عـن مــجاهد الّـذِينَ يَــمْشُونَ عَلــى الأرْض هَوْنـا قـال: بـالوقار والسكينة.
20087ـ قال: ثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا مـحمد بن أبـي الوضـاح, عـن عبد الكريـم, عن مـجاهد يَـمْشُونَ عَلـى الأرْض هَوْنا قال: بـالـحلـم والوقار.
حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث قال: حدثنا الـحسن, قال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نَـجِيح, عن مــجاهد, قـوله يَــمْشُونَ عَلــى الأرْضِ هَوْنـا قـال: بــالوقار والسكينة.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثوري, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنا بـالوقار والسكينة.
20088ـ حدثنـي يحيى بن طلـحة الــيربوعي, قـال: حـدثنا شـريك, عـن سالـم, عن سـعيد وَعبـد الرحمـنِ الّـذِينَ يَــمْشُونَ عَلــى الأرْضِ هَوْنـا قـالا: بـالسكينة والوقار.

20089ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن شـريك, عـن جـابر, عن عمار, عن عكرمة, فـي قوله يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنا قـال: بـالوقار والسكينة.
قال: ثنا ابن يـمان, عن سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد, مثله.
20090ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أيوب, عن عمرو الـملائي يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنا قال: بـالوقار والسكينة.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يـمشون علـيها بـالطاعة والتواضع. ذكر من قال ذلك:
20091ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله الَّذِينَ يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنا بـالطاعة والعفـاف والتواضع.
20092ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله وَعِبـادُ الرّحْمَـنِ الّـذِينَ يَـمْشُونَ عَل الأرْضِ هَوْنا قال: يـمشون علـى الأرض بـالطاعة.
20093ـ حدثنـي أحمد بن عبد الرحمن, قال: ثنـي عمـي, عبـد اللـه بـن وهب, قال: كتب إلـيّ إبراهيـم بن سويد, قال: سمعت زيد بن أسلـم يقول: التـمست تفسير هذه الآية الَّذِينَ يَـمْشُونَ علـى الأرْضِ هَوْنا فلـم أجدها عنـد أحد, فأتـيت فـي النوم, فقـيـل لـي: هـم الـذين لا يرِيـدون يفسـدون فـي الأرض.
20094ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن أسـامة بـن زيـد بـن أسلـم, عن أبـيه, قال: لا يفسدون فـي الأرض.
20095ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله وَعِبـادُ الرّحْمَنِ الّذِينَ يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنا قال: لا يتكبرون علـى الناس, ولا يتـجبرون, ولا يفسدون. وقرأ قول الله: تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَـجْعَلُها للّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّا فـي الأرْضِ وَلا فَسادا, وَالعاقِبَةُ للْـمُتّقِـينَ.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهـم يـمشون علـيها بـالـحلـم لا يجهلـون علـى من جهل علـيهم. ذكر من قال ذلك:
20096ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن أبـي الأشـهب, عـن الـحسن فـي: يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنا قال: حلـماء, وإن جُهِل علـيهم لـم يجهلوا.
20097ـ حدثنا ابن حميد قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الـحسين, عن يزيد, عن عكرمة يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنا قال: حلـماء.
20098ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبدَ الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الـحسن, فـي قـوله يَـمْشُونَ عَلـى الأرْضِ هَوْنـا قـال: علـماء حلـماء لا يجهلون.
وقوله: وَإذَا خاطَبَهُمُ الـجاهِلُونَ قالُوا سَلاما يقول: وإذا خاطبهم الـجاهلون بـالله بـما يكرهونه من القول, أجابوهم بـالـمعروف من القول, والسداد من الـخطاب. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
20099ـ حـدثنا ابـن بشـار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا أبـو الأشهب, عن الـحسن وَإذَا خاطَبَهُمُ... الآية, قال: حلـماء, وإن جُهل علـيهم لـم يجهلوا.

20100ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن معمر, عن يحيى بن المختار, عن الحسن, في قوله وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما قال: إن المؤمنين قوم ذُلُلٌ, ذلّت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح, حتى يحسبهم الجاهل مرضى, وإنهم لأصحاء القلوب, ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم, ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة, فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن, والله ما حزنهم حزن الدنيا, ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة, أبكاهم الخوف من النار, وإنه من لم يتعزّ بعزاء الله, تَقطّع نفسه على الدنيا حسرات, ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب, فقد قل علمه, وحضر عذابه.

20101ـ حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما قال: سدادا.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن أبي الوضاح, عن عبد الكريم, عن مجاهد وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما قال: سَدَادا من القول.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثوريّ عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

20102ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قَالُوا سَلاما حلماء.

20103ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن أبي الأشهب, عن الحسن, قال: حلماء لا يجهلون, وإن جُهِل عليهم حلموا ولم يسفهوا. هذا نهارهم فكيف ليلهم؟ خير ليل صفوا أقدامهم, وأجْرَوا دموعهم على خدودهم يطلبون إلى الله جلّ ثناؤه في فكاك رقابهم.

قال: ثنا الحسن, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبادة, عن الحسن, قال: حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا.

الآية : 64 - 66

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبّهِمْ سُجّداً وَقِيَاماً * وَالّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذَابَ جَهَنّمَ إِنّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً }.

يقول تعالى ذكره: والذين يبيتون لربهم يصلون له, يراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام. وقوله: وَقِياما جمع قائم, كما الصيام جمع صائم. وَالّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنّمَ يقول تعالى ذكره: والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلاً.) وقوله: إنّ عَذَابها كانَ غَرَاما يقول: إن عذاب جهنم كان غراما ملحّا دائما لازما غير مفارق من عذّب به من الكفار, ومهلكا له. ومنه قولهم: رجل مُغْرم, من الغُرْم والدّين. ومنه قيل للغريم غَريم لطلبه حقه, وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع للنساء: إنه لمغرَم بالنساء, وفلان مغرَم بفلان: إذا لم يصبر عنه ومنه قول الأعشى:

إنْ يُعاقِبْ يَكنْ غَرَاما وَإنْ يُعْطِ جَزِيلاً فإنّهُ لا يُبالي

يقول: إن يعاقب يكن عقابه عقابا لازما, لا يفارق صاحبه مهلكا له. وقول بشر بن أبي خازم:

يَوْمَ النّسارِ وَيَوْمَ الجِفارِ كانَ عِقابا وكانَ غَرَاما

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20104ـ حدثني عليّ بن الحسن اللاني, قال: أخبرنا المعافى بن عمران الموصلي, عن موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب في قوله إنّ عَذَابها كانَ غَرَاما قال: إن الله سأل الكفار عن نعمه, فلم يردّوها إليه, فأغرمهم, فأدخلهم النار.
20105ـ قال: ثنا المعافى, عن أبي الأشهب, عن الحسن, في قوله إن عَذَابَها بها كانَ غَرَاما قال: قد علموا أن كلّ غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم.
20106ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله إنّ عَذَابَها كانَ غَرَاما قال: الغرام: الشرّ.
20107ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله إنّ عَذَابها كانَ غَرَاما قال: لا يفارقه.
وقوله إنّها ساءَتْ مُسْتَقَرّا وَمُقاما يقول: إن جهنم ساءت مستقرا ومقاما, يعني بالمستقرّ: القرار, وبالمقام: الإقامة كأن معنى الكلام: ساءت جهنم منزلاً ومقاما. وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة, وإذا فتحت فهو من: قمتُ, ويقال: المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس. ومن المُقام بضمّ الميم بمعنى الإقامة, قول سلامة بن جندل:
يَوْمانِ: يَوْمُ مُقاماتٍ وأنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْداءِ تأْوِيبا
ومن المَقام الذي بمعنى المجلس, قول عباس بن مرداس:
فَأُتّي ما وأيّكَ كانَ شَرّا فَقِيدَ إلى المَقامَة لا يَرَاها
يعني: المجلس.

الآية : 67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً }.
يقول تعالى ذكره: والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها.
ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع, وما الإسراف فيها والإقتار. فقال بعضهم: الإسرافُ ما كان من نفقة في معصية الله, وإن قلّت. قال: وإياها عني الله, وسماها إسرافا قالوا: والإقتار المنع من حقّ الله. ذكر من قال ذلك:
20108ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وَالّذِينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا, وكانَ بينَ ذلك قَوَاما قال: هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله, ولا يُقترون فيمنعون حقوق الله تعالى.
20109ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد, قال: لو أنفقت مثل أبي قُبيس ذهبا في طاعة الله ما كان سرفا, ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان سرفا.
20110ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله وَالّذِينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُروا قال: في النفقة فيما نهاهم وإن كان درهما واحدا, ولم يقتروا ولم يُقَصّرُوا عن النفقة في الحقّ.

20111ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله وَالّذِينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرفوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما قال: لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله. كلّ ما أنفق في معصية الله, وإن قلّ فهو إسراف, ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله. قال: وما أمْسِكَ عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار.

20112ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني إبراهيم بن نشيط, عن عمر مولى غُفرة أنه سئل عن الإسراف ما هو؟ قال: كلّ شي أنفقته في غير طاعة الله فهو سرف.

وقال آخرون: السرف: المجاوزة في النفقة الحدّ والإقتار: التقصير عن الذي لا بدّ منه. ذكر من قال ذلك:

20113ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عبد السلام بن حرب, عن مغيرة, عن إبراهيم, قوله وَالّذِينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا قال: لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف.

20114ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله المخزومي المكي, قال: سمعت وهيب بن الورد أبي الورد مولى بني مخزوم, قال: لقي عالم عالما هو فوقه في العلم, فقال: يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: هو ما سترك من الشمس, وأكنّك من المطر, قال: يرحمك الله, فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما سدّ الجوع ودونَ الشبع, قال: يرحمك الله, فأخبرني عن هذا اللباس الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما ستر عورتك, وأدفأك من البرد.

20115ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن شريح, عن يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية وَالّذِينَ إذَا أنْفَقُوا... الآية, قال: كانوا لا يلبسون ثوبا للجمال, ولا يأكلون طعاما للذّة, ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم, ويكتّنون به من الحرّ والقرّ, ويريدون من الطعام ما سدّ عنهم بالجوع, وقوّاهم على عبادة ربهم.

20116ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن العلاء بن عبد الكريم, عن يزيد بن مرّة الجعفي, قال: العلم خير من العمل, والحسنة بين السيئتين, يعني: إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا, وخير الأعمال أوساطها.

20117ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا كعب بن فروخ, قال: حدثنا قتادة, عن مطرّف بن عبد الله, قال: خير هذه الأمور أوساطها, والحسنة بين السيئتين. فقلت لقتادة: ما الحسنة بين السيئتين؟ فقال: الّذِينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا... الآية.

وقال آخرون: الإسرافُ هو أن تأكل مالَ غيرك بغير حقّ. ذكر من قال ذلك:

20118ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا سالم بن سعيد, عن أبي مَعْدان, قال: كنت عند عون بن عبد الله بن عتبة, فقال: ليس المسرف من يأكل ماله, إنما المسرف من يأكل مال غيره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك, قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه, والإقتار: ما قصر عما أمر الله به, والقوام: بين ذلك.

وإنـما قلنا إن ذلك كذلك, لأن الـمسرف والـمقتر كذلك ولو كان الإسراف والإقتار فـي النفقة مرخصا فـيهما ما كانا مذمومين, ولا كـان الــمسرف ولا الـمقتر مذموما, لأن ما أذن الله فـي فعله فغير مستـحقّ فـاعله الذمّ. فإن قال قائل: فهل لذلك من حدّ معروف تبـينه لنـا؟ قـيــل: نعـم, ذلـك مفهـوم فـي كلّ شيء من الـمطاعم والـمشارب والـملابس والصدقة وأعمـال الـبرّ وغير ذلك, نكره تطويـل الكتاب بذكر كلّ نوع من ذلك مفصلاً, غير أن جملـة ذلك هو ما بـيّنا, وذلك نـحو أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بـدنه, وينهك قواه, ويشغله عن طاعة ربه, وأداء فرائضه, فذلك من السـرف, وأن يترك الأكل وله إلـيه سبـيـل حتـى يضعف ذلك جسمه, ويَنْهَك قواه, ويضعفه عن أداء فرائض عن أداء فرائض ربه, فذلك من الإقتـار, وبــين ذلـك القَـوام علـى هذا النـحو, كلّ ما جانس ما ذكرنا. فأما اتـخاذ الثوب للـجمال, يــلبسه عند اجتـماعه مع الناس, وحضوره الـمــحافل والــجمع والأعيـاد, دون ثـوب مهنته, أو أكله من الطعام ما قوّاه علـى عبـادة ربه, مـما ارتفع عما قد يسـدّ الـجوع, مـما هو دونه من الأغذية, غير أنه لا يعيـن البـدن علــى القــيام للـه بـالواجب معونته, فذلك خارج عن معنى الإسراف, بل ذلك من القَــوام, لأن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك, وحضّ علـى بعضه, كقــوله: «ما عَلـى أَحَدِكُمْ لَو اتّــخَذَ ثَوْبَـيْنِ. ثَوْبــا لِــمِهْنَتِهِ, وَثَوْبــا لِــجُمْعَتِهِ وَعِيـدِهِ» وكقوله: «إذَا أنْعَمَ اللّهُ عَلـى عَبْدٍ نِعْمَةً أحَبّ أنْ يَرَى أثَرَهُ عَلَـيْهِ», وما أشــبه ذلك من الأخبـار التـي قد بـيّناها فـي مواضعها.)

وأما قوله: وكانَ بـينَ ذلكَ قَوَاما فإنه النفقة بـالعدل والـمعروف, علـى ما قد بـيّنا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20119ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي سلـيـمان, عن وهب بن منبه, فـي قـوله وكـانَ بــينَ ذلـكَ قَوَامـا قـال: الشطر من أموالهم.

20120ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قوله وكانَ بـينَ ذلكَ قَوَاما: النفقة بـالـحقّ.

20121ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قـوله وكـانَ بــينَ ذلـكَ قَوَامـا قـال: القـوام: أن ينفقـوا فــي طاعـة اللـه, ويـمسكوا عن مـحارم الله.

20122ـ قال: أخبرنـي إبراهيـم بن نشيط, عن عمر مولـى غُفْـرة, قـال: قلت له: ما القَوام؟ قال: القوام: أن لا تنفق فـي غير حقّ, ولا تــمسك عــن حقّ هو علـيك. والقوام فـي كلام العرب, بفتــح القـاف, وهـو الشـيء بــين الشيئين. تقول للـمرأة الـمعتدلة الـخـلق: إنها لـحسنة القوام فـي اعتدالها, كما قال الـحُطَيئة:

طافَتْ أُمامَةُ بـالرّكْبَـانِ آوِنَةً يا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مّا وَمُنْتَقَبـا

فأما إذا كسرت القاف فقلت: إنه قِوام أهله, فإنه يعنـي بـه: أن بـه يقـوم أمرهم وشأنهم. وفـيه لغات آخُرَ, يقال منه: هـو قــيام أهلـه وقـيّــمهم فــي معنى قوامهم. فمعنى الكلام: وكان إنفـاقهم بـين الإسـراف والإقتـار قواما معتدلاً, لا مـجاوزة عن حدّ الله, ولا تقصيرا عما فرضه الله, ولكن عدلاً بـين ذلك علـى ما أبـاحه جلّ ثناؤه, وأذن فـيه ورخص.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: ولـم يَقْتُرُوا فقرأته عامة قرّاء الــمدينة «ولـمْ يُقْتِرُوا» بضمّ الـياء وكسر التاء مـن: أقـتر يقـتر. وقرأتـه عامـة قـرّاء

الكوفيين وَلَمْ يَقْتُرُوا بفتح الياء وضمّ التاء من: قَتَر يَقْتُر. وقرأته عامة قرّاء البصرة «وَلَمْ يَقْتِروا» بفتح الياء وكسر التاء من قتر يقتر.

والصواب من القول في ذلك, أن كلّ هذه القراءات على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب, وقراءات مستفيضات وفي قرّاء الأمصار بمعنى واحد, فبأيتها قرأ القارىء فمصيب.

وقد بيّنا معنى الإسراف والإقتار بشواهدهما فيما مضى في كتابنا في كلام العرب, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وفي نصب القَوام وجهان: أحدهما ما ذكرت, وهو أن يجعل في كان اسم الإنفاق بمعنى: وكان إنفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما: أي عدلاً, والآخر أن يجعل بين هو الاسم, فتكون وإن كانت في اللفظة نصبا في معنى رفع, كما يقال: كان دون هذا لك كافيا, يعني به: أقلّ من هذا كان لك كافيا, فكذلك يكون في قوله: وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما لأن معناه: وكان الوسط من ذلك قواما.

الآية : 68 - 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَـهَا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلاّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّهِ مَتَاباً }.

يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلها آخر, فيشركون في عبادتهم إياه, ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة وَلاَ يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ قتلها إلاّ بِالحَقّ إما بكفر بالله بعد إسلامها, أو زنا بعد إحصانها, أو قتل نفس, فتقتل بها وَلاَ يَزْنُونَ فيأتون ما حرّم الله عليهم إتيانه من الفروج وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يقول: ومن يأت هذه الأفعال, فدعا مع الله إلها آخر, وقتل النفس التي حرّم الله بغير الحقّ, وزنى يَلْقَ أثاما يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالاً, كما وصفه ربنا جلّ ثناؤه, وهو أنه يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ ويَخْلُدْ فِيهِ مُهانا. ومن الأثام قول بَلْعَاءَ بن قيس الكناني:

جَزَى اللّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حيْثُ أمْسَعُقُوقا والعُقُوقُ لَهُ أَثامُ

يعني بالأثام: العقاب.

وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام, ممن كان منه في شركه هذه الذنوب, فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام, فاستفتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك, فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية, يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم. ذكر من قال ذلك:

20123ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: ثني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, أن ناسا من أهل الشرك قَتَلُوا فأكثروا, فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم, فقالوا: إن الذي تدعونا إليه الحسن, لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة, فنزلت: وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلها آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ, وَلا يَزْنُونَ, ونزلت: قُلْ يا عِبادِيَ الّذِينَ أسْرَفُوا عَلى أنْفُسِهِمْ لا

تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ... إلى قوله: مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ قال ابن جُرَيج: وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء.

20124ـ حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي, قال: حدثنا سفيان, عن أبي معاوية, عن أبي عمرو الشيباني, عن عبد الله, قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما الكبائر؟ قال: «أنْ تَدْعُوَ لِلّهِ نِدّا وَهُوَ خَلَقَك وأنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أجْلِ أنْ يأكُلَ مَعَكَ, وأنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جارِكَ», وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله: وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلها آخَرَ, وَلا يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ, وَلا يَزْنُونَ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان عن الأعمش ومنصور, عن أبي وائل عن عمرو بن شُرَحْبِيل, عن عبد الله, قال: قلت: يا رسول الله, أيّ الذنب أعظم؟ قال: «أنْ تَجْعَلَ لِلّهِ نِدّا وَهُوَ خَلَقَكَ», قلت: ثم أيّ؟ قال: «أنْ تَقْتُل وَلَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يأكُلَ مَعَكَ», قلت: ثم أيّ؟ قال: «ثُمّ أنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ», فأنزل تصديق قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلها آخَرَ, وَلا يَقْتُلُونَ النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ, وَلا يَزْنُونَ»... الآية.

حدثنا سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا عليّ بن قادم, قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمداني, عن منصور عن أبي وائل, عن أبي ميسرة, عن عبد الله بن مسعود, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحوه.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ, قال: ثني عمي يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن سفيان, عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أيّ الذنب أكبر؟ ثم ذكر نحوه.

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي, قال: حدثنا عامر بن مدرك, قال: حدثنا السريّ, يعني ابن إسماعيل قال: حدثنا الشعبيّ, عن مسروق, قال: قال عبد الله: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم, فاتبعته, فجلس على نَشَز من الأرض, وقعدت أسفل منه, ووجهي حيال ركبتيه, فاغتنمت خلوته, وقلت: بأبي وأمي يا رسول الله, أيّ الذنوب أكبر؟ قال: «أنْ تَدْعُوَ لِلّهِ نِدّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قلت: ثم مَهْ؟ قال: «أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكِ كَرَاهِيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قلت: ثم مَهْ؟ قال: «أنْ تُزانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ», ثم تلا هذه الآية: «وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلها آخَرَ»... إلى آخر الآية.

20125ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا طَلْق بن غنام, عن زائدة, عن منصور, قال: ثني سعيد بن جُبير, أو حُدثت عن سعيد بن جُبير, أن عبد الرحمن بن أبْزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في النساء وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمنا مُتَعَمّدا... إلى آخر الآية, والآية التي في الفرقان وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما... إلى ويَخْلُدْ فِيهِ مُهانا قال ابن عباس: إذا دخل الرجل في الإسلام, وعلم شرائعه وأمره, ثم قتل مؤمنا متعمدا, فلا توبة له. والتي في الفرقان, لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة: فقد عدلنا بـ الله, وقتلنا النفس التي حرّم الله بغير الحقّ, فما ينفعنا الإسلام؟ قال: فنزلت إلاّ مَنْ تابَ قال: فمن تاب منهم قُبل منه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, قال: ثني سعيد بن جُبير, أو قال: حدثني الحكم عن سعيد بن جُبير, قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزى, فقال: سل ابن عباس, عن هاتين الآيتين, ما أمرهما عن الآية التي

في الفرقان وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَهَا آخَرَ, وَلا يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ... الآية, والتي في النساء وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمّدا فَجَزَاؤُهُ جَهَنّمُ. فسألت ابن عباس عن ذلك, فقال: لما أنزل الله التي في الفرقان, قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس التي حرّم الله, ودعونا مع الله إلها آخر, فقال: إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعمِلَ عَمَلاً صالِحا... الآية. فهذه لأولئك. وأما التي في النساء وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤمِنا مُتَعَمّدا فَجَزَاؤُهُ جَهَنّمُ... الآية, فإن الرجل إذا عرف الإسلام, ثم قتل مؤمنا متعمدا, فجزاؤه جهنم, فلا توبة له. فذكرته لمجاهد, فقال: إلا من ندم.

حدثنا محمد بن وعوف الطائي, قال: حدثنا أحمد بن خالد الذهنيّ, قال: حدثنا شيبان, عن منصور بن المعتمر, قال: ثني سعيد بن جُبير, قال لي سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى: سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله: وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَها آخَرَ... إلى مَنْ تابَ, وعن قوله وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمّدا... إلى آخر الآية. قال: فسألت عنها ابن عباس, فقال: أنزلت هذه الآية في الفرقان بمكة إلى قوله وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا فقال المشركون: فما يغني عنا الإسلام, وقد عدلنا بالله, وقتلنا النفس التي حرّم الله, وأتينا الفواحش, قال: فأنزل الله إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعمِلَ عَمَلاً صَالِحا... إلى آخر الآية, قال: وأما من دخل في الإسلام وعقَله, ثم قتل, فلا توبة له.

20126ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال في هذه الآية وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَها آخَرَ, وَلا يَقْتُلُونَ النّفْسَ التي حَرّم اللّهُ إلاّ بالحَقّ... الآية, قال: نزلت في أهل الشرك.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن سعيد بن جُبير, قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَها آخَرَ, فذكر نحوه.

20127ـ حدثني عبد الكريم بن عمير, قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر, قال: حدثنا عيسى بن شعيب بن ثَوْبان, مولى لبني الديل من أهل المدينة, عن فُلَيح الشماس, عن عبيد بن أبي عبيد, عن أبي هريرة, قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العَتَمة, ثم انصرفت فإذا امرأة عند بابي, ثم سلمت, ففتحت ودخلت, فبينا أنا في مسجدي أصلي, إذ نقرت الباب, فأذنت لها, فدخلت فقالت: إني جئتك أسألك عن عمل عملت, هل لي من توبة؟ فقالت: إني زنيت وولدتُ, فقتلته, فقلت: لا, ولا نعمت العين ولا كرامة. فقامت وهي تدعو بالحسرة تقول: يا حسرتاه, أخُلِقَ هذا الحسن للنار؟ قال: ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة, ثم جلسنا ننتظر الإذن عليه, فأذن لنا, فدخلنا, ثم خرج من كان معي, وتخلفت, فقال: «ما لَكَ يا أبا هُرَيْرَةَ, ألَكَ حاجَةٌ؟» فقلت له: يا رسول الله صليت معك البارحة, ثم انصرفت. وقصصت عليه ما قالت المرأة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما قُلْتَ لَهَا؟» قال: قلت لها: لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بِئْسَ ما قُلْتَ أمَا كُنْتَ تَقْرأُ هَذِهِ الآيَةَ»: وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَهَا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ... الآية إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا» فقال أبو هريرة: فخرجت,

فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا إلا وقفت عليه, فقلت: إن تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة, فلتأتني ولتبشر فلما صليت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم العشاء, فإذا هي عند بابي, فقلت: أبشري, فإني دخلت على النبيّ, فذكرت له ما قلتِ لي, وما قلت لك, فقال: «بئس ما قلت لها, أما كنت تقرأ هذه الآية؟» فقرأتها عليها, فخرّت ساجدة, فقالت: الحمد لله الذي جعل مَخْرجا وتوبة مما عملت, إن هذه الجارية وابنها حرّان لوجه الله, وإني قد تبت مما عملت.

20128ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا جعفر بن سليمان, عن عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, قال: اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة, فما شيء من القرآن إلا سألته عنه, ورسولي يختلف إلى عائشة, فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول: إن الله يقول لذنب: لا أغفره.

وقال آخرون: هذه الآية منسوخة بالتي في النساء. ذكر من قال ذلك:

20129ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحرّاني, عن أبي الزناد, عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجلٍ من أهل العراق, وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان, والتي في النساء وَمَنْ يَقتُلْ مُؤمِنا مُتَعَمّدا فقال زيد بن ثابت: قد عرفت الناسخة من المنسوخة, نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر.

20130ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال الضحاك بن مزاحم: هذه السورة بينها وبين النساء وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمّدا ثمان حجج. وقال ابن جُرَيج: وأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جُبير: هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة؟ فقال: لا, فقرأ عليه هذه الآية كلها, فقال سعيد بن جُبير: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ, فقال: هذه مكية, نسختها آية مدنية, التي في سورة النساء. وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في الأثام من القول, قال أهل التأويل, إلا أنهم قالوا: ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يُدعى أثاما. ذكر من قال ذلك:

20131ـ حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت أبي يحدّث, عن قَتادة, عن أبي أيوب الأزدي, عن عبد الله بن عمرو, قال: الأثام: وادٍ في جهنم.

20132ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله الله: يَلْقَ أثاما قال: واديا في جهنم.

20133ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, حدثنا ابن حميد قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة, في قوله وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما قال: واديا في جهنم فيه الزناة.

20134ـ حدثني العباس بن أبي طالب, قال: حدثنا محمد بن زياد, قال: حدثنا شرقِيّ بن قطاميّ, عن لقمان بن عامر الخزاعيّ, قال: جئت أبا أُمامة صديّ بن عجلان الباهلي, فقلت: حدثني حديثا سمعته من رسول

الله صلى الله عليه وسلم, قال: فدعا لي بطعام, ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أنّ صَخْرَةً زِنَةَ عَشْرِ عَشْرَاوَاتٍ قُذِفَ بِها مِنْ شَفِيرِ جَهَنّمَ ما بَلَغَتْ قَعْرَها خَمْسِينَ خَرِيفا, ثُمَّ تَنْتَهي إلى غَيَ وأثام». قلت: وما غيّ وأثام؟ قال: بِئْرَانِ فِي أسْفَلِ جَهَنّمَ يَسِيلُ فِيهما صَدِيدُ أهْلِ النّارِ, وهما اللذان ذكر الله في كتابه أضَاعُوا الصّلاَةَ وَاتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا, وقوله في الفرقان: وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما.

20135ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَلْقَ أثاما قال: الأثام الشرّ, وقال: سيكفيك ما وراء ذلك: يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ, ويَخْلُدْ فِيهِ مُهَانا.

20136ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: يَلْقَ أثاما قال: نكالاً قال: قال: إنه وادٍ في جهنم.

20137ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن هشيم, قال: أخبرنا زكريا بن أبي مريم قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوي فيها أو بصخرة تهوي, عظمها كعشر عشراوات سمان, فقال له رجل: فهل تحت ذلك من شيء؟ قال: نعم غيّ وأثام.

قوله: يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ. اختلفت القرّاء في قراءته, فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم يُضَاعَفْ جزما ويَخْلُدْ جزما. وقرأه عاصم: يضَاعَفُ رفعا وَيَخْلُدُ رفعا كلاهما على الابتداء, وأن الكلام عنده قد تناهى عند: يَلْقَ أثاما ثم ابتدأ قوله: يُضَاعَفُ لهُ العَذَابُ.

والصواب من القراءة عندنا فيه: جزم الحرفين كليهما: يضاعفْ, ويخلدْ, وذلك أنه تفسير للأثام لا فعل له, ولو كان فعلاً له كان الوجه فيه الرفع, كما قال الشاعر:

مَتى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِتَجِدْ خيرَ نارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ

فرفع تعشو, لأنه فعل لقوله تأته, معناه: متى تأته عاشيا.

وقوله: ويَخْلُدْ فِيهِ مُهانا ويبقى فيه إلى ما لا نهاية في هوان. وقوله: إلاّ مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا يقول تعالى ذكره: ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جلّ ثناؤه يلقَ أثاما إلاّ مَنْ تابَ يقول: إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك, وإنابته إلى ما يرضاه الله وآمَنَ يقول: وصدق بما جاء به محمد نبيّ الله وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا يقول: وعمل بما أمره الله من الأعمال, وانتهى عما نهاه الله عنه.)

قوله: فَأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِمْ حَسَناتٍ. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: فأولئك يبدّل الله بقبائح أعمالهم في الشرك, محاسن الأعمال في الإسلام, فيبدله بالشرك إيمانا, وبقيل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به, وبالزناعفة وإحصانا. ذكر من قال ذلك:

20138ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِمْ حَسَناتٍ قال: هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات, فرغب الله بهم عن ذلك, فحوّلهم إلى الحسنات, وأبدلهم مكان السيئات حسنات.

20139ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا... إلى آخر الآية, قال: هم الذي يتوبون فيعملون بالطاعة, فيبدّل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون.

20140ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن سعيد, قال: نزلت وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَها آخَرَ... إلى آخر الآية, في وَحْشِيّ وأصحابه, قالوا: كيف لنا بالتوبة, وقد عبدنا الأوثان, وقتلنا المؤمنين, ونكحنا المشركات, فأنزل الله فيهم: إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا, فأولَئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِمْ حَسَناتٍ, فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله, وأبدلهم بقتالهم مع المشركين, قتالاً مع المسلمين للمشركين, وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات.

20141ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قال ابن عباس, في قوله: فَأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِمْ حَسَناتٍ قال: بالشرك إيمانا, وبالقتل إمساكا, وبالزنا إحصانا.

20142ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَهَا آخَرَ وهذه الآية مكية نزلت بمكة وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يعني: الشرك, والقتل, والزنا جميعا. لمّا أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة: يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار, وليس له عند الله خير, فأنزل الله: إلاّ مَنْ تابَ من المشركين من أهل مكة, فَأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِمْ حَسَناتٍ يقول: يبدّل الله مكان الشرك والقتل والزنا: الإيمان بالله, والدخول في الإسلام, وهو التبديل في الدنيا. وأنزل الله في ذلك. يا عِبادِيَ الّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ يعنيهم بذلك لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ, إنّ اللّهَ يَغْفِرُ الذّنُوبَ جَمِيعا يعني ما كان في الشرك. يقول الله لهم: أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له, يدعوهم إلى الإسلام, فهاتان الآيتان مكيتان, والتي في النساء وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمّدا... الآية, هذه مدنية, نزلت بالمدينة, وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثمان سنين, وهي مبهمة ليس منها مخرج.

20143ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تُمَيْلة, قال: حدثنا أبو حمزة, عن جابر, عن مجاهد, قال: سُئل ابن عباس عن قول الله جلّ ثناؤه: يُبَدّلُ اللّهُ سَيِئاتِهِمْ حَسَناتٍ فقال:

بُدّلْنَ بَعْدَ حَرّهِ خَريفاوَبَعْدَ طُولِ النّفَسِ الوَجِيفا

20144ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلَهَا آخَرَ... إلى قوله يَخْلُدْ فِيهِ مُهانا: فقال المشركون: ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا, قال: فأنزل الله: إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ. قال: تاب من الشرك, قال: وآمن بعقاب الله ورسوله وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا, قال: صدّق, فأولَئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِمْ حَسَناتٍ قال: يبدّل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالأعمال الصالحة حين دخلوا في الإيمان.

وقال آخرون: بل معنى ذلك, فأولئك يبدّل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

20145ـ حدثني أحمد بن عمرو البصريّ, قال: حدثنا قريش بن أنس أبو أنس, قال: ثني صالح بن رستم, عن عطاء الخراساني, عن سعيد بن المسيب فَأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِمْ حَسَناتٍ قال: تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة.

20146ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا محمد بن حازم أبو معاوية, عن الأعمش, عن المعرور بن سويد, عن أبي ذرّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النّارِ خُرُوجا مِنَ النّارِ, وآخِرَ أَهْلِ النّارِ دُخُولاً الجَنّةَ, قال: يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ القِيامَةِ, فَيُقالُ: نَحّوا كِبارَ ذُنُوبِهِ وَسَلُوهُ عَنْ صِغارِها, قال: فَيُقالُ لَهُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا, وَعملْتَ كَذَا وكَذَا, قال: فَيَقُولُ: يا رَبّ لَقَدْ عَمِلْتُ أَشْياءَ ما أَرَاها هَا هُنا, قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه, قال: فَيُقالُ لَهُ: لَكَ مَكانَ كُلّ سَيّئَةٍ حَسَنَةٌ».

قال أبو جعفر: وأولَى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوّله: فأولئك يبدّل الله سيئاتهم: أعمالهم في الشرك, حسنات في الإسلام, بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية, لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبح, وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة, إلى خلاف ما كانت عليه, إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى, فيجب إن فعل ذلك كذلك, أن يصير شرك الكافر الذي كان شركا في الكفر بعينه إيمانا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة, وذلك ما لا يقوله ذو حجا.

وقوله: وكانَ اللّه غَفُورا رَحِيما يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده, وراجع طاعته, وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها. قوله: وَمَنْ تابَ يقول: ومن تاب من المشركين, فآمن بالله ورسوله وعَمِلَ صَالِحا يقول: وعمل بما أمره الله فأطاعه, فإن الله فاعل به من إبداله سَيِىء أعماله في الشرك, بحسنها في الإسلام, مثل الذي فعل من ذلك, بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20147ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَنْ تابَ وعَمِلَ صَالِحا فإنّه يَتُوبُ إلى اللّهِ مَتابا قال: هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت وَالّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إلهَا آخَرَ... إلى قوله وكانَ اللّهُ غَفُورا رَحِيما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان هؤلاء إلا معنا, قال: وَمَنْ تَابَ وعَمِلَ صَالِحا فإن لهم مثل ما لهؤلاء فإنّهُ يَتُوبُ إلى اللّهِ مَتابا لم تخطر التوبة عليكم.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزّورَ وَإِذَا مَرّواْ بِاللّغْوِ مَرّوا كِراماً }.

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه, فقال بعضهم: معناه الشرك بالله. ذكر من قال ذلك:

20148ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: لا يَشْهَدُونَ الزّورَ قال: الشرك.
20149ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَالّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزّورَ قال: هؤلاء المهاجرون, قال: والزّور قولهم لآلهتهم, وتعظيمهم إياها.
وقال آخرون: بل عُنِي به الغناء. ذكر من قال ذلك:
20150ـ حدثني علي بن عبد الأعلى المحاربيّ قال: حدثنا محمد بن مروان, عن ليث, عن مجاهد في قوله: وَالّذِينَ لا يَشْ هَدُونَ الزّورَ قال: لا يسمعون الغِناء.
وقال آخرون: هو قول الكذب. ذكر من قال ذلك:
20151ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وَالّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزّورَ قال: الكذب.
قال أبو جعفر: وأصل الزّور تحسين الشيء, ووصفه بخلاف صفته, حتى يخيّل إلى من يسمعه أو يراه, أنه خلاف ما هو به, والشرك قد يدخل في ذلك, لأنه محسّن لأهله, حتى قد ظنوا أنه حقّ, وهو باطل, ويدخل فيه الغناء, لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت, حتى يستحلي سامعُه سماعَه, والكذب أيضا قد يدخل فيه, لتحسين صاحبه إياه, حتى يظنّ صاحبه أنه حقّ, فكل ذلك مما يدخل في معنى الزّور.
فإذا كان ذلك كذلك, فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئا من الباطل, لا شركا, ولا غناء, ولا كذبا ولا غيره, وكلّ ما لزمه اسم الزور, لأن الله عمّ في وصفه إياهم, أنهم لا يشهدون الزور, فلا ينبغي أن يُخَصّ من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها, من خبر أو عقل.
وقوله: وَإذَا مَرّوا باللّغْوِ مَرّوا كِرَاما اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذُكر في هذا الموضع, فقال بعضهم: معناه: ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين, ويكلمونهم به من الأذى. ومرورهم به كراما: إعراضهم عنهم وصفحهم. ذكر من قال ذلك:
20152ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإذَا مَرّوا باللّغْوِ مَرّوا كِرَاما قال: صفحوا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله وَإذَا مَرّوا باللّغْوِ مَرّوا كِرَاما قال: إذا أوذوا مرّوا كراما, قال: صفحوا.
وقال آخرون: بل معناه: مرّوا بذكر النكاح, كفوا عنه. ذكر من قال ذلك:
20153ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام بن حوشب, عن مجاهد وَإذَا مَرّوا باللّغْوِ مَرّوا كِرَاما قال: إذا ذكروا النكاح كَفّوا عنه.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الأشيب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام بن حوشب, عن مجاهد, وَإذَا مَرّوا كِرَاما قال: كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه.

20154ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبي مخزوم, عن سيار وَإِذَا مَرّوا بـاللّغْوِ مَرّوا كِرَاما إذا مرّوا بالرفَث كفّوا.
وقال آخرون: إذا مرّوا بما كان المشركون فيه من الباطل مرّوا منكرين له. ذكر من قال ذلك:
20155ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِذَا مَرّوا بـاللّغْوِ مَرّوا كِرَاما قال: هؤلاء المهاجرون, واللغو ما كانوا فيه من الباطل, يعني المشركين وقرأ: فَاجْتَنِبُوا الرّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ.
وقال آخرون: عُنى باللغو ها هنا: المعاصي كلها. ذكر من قال ذلك:
20156ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: وَإِذَا مَرّوا بـاللّغْوِ مَرّوا كِرَاما قال: اللغو كله: المعاصي.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي, أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مرّوا باللغو مرّوا كراما, واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل, أو ما يستقبح فسبّ الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللّغو. وذكر النكاح بصريح اسمه مما يُستقبح في بعض الأماكن, فهو من اللغو, وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه, وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين, فكل ذلك يدخل في معنى اللغو, فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو, أن يقال: عُني به بعض ذلك دون بعض, إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: وإذا مرّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه, مرّوا كراما مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه, وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا, وذلك إذا أوذوا بإسماع القبيح من القول. وفي بعضه بأن يَنْهَوْا عن ذلك, وذلك بأن يروا من المنكر ما يغيّر بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف, وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم, فيستصرخهم المراد ذلك منهم, فيصرخونهم, وكلّ ذلك مرورهم كراما. وقد:
20157ـ حدثني ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن مسلم, عن إبراهيم بن ميسرة, قال: مرّ ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنْ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيما».
وقيل: إن هذه الآية مكية. ذكر من قال ذلك:
20158ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, قال: سمعت السديّ يقول: وَإِذَا مَرّوا بـاللّغْوِ مَرّوا كِرَاما قال: هي مكية, وإنما عنى السديّ بقوله هذا إن شاء الله, أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله: فَاقْتُلُوا المُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وأمرهم إذا مرّوا باللّغو الذي هو شرك, أن يُقاتلوا أمراءه, وإذا مرّوا باللغو, الذي هو معصية لله أن يغيروه, ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة, وهذا القول نظير تأويلنا الذي تأوّلناه في ذلك.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ إِذَا ذُكّرُواْ بِآيَاتِ رَبّهِمْ لَمْ يَخِرّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً }.

يقول تعالى ذكره: والذين إذا ذكّرهم مذكر بحجج الله, لم يكونوا صُما لا يسمعون, وعميا لا يبصرونها. ولكنهم يقاظُ القلوب, فهماء العقول, يفهمون عن الله ما يذكّرهم به, ويفهمون عنه ما ينبههم عليه, فيوعون مواعظة آذانا سمعته, وقلوبا وعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20159ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لَمْ يَخِرّوا عَلَيْها صُمّا وعُمْيانا فلا يسمعون, ولا يبصرون, ولا يفقهون حقا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله وَالّذِينَ إذَا ذُكّرُوا بآياتِ رَبّهِمْ لَمْ يَخِرّوا عَلَيْها صُمّا وعُمْيانا قال: لا يفقهون, ولا يسمعون, ولا يبصرون.

20160ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن ابن عون, قال: قلت للشعبيّ: رأيت قوما قد سجدوا, ولم أعلم ما سجدوا منه, أسجد؟ قال: وَالّذِينَ إذَا ذُكّرُوا بآيات رَبّهِمْ لَمْ يَخِرّوا عَلَيْها صُمّا وعُمْيانا.

20161ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَالّذِينَ إذَا ذُكّرُوا بآياتِ رَبّهِمْ لَمْ يَخِرّوا عَلَيْها صُمّا وعُمْيانا قال: هذا مثل ضربه الله لهم, لم يَدَعوها إلى غيرها, وقرأ قول الله: إنّمَا المُؤْمِنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهمْ... الآية.

فإن قال قائل: وما معنى قوله يَخِرّوا عَلَيْها صُمّا وعُمْيانا أَو يَخرّ الكافرون صُمّا وعُمْيانا إذا ذُكروا بآيات الله, فُيْنَفى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار؟ قيل: نعم, الكافر إذا تُليت عليه آيات الله خرّ عليها أصمّ وأعمى, وخَرّه عليها كذلك, إقامته على الكفر, وذلك نظير قول العرب: سَبَبْتُ فلانا, فقام يبكي, بمعنى فظلّ يبكي, ولا قيام هنالك, ولعله أن يكون بكى قاعدا وكما يقال: نهيت فلانا عن كذا, فقعديشتمني ومعنى ذلك: فجعل يشتمني, وظلّ يشتمني, ولا قعود هنالك, ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب, حتى قد فهموا معناه. وذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول: فعد يشتمني, كقولك: قام يشتمني, أقبل يشتمني قال: وأنشد بعض بني عامر:

لا يُقْنعُ الجارِيَةَ الخِضَابُ وَلا الوِشاحان وَلا الجِلْبابُ
مِن دونِ أن تَلْتَقِيَ الأرْكابُ وَيَقْعُدَ الأيْرُ لَهُ لُعابُ

بمعنى: يصير, فكذلك قوله: لَمْ يَخِرّوا عَلَيْها صُمّا وعُمْيانا إنما معناه: لم يَصَمّوا عنها, ولا عموا عنها, ولم يصيروا على باب ربهم صُمّا وعمْيانا, كما قال الراجز:

وَيَقْعُدَ الهَنُ لهُ لُعابُ بمعنى: ويصير.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرّيّاتِنَا قُرّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتّقِينَ إِمَاماً }.

يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: رَبّنا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرّيّاتِنَا ما تقرّ به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20162ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرّيّاتِنا قُرّةَ أعْيُنٍ يعنون: من يعمل لك بالطاعة, فتقرّ بهم أعيننا في الدنيا والآخرة.
20163ـ حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا حزم, قال: سمعت كثيرا سأل الحسن, قال: يا أبا سعيد, قول الله هَبْ لَنا مِن أزْوَاجِنا وَذُرّيّاتِنا قُرّةَ أعْيُنٍ في الدنيا والآخرة, قال: لا بل في الدنيا, قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله.
20164ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: قرأ حضرمي: رَبّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجنا وَذُرّيّاتِنا قُرّةَ أعْيُنٍ قال: وإنما قرّة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله.
20165ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن ابن جُرَيج فيما قرأنا عليه في قوله: هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرّيّاتِنا قُرّةَ أعْيُنٍ قال: يعبدونك فيحسنون عبادتك, ولا يجرون الجرائر.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قوله رَبّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرّيّاتِنا قُرّةَ أعْيُنٍ قال: يعبدونك يحسنون عبادتك, ولا يجرّون علينا الجرائر.
20166ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله وَالّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرّيّاتِنا قُرّةَ أعْيُنٍ قال: يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام.
20167ـ حدثنا محمد بن عون, قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش, قال: ثني أبي, عن صفوان بن عمرو, عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير, عن أبيه, قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود, فقال: لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشدّ حالة بُعث عليها نبيّ من الأنبياء في فترة وجاهلية, ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان, فجاء بفرقان فَرَق به بين الحقّ والباطل, وفَرّق بين الوالد وولده, حتى إنْ كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام, فيعلم أنه إن مات دخل النار, فلا تقرّ عينه, وهو يعلم أن حبيبه في النار, وإنها للتي قال الله: وَالّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرّيّاتِنا قُرّةَ أعْيُنٍ... الآية.
حدثني ابن عون, قال: ثني عليّ بن الحسن العسقلانيّ, عن عبد الله بن المبارك, عن صفوان, عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير, عن أبيه, عن المقداد, نحوه.
وقيل: هب لنا قرّة أعين, وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع, وقوله: قُرّة أعْيُنٍ واحدة, لأن قوله: قرّة أعين مصدر من قول القائل: قرّت عينك قرّة, والمصدر لا تكاد العرب تجمعه.
وقوله: وَاجْعَلْنا للْمُتّقِينَ إماما اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: اجعلنا أئمة يَقتَدِي بنا من بعدنا. ذكر من قال ذلك:
20168ـ حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل, قال: ثني عون بن سلام, قال: أخبرنا بشر بن عمارة عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, في قوله: وَاجْعَلْنا للْمُتّقِينَ إماما يقول: أئمة يُقتدى بنا.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وَاجْعَلْنا لِلْمُتّقِينَ إماما أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا. قال ابن زيد: كما قال لإبراهيم: إني جاعِلُكَ للنّاس إماما.

وقال آخرون: بل معناه: واجعلنا للمتقين إماما: نأتمّ بهم, ويأتمّ بنا من بعدنا. ذكر من قال ذلك:

20169ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَاجْعَلْنا لِلْمُتّقِين إماما قال: أئمة نقتدي بمن قبلنا, ونكون أئمة لمن بعدنا.

20170ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن أبن أبي نجيح, عن مجاهد وَاجْعَلْنا لِلْمُتّقِينَ إماما قال: اجعلنا مؤتمين بهم, مقتدين بهم.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك, ويخافون عقابك إماما يأتمون بنا في الخيرات, لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة, ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما, وقال وَاجْعَلْنا لِلْمُتّقِينَ إماما ولم يقل أئمة. وقد قالوا: واجعلنا وهم جماعة, لأن الإمام مصدر من قول القائل: أمّ فلان فلانا إماما, كما يقال: قام فلان قياما, وصام يوم كذا صياما. ومن جمع الإمام أئمة, جعل الإمام اسما, كما يقال: أصحاب محمد إمام, وأئمة للناس. فمن وحّد قال: يأتمّ بهم الناس. وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحويّي أهل الكوفة. وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية: الإمام في قوله: لِلْمُتّقِينَ إماما جماعة, كما تقول: كلهم عُدُول. قال: ويكون على الحكاية, كما يقول القائل إذا قيل له: من أميركم: هؤلاء أميرنا. واستشهد لذلك بقول الشاعر:

يا عاذِلاتي لا تُرِدْنَ مَلامَتِي إنّ العَوَاذلَ لَسْنَ لي بأمِيرِ

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقّوْنَ فِيهَا تَحِيّةً وَسَلاَماً }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي, وذلك من ابتداء قوله: وَعِبادُ الرّحْمَنِ الّذِينَ يَمْشُونَ على الأرْضِ هَوْنا... إلى قوله: وَالّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا... الآية يُجْزَوْنَ يقول: يُثابون على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا الغُرْفَةَ وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة بِمَا صَبرُوا يقول: بصبرهم على هذه الأفعال, ومقاساة شدتها. وقوله: وَيُلَقّوْنَ فِيها تَحِيّةً وَسَلاما اختلفت القرّاء في قراءته, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: وَيُلَقّوْنَ مضمومة الياء, مشدّدة القاف, بمعنى: وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «ويَلْقَوْنَ» بفتح الياء, وتخفيف القاف.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار, بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن أعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها «وَيَلْقَوْنَ فِيها» بفتح الياء, وتخفيف القاف, لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد, قالت: فلان يُتَلَقّى بالسلام وبالخير, ونحن نَتَلقاهم بالسلام, قرنته بالياء, وقلما تقول: فلان يُلَقّى السلام,

فكان وجه الكلام, لو كان بالتشديد, أن يقال: ويُتَلَقّون فيها بالتحية والسلام. وإنما اخترنا القراءة بذلك, كما تجيز: أخذت بالخطام, وأخذتُ الخطام. وقد بيّنا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل, فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 76 - 77

القول في تأويل قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً }.

يقول تعالى ذكره: أولئك يجزون الغرفة بما صبروا, خالدين في الغرفة, يعني أنهم ماكثون فيها, لابثون إلى غير أمد, حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما. يقول: وإقامة. وقوله: قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ ربّي يقول جلّ ثناؤه لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: أيّ شيء يَعُدّكم, وأيّ شيء يصنع بكم ربي؟ يقال منه: عبأت به أعبأ عبئا, وعبأت الطيب أعبؤه: إذا هيأته, كما قال الشاعر:

كأنّ بِنَحْرِهِ وبِمَنْكِبَيْهِعَبِيرا باتَ يَعْبَؤُهُ عَرُوسُ

يقول: يهيئه ويعمله يعبؤه عبا وعبوءا, ومنه قولهم: عَبّأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبئه: أُهَيّئُهُ. والعِبءُ: الثقل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20171ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: قُلْ ما يَعْبأُ بِكُمْ رَبّي يصنع لولا دعاؤكم.

20172ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّي قال: يعبأ: يفعل. وقوله: لَوْلا دُعاؤُكُمْ يقول: لولا عبادة من يعبده منكم, وطاعة من يطيعه منكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20173ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ يقول: لولا إيمانكم, وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين, ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حبّبه إلى المؤمنين.

20174ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله لَوْلا دُعاؤُكُمْ قال: لولا دعاؤكم إياه لتعبدوه وتطيعوه.

وقوله فَقَدْ كَذّبْتُمْ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد كذّبتم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به. لو تمسكتم به, كان يعبأ بكم ربي فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم, وخلافكم أمر بارئكم, عذابا لكم ملازما, قتلاً بالسيوف وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضا, كما قال أبو ذُؤَيب الهُذَليّ:

فَفاجأهُ بِعادِيَةٍ لِزَامٍكمَا يَتَفَجّرُ الحَوْضُ اللّقِيفُ

يعني باللزام: الكبير الذي يتبع بعضه بعضا, وباللقيف: المتساقط الحجارة المتهدّم, ففعل الله ذلك بهم, وصدقهم وعده, وقتلهم يوم بدر

بأيدي أوليائه, وألحق بعضهم ببعض, فكان ذلك العذاب اللزام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20175ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبد الله, قال: صليت مع ابن الزّبير فسمعته يقرأ: فقد كذب الكافرون.

20176ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا سعيد بن أدهم السدوسيّ, قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة, عن عبد المجيد, قال: سمعت مسلم بن عمار, قال: سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف: فقد كذب الكافرون فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما.

حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما يقول: كذب الكافرون أعداء الله.

20177ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن ابن مسعود, قال: فسوف يلقون لزاما يوم بدر.

20178ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, قال: قال عبد الرحمن: خمس قد مضين: الدخان, واللزام, والبطشة, والقمر, والروم.

20179ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, قوله فَسَوْفَ يكُونُ لِزَاما قال أُبَيّ بن كعب: هو القتل يوم بدر.

20180ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن عمرو, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: اللزام: يوم بدر.

20181ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن ليث, عن مجاهد فَسَوْفَ يكُونُ لِزَاما قال: هو يوم بدر.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَسَوْفَ يكُونُ لِزَاما قال: يوم بدر.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن مَعْمر, عن منصور, عن سفيان, عن ابن مسعود, قال: اللزام: القتل يوم بدر.

20182ـ حُدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَقَدْ كَذّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, وبما جاء به من عند الله, فسوف يكون لزاما, وهو يوم بدر.

20183ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله, قال: قد مضى اللزام, كان اللزام يوم بدر, أسروا سبعين, وقتلوا سبعين.

وقال آخرون: معنى اللزام: القتال. ذكر من قال ذلك:

20184ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما قال: فسوف يكون قتالاً اللزام: القتال.

وقال آخرون: اللزام: الموت. ذكر من قال ذلك:

20185ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس فَسَوْفَ يكُونُ لِزَاما قال: موتا.
وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: معنى ذلك: فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شرّ. وقد بيّنا الصواب من القول في ذلك.
وللنصب في اللزام وجه آخر غير الذي قلناه, وهو أن يكون في قوله يَكُون مجهول, ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل:
إذَا كان طَعْنا بَيْنَهُمْ وقتالاً وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول في تأويل ذلك: ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما تَدْعون من دونه من الآلهة والأنداد, وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل.
آخر (تفسير) سورة الفرقان, والحمد لله وحده.

سورة الشعراء

سورة الشعراء مكية
وآياتها سبع وعشرون ومائتان
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1 - 3

القول في تأويل قوله تعالى:
{طسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلّكَ بَاخِعٌ نّفْسَكَ أَلاّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ }.
قال أبو جعفر: وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما في ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء, وما انتزع به كلّ قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة. وقد بيّنا الذي هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته, وقد ذكر عنهم من الاختلاف في قوله: طسم وطس, نظير الذي ذكر عنهم في: آلم والمر والمص. وقد:
20186ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله طسم قال: فإنه قسم أقسمه الله, وهو من أسماء الله.
20187ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله طسم قال: اسم من أسماء القرآن.
فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع: إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها الذي بين لمن تدبره بفهم, وفكّر فيه بعقل, أنه من عند الله جلّ جلاله, لم يتخرّصه محمد صلى الله عليه وسلم, ولم يتقوّله من عنده, بل أوحاه إليه ربه.
وقوله: لَعَلّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أنْ لا يكُونُوا مُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك, ويصدقوك على ما جئتهم به. والبخْع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب ومنه قول ذي الرّمة:
ألا أيّهَذَا الباخعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُلشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الـمَقادِرُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20188ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: باخِعٌ نَفْسَك: قاتل نفسك.
20189ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله لَعَلّكَ باخعٌ نَفْسَكَ أَنْ لا يكُونُوا مُؤْمِنِينَ قال: لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك, قال: ذلك البخع.
20190ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله لَعَلّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عليهم حرصا, وأنْ من قوله: أنْ لا يَكُونُوا مُؤْمِنينَ في موضع نصب بباخع, كما يقال: زرت عبد الله أن زارني, وهو جزاء ولو كان الفعل الذي بعد أنْ مستقبلاً لكان وجه الكلام في «أن» الكسر كما يقال أزور عبد الله إن يزورني.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن نّشَأْ نُنَزّلْ عَلَيْهِمْ مّنَ السّمَآءِ آيَةً فَظَلّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ }.
اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: فَظَلّتْ أعْناقُهُمْ... الآية, فقال بعضهم: معناه: فظلّ القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذّلّة. ذكر من قال ذلك:
20191ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد في قوله: فَظَلّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعينَ قال: فظلوا خاضعة أعناقهم لها.
20192ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله خاضِعِينَ قال: لو شاء الله لنزّل عليه آية يذلون بها, فلا يَلْوِي أحد عنقه إلى معصية الله.
20193ـ حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج أنْ لا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إنْ نَشأ نُنَزّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السّماءِ آيَةً قال: لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية.
20194ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَظَلّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ قال: ملقين أعناقهم.
20195ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَظَلّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ قال: الخاضع: الذليل.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظلت سادتهم وكبراؤهم للآية خاضعين, ويقول: الأعناق: هم الكبراء من الناس.
واختلف أهل العربية في وجه تذكير خاضعين, وهو خبر عن الأعناق, فقال بعض نحويّي البصرة: يزعمون أن قوله أعْناقُهُمْ على الجماعات, نحو: هذا عنق من الناس كثير, أو ذُكّركما يذكّر بعض المؤنث, كما قال الشاعر:
تَمَرّزْتها والدّيكُ يَدْعُو صَباحَهُإذا ما بنو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوّبُوا
فجماعات هذا أعناق, أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكر كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث, كما قال الأعشى:
ونَشْرَقُ بالقَوْل الّذي قَدْ أذَعْتَهكمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِنَ الدّم
وقال العجاج:

لَـمّا رأى مَنْزِلَ السّماء أبْعَدَتْ وقال الفرزدق:

إذَا الْقُنْبُضَات السّود طَوّفْنَ بـالضحىرَقَدْنَ عَلَـيْهِنّ الـحِجالُ الـمَسَجّفُ

وقال الأعشى:

وَإنّ امْرَأً أهْدَى إلَـيْكِ وَدُونَهُمِنَ الأرْضِ يَهْماءٌ وَبَـيْدَاءُ خَيْفَقُ

لَـمَـحْقُوقَةٌ أن تَسْتَـجِيبِـي لِصَوْتِهوأنْ تَعْلَـمِي أنّ الـمُعانَ الـمُوَفّقُ

قال: ويقولون: بنات نعش وبنو نعش, ويقال: بنـات عِـرس, وبنـو عِـرس وقالت امرأة: أنا امرؤ لا أخبر السرّ, قال: وذكر لرؤبة رجل فقـال: هـو كـان أحد بنات مساجد الله, يعنـي الـحَصَى. وكان بعـض نـحويــي الكوفـة يقـول: هذا بـمنزلة قول الشاعر:

تَرَى أرْماحَهُمْ مُتَقَلدِيهاإذَا صَدِىءَ الـحَدِيدُ على الكُماةِ

فمعناه عنده: فظلت أعناقهم خاضـعيها هـم, كمـا يقـال: يـدك بــاسطها, بـمعنى: يدك باسطها أنـت, فـاكتفــى بــما ابتـدأ بـه مـن الاسـم أن يكـون, فصار الفعل كأنه للأوّل وهو للثانـي, وكذلك قوله: لـمـحقوقة أن تستـجيبـي لصوته إنـما هو لـمـحقوقة أنت, والـمـحقوقة: الناقـة, إلا أنـه عطفـه علــى الـمرء لـما عاد بـالذكر. وكان آخر منهم يقول: الأعناق: الطوائف, كما يقال: رأيت الناس إلــى فلان عنقـا واحـدة, فــيجعل الأعنـاق الطوائـف والعُصَـب ويقول: يحتـمل أيضا أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء, فــيكون كأنه قـيـل: فظلت رؤوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين, وقـال: أحـبّ إلــيّ من هذين الوجهين فـي العربـية أن يقـال: إن الأعنـاق إذا خضـعت فأربــابها خاضعون, فجعلت الفعل أوّلاً للأعناق, ثم جَعَلْتَ خاضعين للرجال, كما قــال الشاعر:

عَلـى قَبْضَة مَرْجُوّة ظَهْرُ كَفّهِفَلا الـمَرْءُ مُسْتَـحْيٍ وَلا هُوَ طاعِمُ

فأنث فعل الظهر, لأن الكفّ تـجمع الظهر, وتكفـي منه, كما أنك تكتفــي بأن تقول: خضعت لك, من أن تقول: خَضَعَتْ لك رقبتـي, وقال: ألا تـرى أن العرب تقول: كل ذي عيـن نـاظر ونـاظرة إلــيك, لأن قولـك: نظـرتْ إلــيك عينـي, ونظرتُ إلـيك بـمعنى واحد بترك كل, وله الفعل وبرده إلــى العيـن, فلو قلت: فظلت أعناقهم لها خاضعة, كان صوابـا.

قال أبو جعفر: وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب وأشبهها بـما قال أهـل التأويـل فـي ذلك أن تكـون الأعنـاق هـي أعنـاق الرجـال, وأن يكـون معنـى الكلام: فظلت أعناقهم ذلـيـلة, للآية التـي ينزلها اللـه علــيهم مـن السـماء, وأن يكون قوله «خاضعين» مذكرا, لأنه خبر عن الهاء والـميـم فـي الأعناق, فـيكون ذلك نظير قول جرير:

أرَى مَرّ السّنِـينَ أخَذْنَ مِنّـيكمَا أخَذَ السّرَارُ مِنَ الهلالِ

وذلك أن قوله: مرّ, لو أسقط من الكلام, لأدى ما بقـي من الكلام عنه ولـم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سـقوطه, وكـذلك لـو أسـقطت الأعناق من قوله: فظلت أعناقهم, لأدى ما بقـي مـن الكلام عنهـا, وذلـك أن الرجال إذا ذلّوا, فقد ذلت رقابهم, وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا.

فإن قـيـل فـي الكلام: فظلوا لها خاضعين, كان الكلام غير فـاسد, لسقوط الأعناق, ولا متغيـر معنـاه عمـا كـان علــيه قبـل سـقوطها, فصـرف الــخبر بـالـخضوع إلـى أصحاب الأعناق, وإن كـان قـد ابتـدأ بـذكر الأعنـاق لــما قـد جرى به استعمال العرب فـي كلامهم, إذا كان الاسم الـمبتدأ به, وما أضـيف إلـيه يؤدّي الـخبر كلّ واحد منهما عن الآخر.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا يَأْتِيهِم مّن ذِكْرٍ مّنَ الرّحْمَـنِ مُحْدَثٍ إِلاّ كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك, وحقيقة ما تدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك, لتذكرهم به, إلا أعرضوا عن استماعه, وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبره

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَدْ كَذّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فقد كذّب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله, وأعرضوا عنه فَسَيَأْتِيهِمْ أنْبَاءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ يقول: فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون, وذلك وعيد من الله لهم أنه محلّ بهم عقابه على تماديهم في كفرهم, وتمرّدهم على ربهم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الأرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: أَوَ لم ير هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث والنشر إلى الأرض, كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها مِنْ كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ يعني بالكريم: الحسن, كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة, وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا, فكثرت ألبانهما: ناقة كريمة, وشاة كريمة. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20196ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: ثني أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ قال: من نبات الأرض, مما تأكل الناس والأنعام.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

20197ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله مِنْ كُلّ زَوْج كَرِيمٍ قال: حسن.

الآية : 8 - 9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: إن في إنباتنا في الأرض من كلّ زوج كريم لآية. يقول: لدلالة لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث, على حقيقته, وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جُدُوبها, لن يُعجزه أن يُنْشِر بها الأموات بعد مماتهم, أحياء من قبورهم. وقوله: وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ يقول: وما كان أكثر هؤلاء المكذّبين بالبعث, الجاحدين نبوّتك يا محمد, بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر. يقول جلّ

ثناؤه: وقد سبق في عملي أنهم لا يؤمنون, فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم. وقوله: وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرّحِيمُ يقول: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته, لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه. يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت بهؤلاء المكذّبين بك يا محمد, المعرِضين عما يأتيهم من ذكر من عندي, عقوبتي بتكذيبهم إياك, فلن يمنعهم مني مانع, لأني أنا العزيز الرحيم, يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته, أن يعاقبه على ما سلف من جُرْمه بعد توبته. وكان ابن جُرَيج يقول في معنى ذلك, ما:

20198ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني الحجاج, عن ابن جُرَيج قال: كلّ شيء في الشعراء من قوله «عَزِيزٌ رَحِيمٌ» فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم, يقول عزيز, حين انتقم من أعدائه, رحيم بالمؤمنين, حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع, لأن قوله: وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرّحِيمُ عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث, لم يكونوا أهلكوا, فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه. ولعلّ ابن جُرَيج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من أهلك من الأمم, وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك.

الآية : 10 - 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ نَادَىَ رَبّكَ مُوسَىَ أَنِ ائْتَ الْقَوْمَ الظّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران أنِ ائْتِ القَوْمَ الظّالِمِينَ يعني الكافرين قوم فرعون, ونصب القوم الثاني ترجمة عن القوم الأوّل, وقوله ألا يَتّقُونَ يقول: ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به. ومعنى الكلام: قوم فرعون فقل لهم: ألا يتقون. وترك إظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه. وإنما قيل: ألا يتقون بالياء, ولم يقل ألا تتقون بالتاء, لأن التنزيل كان قبل الخطاب, ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا, كما قيل: قُلْ لِلّذِينَ كَفَرُوا سيُغلبونَ و«ستُغلبونَ».

الآية : 12 - 14

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ رَبّ إِنّيَ أَخَافُ أَن يُكَذّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىَ هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ }.

يقول تعالى ذكره: قالَ موسى لربه رَبّ إنّي أخافُ من قوم فرعون الذين أمرتني أن آتيهم أنْ يُكَذّبُونِ بقيلي لهم: إنك أرسلتني إليهم وَيَضِيقُ صَدْرِي من تكذيبهم إياي إن كذّبوني. ورفع قوله: وَيَضيقُ صَدْرِي عطفا به علَى أخاف, وبالرفع فيه قرأته عامة قرّاء الأمصار, ومعناه: وإني يضيق صدري. وقوله: وَلا يَنْطَلِقُ لسانِي يقول: ولا ينطلق بالعبارة عما ترسلني به إليهم, للعلة التي كانت بلسانه. وقوله: وَلا يَنْطَلِق لِسانِي كلام معطوف به على يضيق.) وقوله: فأَرْسِلْ إلى هارُونَ يعني هارون أخاه, ولم يقل: فأرسل إليّ هارون ليؤازرني وليعينني, إذ كان مفهوما

معنى الكلام, وذلك كقول القائل: لو نزلت نازلة لفزعنا إليك, بمعنى: لفزعنا إليك لعتيننا.) وقوله: ولَهُمْ عَلَيّ ذَنْبٌ يقول: ولقوم فرعون عليّ دعوى ذنب أذنبت إليهم, وذلك قتله النفس التي قتلها منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.) ذكر من قال ذلك:

20199ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ولَهُمْ عَلَيّ ذَنْبٌ فأخافُ أنْ يَقْتُلُونِ قال: قتل النفس التي قتل منهم.

حدثنا القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: قتْل موسى النفس.

20200ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة, قوله وَلهُمْ عَلَيّ ذَنْبٌ قال: قتل النفس. وقوله: فَأخافُ أنْ يَقْتُلُونِ يقول: فأخاف أن يقتلوني قودا بالنفس التي قتلت منهم.

الآية : 15 - 17

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ كَلاّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَآ إِنّا مَعَكُمْ مّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولآ إِنّا رَسُولُ رَبّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ }.

يقول تعالى ذكره: كَلاّ: أي لن يقتلك قوم فرعون فاذْهَبا بآياتِنا يقول: فاذهب أنت وأخوك بآياتنا, يعني بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم. وقوله: إنّا مَعَكُمْ مُسْتَمعُون من قوم فرعون ما يقولون لكم, ويجيبونكم به. وقوله: فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا... الآية, يقول: فأت أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون فَقُولا إنّا رَسُولُ رَبّ العالَمينَ إليك بأنْ أرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسْرائِيلَ وقال رسول ربّ العالمين, وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا, لأنه أراد به المصدر من أرسلت, يقال: أرسلت رسالة ورسولاً, كما قال الشاعر:

لقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِندَهمْ بِسُوءٍ وَلا أرْسَلْتُهُمْ بِرَسُول

يعني برسالة, وقال الآخر:

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي خُفافا رَسُولاً بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهاها

يعني بقوله: رسولاً: رسالة, فأنث لذلك الهاء.

الآية : 18 - 19

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَلَمْ نُرَبّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }.

وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه, وهو: فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه, فقال فرعون: ألم نر بك فينا يا موسى وليدا, ولبثت فينا من عمرك سنين؟ وذلك مكثه عنده قبل قتل القتيل الذي قتله من القبط, (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني: قتله النفس التي قتل من القبط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20201ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَفَعَلْتَ فعْلَتَكَ التـي فَعَلْتَ وأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ قال فعلتها إذا وأنا من الضالـين. قال: قتل النفس.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
وإنـما قـيـل وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ لأنها مرّة واحدة, ولا يجوز كسر الفـاء إذا أريـد بها هذا الـمعنى. وذُكر عن الشعبـي أنه قرأ ذلـك: «وَفَعَلْـتَ فِعْلَتَـكَ» بكسـر الفـاء, وهي قراءة لقرّاءة القرّاء من أهل الأمصار مخالفة.
وقوله: وأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ اختلف أهل التأويـل فـي تأويــل ذلـك, فقـال بعضهم: معنى ذلك: وأنت من الكافرين بـالله علـى ديننا. ذكر من قال ذلك:
20202ـ حدثنــي موسـى بـن هـارون, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبـاط, عن السديّ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التـي فَعَلْتَ وأنْـتَ مِـنَ الكـافِرِينَ يعنــي علـى ديننا هذا الذي تعيب.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت من الكافرين نعمتنا علــيك. ذكـر مـن قال ذلك:
20203ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله وَفَعَلْتَ فَعْلَتَـكَ التــي فَعَلْـتَ وأنْـتَ مِـنَ الكـافِرِينَ قـال: ربــيناك فــينا ولـيدا, فهذا الذي كافأتنا أن قتلت منا نفسا, وكفرت نعمتنا
20204ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس وأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ يقول: كافرا للنعمة لأن فرعون لـم يكن يعلـم ما الكفر.
قال أبو جعفر: وهذا القول الـذي قـاله ابـن زيـد أشـبه بتأويــل الآيـة, لأن فرعون لـم يكن مقرّا لله بـالربوبـية وإنـما كان يزعـم أنـه هـو الـربّ, فغيـر جـائز أن يقـول لــموسى إن كـان موسـى كـان عنـده علــى دينـه يـوم قتـل القتـيـل علـى ما قاله السديّ: فعلت الفعلـة وأنـت مـن الكـافرين, الإيــمان عنده: هو دينه الذي كان علـيه موسى عنـده, إلا أن يقـول قائـل: إنــما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى, علـى قولك الـيوم, فــيكون ذلـك وجهـا يتوجه. فتأويـل الكلام إذن: وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنـا علـيك, وإحساننا إلـيك فـي قتلك إياه. وقد قـيـل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتـي علـيك, وتربـيتـي إياك.

الآية : 20 - 21

القـول فــي تأويــل قـوله تعالــى: {قَـالَ فَعَلْتُهَـآ إِذاً وَأَنَـاْ مِـنَ الضّـالّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: قال موسى لفرعون: فعلت تلك الفعلة التـي فعلت, أي قتلت تلك النفس التـي قتلـتُ إذن وأنـا مـن الضالــين. يقـول: وأنـا مـن الـجاهلـين قبل أن يأتـينـي من الله وحي بتـحريـم قتله علـيّ. والعـرب تضـع من الضلال موضع الـجهل, والـجهل موضع الضلال, فتقـول: قـد جهـل فلان الطريق وضلّ الطريق, بـمعنى واحد. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
20205ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسين, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وأنا مِنَ الضّالّـينَ قال: من الـجاهلـين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله. قال ابن جُرَيج: وفي قراءة ابن مسعود: «وأنا مِنَ الجاهِلِينَ».
20206ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة وأنا مِنَ الضّالّينَ قال: من الجاهلين.
20207ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ فقال موسى: لم أكفر, ولكن فعلتها وأنا من الضالين. وفي حرف ابن مسعود: «فَعَلْتُها إذا وأنا مِنَ الجاهِلِينَ».
20208ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: قالَ فَعَلْتُها إذا وأنا مِنَ الضّالينَ قبل أن يأتيني من الله شيء كان قتلى إياه ضلالة خطأ. قال: والضلالة ههنا الخطأ, لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله.
20209ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قال فَعَلْتُها إذا وأنا مِنَ الضّالّينَ يقول: وأنا من الجاهلين.
وقوله فَفَرَرْت مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ... الآية, يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون: فَفَرَرْتُ مِنْكُم معشر الملأ من قوم فرعون لَمّا خِفْتُكُمْ أن تقتلوني بقتلي القتيل منكم فَوَهَبَ لِي رَبّي حُكْما يقول: فوهب لي ربي نبوّة وهي الحكم. كما.
20210ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط عن السدّيّ فَوَهَبَ لي رَبّي حُكْما والحكم: النبوّة.
وقوله: وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ يقول: وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه, مبلغا عنه رسالته إليهم بإرساله إياي إليك يا فرعون.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنّهَا عَلَيّ أَنْ عَبّدتّ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ مّوقِنِينَ }.
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون وَتِلكَ نِعْمَةٌ تَمُنّها عَلَيّ يعني بقوله: وتلك تربية فرعون إياه, يقول: وتربيتك إياي, وتركك استعبادي, كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحقّ. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه, وهو: وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل وتركتني, فلم تستعبدني, فترك ذكر «وتركتني» لدلالة قوله أن عبّدتّ بني إسرائيل عليه, والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام, ونظير ذلك في الكلام أن يستحقّ رجلان من ذي سلطان عقوبة, فيعاقب أحدهما, ويعفو عن الآخر, فيقول المعفوّ عنه هذه نعمة عليّ من الأمير أن عاقب فلانا, وتركني, ثم حذف «وتركني» لدلالة الكلام عليه, ولأن في قوله: أنْ عبّدتّ بَنِي إسْرائِيلَ وجهين: أحدهما النصب, لتعلق «تمنها» بها, وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنها عليّ لتعبدك بني إسرائيل. والآخر: الرفع على أنها ردّ على النعمة. وإذا كانت رفعا كان معنى الكلام: وتلك نعمة

تـمنها علـيّ تعبـيدك بنـي إسرائيـل. ويعنـي بقوله: أنْ عَبّدتّ بَنِـي إسْرَائِيـلَ: أن اتـخذتهم عبـيدا لك. يقال منه: عبدت العبـيد وأعبدتهم, قال الشاعر:
عَلامَ يُعْبِدنِـي قَوْمِي وقدْ كَثُرَتْفِـيها أبـاعِرُ ما شاءُوا وَعُبْدَانُ
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
20211ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد تـمُنّها عَلـيّ أنْ عَبّدتّ بَنِـي إسْرَائِيــلَ قـال: قهرتهم واستعملتهم.
20212ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قـال: تــمن علــيّ أن عبّـدت بنــي إسرائيــل, قـال: قهـرت وغلبـت واستعملت بنـي إسرائيـل.
20213ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَـمُنّها عَلـيّ أنْ عَبّدتّ بَنِـي إسْرَائِيــلَ وربـيتنــي قبـل ولـيدا.
وقال آخرون: هذا استفهام كان من موسـى لفرعـون, كـأنه قـال: أتــمنّ علـيّ أن اتـخذت بنـي إسرائيـل عبـيدا. ذكر من قال ذلك:
20214ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, فـي قوله: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَـمُنّها عَلـيّ قال: يقول موسى لفرعون: أتـمنّ علـيّ أن اتـخذت أنت بنـي إسرائيـل عبـيدا.
واختلف أهل العربـية فـي ذلك, فقال بعض نـحويـي البصرة: وتلـك نعمـة تـمنها علـيّ, فـيقال: هذا استفهام كأنه قال: أتـمنها علـيّ؟ ثم فسـر فقـال: أنْ عَبّدتّ بَنِـي إسْرَائِيـلَ وجعله بدلاً من النعمـة. وكـان بعـض أهـل العربــية ينكر هذا القول, ويقول: هو غلط من قائله لا يجوز أن يكون همز الاسـتفهام يـلقـي, وهو يطلب, فـيكون الاستفهام كالـخبر, قال: وقد استقبح ومعـه أم, وهي دلـيـل علـى الاستفهام واستقبحوا:
تَرُوحُ منَ الـحَيّ أمْ تَبْتَكرْوَماذا يَضُرّكَ لَوْ تَنْتَظرْ؟
قال: وقال بعضهم: هو أتروح من الـحيّ, وحذف الاستفهام أوّلا اكتفـاء بأم. وقال أكثرهم: بل الأوّل خبر, والثانـي اسـتفهام, وكـأن «أم» إذا جـاءت بعـد الكلام فهي الألـف, فأمـا ولــيس معـه أم, فلــم يقلـه إنسـان. وقـال بعـض نـحويـي الكوفة فـي ذلك ما قلنا. وقال: معنى الكلام: وفعلت فعلتـك التــي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتـي: أي لنعمة تربـيتـي لك, فأجابه فقال: نعم هي نعمة علـيّ أن عبّدت الناس ولـم تستعبدنـي.
وقول قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبّ الْعالَـمينَ يقول: وأيّ شيء ربّ العالـمين؟ قالَ موسى هو رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ ومالكهنّ وَما بَـيْنَهُما يقول: ومالك ما بـين السموات والأرض من شيء إنْ كُنْتُـمْ مُوقِنـينَ يقول: إن كنتــم موقنــين أن ما تعاينونه كما تعاينونه, فكذلك فـأيقنوا أن ربنـا هـو ربّ السـموات والأرض وما بـينهما.

الآية : 25 - 29

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبّكُمْ وَرَبّ آبَآئِكُمُ الأوّلِينَ * قَالَ إِنّ رَسُولَكُمُ الّذِيَ أُرْسِلَ إِلَيْكُـمْ لَمَجْنُـونٌ * قَـالَ

رَبّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتّخَـذْتَ إِلَـهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ألا تَسْتَمِعُونَ قال فرعون لمن حوله من قوله: ألا تستمعون لما يقول موسى, فأخبر موسى عليه السلام القوم بالجواب عن مسئلة فرعون إياه وقيله له وَما رَبّ العالَمِينَ ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون, وجوابه إياه عما سأله, إذ قال لهم فرعون ألا تَسْتَمِعُونَ إلى قول موسى, فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته رَبّكُمْ الذي خلقكم وَرَبّ آبائِكُمُ الأوّلينَ فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك, وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه: إنّ رَسُولَكُمُ الّذِي أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُون يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله, لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه, وإنما قال ذلك ونسب موسى عدوّ الله إلى الجِنّة, لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا ربّ غيره يعبد, وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة, فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم, ومعرّفهم ربهم بصفته وأدلته, إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربا لهم في ذلك الوقت هو فرعون, وأن الذي يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر, كانوا قبل فرعون, قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه, ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون, لأن كلامه كان عندهم كلاما لا يعقلون معناه: الذي أدعوكم وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها, وما بينهما من شيء لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا, ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم, وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم. فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح, إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر, وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى إلى عبادته, هو الملك الذي يملك الملوك. قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحقّ, وتماديا في الغيّ لموسى: لَئِنِ اتّخَذْتَ آلها غَيْرِي يقول: لئن أقررت بمعبود سواي لأَجْعَلَنّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ يقول: لأسجننك مع من في السجن من أهله.

الآية : 30 - 33

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيءٍ مّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ * فَأَلْقَىَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنّاظِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون لما عرفه ربه, وأنه ربّ المشرق والمغرب, ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له, وأجابه فرعون بقوله لَئِنِ اتّخَذْتَ إلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ: أتجعلني من المسجونين وَلَوْ جِئْتُكَ بشَيْءٍ مُبينٍ يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك إليه؟ وإنما قال ذلك له, لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف, والإجابة إلى الحقّ بعد البيان فلما قال موسى له ما قال من ذلك, قال له فرعون: فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول, فإنا لن نسجنك حينئذ إن اتخذت إلها غيري إن كنت من الصادقين: يقول: إن كنت

محقا فيما تقول, وصادقا فيما تصف وتخبر. فَأَلْقَى عَصَاهُ فإذَا هيَ ثُعْبَانٌ مُبينٌ يقول جلّ ثناؤه: فألقى موسى عصاه فتحوّلت ثعبانا, وهي الحية الذكر كما قد بيّنت فيما مضى قبل من صفته وقوله مُبِينٌ يقول: يبين لفرعون والملأ من قومه أنه ثعبان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20215ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, عن شهر بن حوشب, عن ابن عباس, قوله فَأَلْقَى عَصَاهُ فإذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ يقول: مبين له خلق حية. وقوله: وَنَزَعَ يَدَه فإذَا هيَ بَيْضَاءُ يقول: وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هي بيضاء تلمع للنّاظِرِينَ لمن ينظر إليها ويراها.

20216ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثام بن عليّ, قال: حدثنا الأعمش, عن المنهال, قال: ارتفعت الحية في السماء قدر ميل, ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها, فجعلت تقول: يا موسى مرني بما شئت, فجعل فرعون يقول: يا موسى أسألك بالذي أرسلك, قال: فأخذه بطنه.

الآية : 34 - 37

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنّ هَـَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوَاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلّ سَحّارٍ عَلِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه إليه, وصدق ما أتاه به من عند ربه لِلْمَلإِ حَوْلَه يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله: إنّ هَذَا لَساحِرٌ عَلِيمٌ يقول: إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا عَلِيمٌ, يقول: ذو علم بالسحر وبصر به يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ يقول: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشأم بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملإ حوله من القبط, والمعنيّ به بنو إسرائيل, لأن القبط كان قد استعبدوا بني إسرائيل, واتخذوهم خدما لأنفسهم ومُهّانا, فلذلك قال لهم: يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشأم.

وإنما قلت معنى ذلك كذلك, لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه, فقال له ولأخيه فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إنّا رَسُولُ رَبّ العالَمِينَ أنْ أرْسِلْ مَعَنا بَني إسْرائِيلَ.

وقوله: فَمَاذَا تَأْمُرُونَ يقول: فأيّ شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه؟ قالُوا أرْجِهْ وأخاهُ, وَابْعَثْ في المَدَائِنِ حاشِرِينَ يقول تعالى ذكره: فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له: أخّر موسى وأخاه وأنِظره, وابعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحّار عليم بالسحر.

الآية : 38 - 40

القول في تأويل قوله تعالى: {فَجُمِعَ السّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنتُمْ مّجْتَمِعُونَ * لَعَلّنَا نَتّبِعُ السّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ الْغَالِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة لِميقاتِ يَوْم مَعْلُومٍ يقول: لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم, وذلك يوم الزّينة وَأَنْ يُحْشرَ النّاسُ ضُحَى وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان, ولمن تكون الغلبة, لموسى أو للسحرة؟ فلعلنا نتبع السحرة. ومعنى لعلّ هنا: كي. يقول: كي نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى. وإنما قلت ذلك معناها, لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون, فغير معقول أن يقول من كان على دين: أنظر إلى حجة من هو على خلافي لعلي أتبع ديني, وإنما يقال: أنظر إليها كي أزدادَ بصيرة بديني, فأقيم عليه. وكذلك قال قوم فرعون, فإياها عنوا بقيلهم: لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين. وقيل: إن اجتماعهم للميقات الذي اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية. ذكر من قال ذلك:

20217ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقِيلَ للنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ قال: كانوا بالإسكندرية, قال: ويقال: بلغ ذنب الحية م ن وراء البحيرة يومئذ, قال: وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به, فقال: فخذها يا موسى, قال: فكان فرعون مما يلي الناس منه أنه كان لا يضع على الأرض شيئا, قال: فأحدث يومئذ تحته, قال: وكان إرساله الحية في القبة الحمراء.

الآية : 41 - 44

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا جَآءَ السّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَإِنّ لَنَا لأجْراً إِن كُنّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنّكُمْ إِذاً لّمِنَ الْمُقَرّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مّوسَىَ أَلْقُواْ مَآ أَنتُمْ مّلْقُونَ * فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزّةِ فِرْعَونَ إِنّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فَلَمّا جاءَ السّحَرَةُ فرعون لوعدِ لموسى وموعد فرعون قالُوا لِفرْعَوْنَ أَئِنّ لَنا لأَجْرا سحرنا قبلك إِنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ موسى, قالَ فرعون لهم نَعَمْ لكم الأجر على ذلك وَإِنّكُمْ لَمِنَ المُقَرّبِينَ منا. فقالوا عند ذلك لموسى: إما أن تلقى, وإما أن نكون نحن الملقين, وترك ذكر قيلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون, على أن ذلك معناه ف قالَ لَهُمْ مُوسَى ألْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ من حبالكم وعصيكم فَألْقَوا حِبالَهُمْ وَعِصِيّهُمْ من أيديهم وَقالُوا بعزّةِ فِرْعَوْنَ يقول: أقسموا بقوّة فرعون وشدّة سلطانه, ومنعة مملكته إنّا لَنَحْنُ الغالِبُونَ موسى.

الآية : 45 - 48

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَلْقَىَ مُوسَىَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنّا بِرَبّ الْعَالَمِينَ * رَبّ مُوسَىَ وَهَارُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فَأَلْقى مُوسَى عَصَاهُ حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم, فَإِذَا هيَ تَلْقَفُ مَا يأفِكُونَ يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفِرْية والسحر الذي لا حقيقة له, وإنما هو مخاييل وخدعة فَأُلْقِيَ السّحَرَة ساجِدِينَ يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حقّ لا سحر, وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من

غير أصل, خرّوا لوجوههم سجدا لله, مذعنين له بالطاعة, مقرّين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحقّ, وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل, قائلين: آمَنّا بِرَبّ الْعَالَمِينَ الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه رَبّ مُوسَى وَهَارُونَ. قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ يقول جلّ ثناؤه: قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا: آمنتم لموسى بأن ما جاء به حقّ قبل أن آذن لكم في الإيمان به إنّهُ لَكَبِيرُكُمُ الّذِي عَلّمَكُمُ السّحْرَ يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر, وهو الذي علّمكموه, ولذلك آمنتم به, فَلَسَوْفَ تَعْلَمَونُ عند عقابي إياكم وبالَ ما فعلتم, وخطأ ما صنعتم من الإيمان به.

الآية : 49 - 50

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنّهُ لَكَبِيرُكُمُ الّذِي عَلّمَكُمُ السّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطّعَنّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلّبَنّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ لاَ ضَيْرَ إِنّآ إِلَىَ رَبّنَا مُنقَلِبُونَ }.

يقول لأُقَطّعَنّ أيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مخالفا في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل, وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى, ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى, ونحو ذلك من قطع اليد من جانب, ثم الرجل من الجانب الآخر, وذلك هو القطع من خلاف وَلأُصَلّبَنّكُمْ أجَمعِينَ فوكد ذلك بأجمعين إعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا قالُوا لا ضَيْرَ يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا ضير علينا وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلانٌ فلانا فهو يضير ضيرا, ومعناه: لا ضرر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20218ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لا ضَيْرَ قال: يقول: لا يْضرّنا الذي تقول, وإن صنعته بنا وصلبتنا إنّا إلى رَبّنا مُنْقَلِبُونَ يقول: إنا إلى ربنا راجعون, وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا, وثباتنا على توحيده, والبراءة من الكفر به.

الآية : 51 - 52

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبّنَا خَطَايَانَآ أَن كُنّآ أَوّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىَ مُوسَىَ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيَ إِنّكُم مّتّبِعُونَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة: إنا نطمع: إنا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به, فلا يعاقبنا بها. كما:

20219ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله إنّا نَطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لَنا رَبّنا خَطايانا قال: السحر والكفر الذي كانوا فيه أنْ كُنّا أوّلَ المُؤْمِنِينَ يقول: لأن كنا أوّل من آمن بموسى وصدّقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادّعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله أنْ كُنّا أوّلَ المُؤْمِنِينَ قال: كانوا كذلك يومئذ أوّل من آمن بآياته حين رأوها.

وقوله: وأَوْحَيْنا إلى مَوسَى أنْ أسْرِ بعِبادِي يقول: وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيّه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا, أن أسْرِ بعبادي: يقول: أن سر ببني إسرائيل ليلاً من أرض مصر إنّكُمْ مُتّبَعُونَ إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل, ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم, أرض مصر.

الآية : 53 - 56

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ * إِنّ هَـَؤُلآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ * وَإِنّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه, ويقول لهم إنّ هَؤُلاءِ يعني بهؤلاء: بني إسرائيل لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ يعني بالشرذمة: الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة, وشرذمة كل شيء: بقيته القليلة ومنه قول الراجز:

جاءَ الشِّتاءُ وقَمِيصِي أخْلاقْشَرَاذِمٌ يضْحَكُ مِنْهُ التّوّاقْ

وقيل: قليلون, لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة فلما جمع جمع جماعاتهم قيل: قليلون, كما قال الكُمَيت:

فَرّدّ قَوَاصِيَ الأَحْياءِ مِنْهُمْفَقَدْ صَارُوا كَحَيّ وَاحدِينا

وذُكر أن الجماعة التي سَمّاها فرعون شرذمة قليلين, كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفا. ذكر من قال ذلك:

20220ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي عُبيدة إنّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذَمَةٌ قَلِيلُونَ, قال: كانوا ستّ مئة وسبعين ألفا.

20221ـ قال: ثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي عُبيدة, عن عبد الله, قال: الشرذمة: ستّ مئة ألف وسبعون ألفا.

20222ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب القرظي, عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد, قال: اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف, وهم اثنان وسبعون, وخرجوا مع موسى وهم ستّ مئة ألف, فقال فرعون إنّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذَمَةٌ قَلِيلُونَ, وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمان مئة ألف.

20223ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن سعيد الجريري, عن أبي السليل, عن قيس بن عباد, قال: وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل, قال: فحدّثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ستّ مئة ألف, قال: وكان مقدمة فرعون سبعة مئة ألف, كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة, وفي يده حربة, وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر, قالت بنو إسرائيل: يا موسى أين ما وعدتنا, هذا البحر بين أيدينا, وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا, فقال موسى للبحر: انفلق أبا خالد, قال: لا لن أنفلق لك يا موسى, أنا أقدم منك خلقا قال: فنودي أنِ اضربْ بعصاك البحر, فضربه, فانفلق البحر, وكانوا اثني عشر سبطا. قال الجريري: فأحسبه قال: إنه كان لكل سبط طريق, قال: فلما انتهى أوّل جنود فرعون إلى البحر, هابت الخيل اللهب قال: ومَثّل لحصان منها فرس وديق, فوجد ريحها فاشتدّ, فاتبعه الخيل قال: فلما تتامّ آخر جنود فرعون في البحر, وخرج آخر بني إسرائيل, أمر البحر فانصفق عليهم, فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا, فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام, قال: فرمى به على الساحل, كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل.

20224ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله إنّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذَمَةٌ قَلِيلُونَ يعني بني إسرائيل.
20225ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله إنّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذَمَةٌ قَلِيلُونَ قال: هم يومئذ ستّ مئة ألف, ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.
20226ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله وأوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ أسْرِ بعِبادِي إنّكُمْ مُتّبَعُونَ قال: أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل, كلّ أربعة أبيات في بيت, ثم اذبحوا أولاد الضأن, فاضربوا بدمائها على الأبواب, فإني سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم, وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم, ثم اخبزوا خبزا فطيرا, فإنه أسرع لكم, ثم أسر بعبادي حتى تنتهي للبحر, فيأتيك أمري, ففعل فلما أصبحوا قال فرعون: هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا, فأرسل في أثرهم ألف ألف وخمس مئة ألف وخمس مئة ملك مُسَوّر, مع كل ملك ألف رجل, وخرج فرعون في الكَرِش العظمى, وقال إنّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذَمَةٌ قَلِيلُونَ قال: قطعة, وكانوا ستّ مئة ألف, مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين.

20227ـ قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن حوشب, عن ابن عباس, قال: كان مع فرعون يومئذ ألف جبار, كلهم عليه تاج, وكلهم أمير على خيل.
20228ـ قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم, يردّ أوائل الخيل على أواخرها, فأتبعهم حتى انتهى إلى البحر. وقوله: وإنّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ يقول: وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون, فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم. ذكر من قال ذلك:
20229ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وإنّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ يقول: بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: وإنهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعواريّ التي كانوا استعاروها منهم من الحليّ, ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم, وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك.
وقوله وَإنّا لَجَمِيعٌ حاذِرونَ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة وَإنّا لَجَمِيعٌ حاذِرونَ بمعنى: أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوّة وسلاح. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة: «وَإنّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ» بغير ألف. وكان الفرّاء يقول: كأن الحاذر الذي يحذرك الآن, وكأن الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه إلا حذرا ومن الحذر قول ابن أحمر:
هَلْ أنْسَأنْ يَوْما إلى غَيْرِهِإنّي حَوَالِيّ وآنِي حَذِرْ
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء, فمصيب الصواب فيه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20230ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, قال: سمعت الأسود بن زيد يقرأ: وَإنّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ قال: مقوون مؤدون.

20231ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عيسى بن عبيد, عن أيوب, عن أبي العرجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ: وَإِنّا لَجِمِيعٌ حاذِرُونَ يقول: مؤدون.
20232ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي في قوله: وَإِنّا لَجِمِيعٌ حاذِرُونَ يقول: حذرنا, قال: جمعنا أمرنا.
20233ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج وَإِنّا لَجِمِيعٌ حاذِرُونَ قال: مؤدون معدون في السلاح والكراع.
20234ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج أبو معشر, عن محمد بن قيس قال: كان مع فرعون ستّ مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل.
20235ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا سليمان بن معاذ الضبي, عن عاصم بن بهدلة, عن أبي رزين, عن ابن عباس أنه قرأها: وَإِنّا لَجِمِيعٌ حاذِرُونَ قال: مؤدون مقوون.

الآية : 57 - 60

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَخْرَجْنَاهُمْ مّن جَنّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مّشْرِقِينَ }.
يقول تعالى ذكره: فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء, وكنوز ذهب وفضة, ومقام كريم. قيل: إن ذلك المقام الكريم: المنابر. وقوله كَذلكَ يقول: هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها وأوْرَثْناها يقول: وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل. وقوله: فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ فأتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل, مشرقين حين أشرقت الشمس, وقيل حين أصبحوا.
20236ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: ثني أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ قال: خرج موسى ليلاً, فكسف القمر وأظلمت الأرض, وقال أصحابه: إن يوسف أخبرنا أنا سَننجي من فرعون, وأخذ علينا العهد لنخرجنّ بعظامه معنا, فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره, فوجد عجوزا بيتها على قبره, فأخرجته له بحكمها, وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا, أن قالت: احملني فأخرجني معك, فجعل عظام يوسف في كسائه, ثم حمل العجوز على كسائه, فجعله على رقبته, وخيل فرعون هي ملء أعنتها حضرا في أعينهم, ولا تبرح, حُبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا.
20237ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ قال: فرعون وأصحابه, وخيل فرعون في مل أعنتها في رأي عيونهم, ولا تبرح, حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا.

الآية : 61 - 63

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىَ إِنّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاّ إِنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَىَ مُوسَىَ أَنِ اَضْرِب بّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلّ فِرْقٍ كَالطّوْدِ الْعَظِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: فلما تناظر الجمعان: جمع موسى وهم بنو إسرائيل, وجمع فرعون وهم القبط قالَ أصْحابُ مُوسَى إنّا لَمُدْرَكُونَ أي إنا لملحقون, الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا, وذُكر أنهم قالوا ذلك لموسى, تشاؤما بموسى. ذكر من قال ذلك:

20238ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: قلت لعبد الرحمن فَلَمّا تَرَاءَى الجَمْعانِ قالَ أصْحابُ مُوسَى إنّا لَمُدْرَكُونَ قال: تشاءموا بموسى, وقالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا, ومن بعد ما جئتنا.

20239ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَلَمّا تَرَاءَى الجَمْعانِ فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم قالوا إنّا لَمُدْرَكُونَ. قَالُوا يا موسى أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أنْ تأتِيَنَا, وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا, إنا لمدركون البحر بين أيدينا, وفرعون من خلفنا.

20240ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, عن شهر بن حوشب, عن ابن عباس, قال: لما انتهى موسى إلى البحر, وهاجت الريح العاصف, فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الريح, وإلى البحر أمامهم قالَ أصْحابُ مُوسَى إنّا لَمُدْرَكُونَ قالَ كَلاّ إنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى الأعرج إنّا لَمُدْرَكُونَ, وقرأه الأعرج: «إنّا لَمُدّرَكُونَ» كما يقال نزلت, وأنزلت. والقراءة عندنا التي عليها قرّاء الأمصار, لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: كَلاّ إن مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما ذكرتم, كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين, يقول: سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه. كما:

20241ـ حدثني ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن كعب القرظي, عن عبد الله بن شداد بن الهاد, قال: لقد ذُكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفا من دُهم الخيل, سوى ما في جنده من شِيَة الخيل, وخرج موسى حتى إذا قابله البحر, ولم يكن عنه منصرف, طلع فرعون في جنده من خلفهم فَلَمّا تَرَاءَى الجَمْعانِ قالَ أصْحابُ مُوسَى إنّا لَمُدْرَكُونَ قالَ كَلا إنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ أي للنجاة, وقد وعدني ذلك, ولا خُلف لموعوده.

20242ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قالَ كَلاّ إنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ يقول: سيكفيني, وقال: عَسَى رَبكُمْ أنْ يُهْلِكَ عَدُوّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ, وقوله فَأوْحَيْنا إلى مُوسَى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ ذكر أن الله كان قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه.)

20243ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: فتقدّم هارون فضرب البحر, فأبى ينفتح, وقال: من هذا الجبار الذي يضربني, حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد, وضربه فانفلق.

20244ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, قال: أوحى الله فيما ذكر إلى البحر: إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له, قال: فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله, وانتظار أمره, وأوحى الله إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر, فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه, فانفلق.

20245ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, ظن سليمان التيمي, عن أبي السليل, قال: لما ضرب موسى بعصاه البحر, قال: إيها أبا خالد, فأخذه أَفْكَلٌ.

20246ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جرَيج, وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره, قالوا: لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الريح والبحر يرمي بثيّاره, ويموج مثل الجبال, وقد أوحى الله إلى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا, فقال له يوشع: يا كليم الله أين أمرت؟ قال: ههنا, قال: فجاز البحر ما يواري حافره الماء, فذهب القوم يصنعون مثل ذلك, فلم يقدروا, وقال له الذي يكتم إيمانه: يا كليم الله أين أمرت؟ قال: ههنا, فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه, ثم قحمه البحر فأرسب في الماء, فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر, فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق, فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتلّ سرجه ولا لبده.

وقوله: فَكان كُلّ فِرْقٍ كالطّوْدِ العَظِيمِ يقول تعالى ذكره: فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبلَ العظيم. وذُكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط, لكل سبط منهم فرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20247ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فانْفَلَقَ فَكانَ كُلّ فِرْقٍ كالطّوْدِ العَظِيمِ يقول: كالجبل العظيم, فدخلت بنو إسرائيل, وكان في البحر اثنا عشرَ طريقا, في كل طريق سبط, وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران, فقال: كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان, فنظر آخرهم إلى أوّلهم حتى خرجوا جميعا.

20248ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, وحجاج, عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا: انفلق البحر, فكان كل فرق كالطود العظيم, اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط, وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا, وكانت الطرق بجدران, فقال كل سبط: قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى, دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان, ينظر بعضهم إلى بعض, وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قطّ حتى عبر.

20249ـ قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: لما انفلق البحر لهم صار فيه كوى ينظر بعضهم إلى بعض.

20250ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق فَكان كُلّ فِرْقٍ كالطّوْدِ العَظِيمِ أي كالجبل على نشَز من الأرض.

20251ـ حدثني عليّ, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله فَكان كُلّ فِرْقٍ كالطّوْدِ العَظِيمِ يقول: كالجبل.

20252ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله كالطَّوْدِ العَظِيمِ قال: كالجبل العظيم ومنه قول الأسود بن يعفر:

حَلّوا بأَنْقِرَةٍ يَسيلُ عَلَيْهِمُ ماء الفُرَاتِ يَجيءُ مِنْ أطْوَادِ

يعني بالأطواد: جمع طود, وهو الجبل.

الآية : 64 - 78

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَزْلَفْنَا ثَمّ الاَخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىَ وَمَن مّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمّ أَغْرَقْنَا الاَخَرِينَ * إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يعني بقول تعالى ذكره: وأزْلَفْنا ثَمّ الاَخَرِينَ: وقرّبنا هنالك آل فرعون من البحر, وقدمناهم إليه, ومنه قوله: وأُزْلِفَتِ الْجَنّةُ لِلْمُتّقِينَ بمعنى: قربت وأُدنيت ومنه قول العجاج:

طَيّ اللّيالي زُلَفا فَزُلَفاسَماوَةَ الهِلالِ حتى احْقَوْقَفَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20253ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله وأزْلَفْنا ثَمّ الاَخَرِينَ قال: قرّبنا.

20254ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله وأزْلَفْنا ثَمّ الاَخَرِينَ قال: هم قوم فرعون قرّبهم الله حتى أغرقهم في البحر.

20255ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى ببني إسرائيل البحر من البحر فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا, قال: ألا ترون البحر فرق مني, قد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم, فذلك قول الله وأزْلَفْنا ثَمّ الاَخَرِينَ يقول: قرّبنا ثم الاَخرين هم آل فرعون فلما قام فرعون على الطرق, وأبت خيله أن تتقحم, فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانة, فتشامّتْ الخُصُن ريح الماذيانة فاقتحمت في أثرها حتى إذا همّ أوّلهم أن يخرج ودخل آخرهم, أمر البحر أن يأخذهم, فالتطم عليهم, وتفرّد جبرائيل بمقلة من مقل البحر, فجعل يدسها في فيه.

20256ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, قال: أقبل فرعون فلما أشرف على الماء, قال أصحاب موسى: يا مكلم الله إن القوم يتبعوننا في الطريق, فاضرب بعصاك البحر فاخلطه, فأراد موسى أن يفعل, فأوحى الله إليه: أن اترك البحر رَهْوا: يقول: أمره على سكناته إنّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ إنما أمكر بهم, فإذا سلكوا طريقكم غرقتهم فلما نظر فرعون إلى البحر قال: ألا ترون البحر فِرق مني حتى تفتح لي, حتى أدرك أعدائي فأقتلهم فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان, فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف, وقال فرعون: أنا راجع, فمكر به جبرائيل عليه السلام, فأقبل على فرس أنثى, فأدناها من حصان فرعون, فطفق فرسه لا يقرّ, وجعل جبرائيل يقول: تقدم, ويقول: ليس أحد أحقّ بالطريق منك, فتشامّت الخُصُن الماذيانة, فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره فلما انتهى

فرعون إلى وسط البحر, أوحى الله إلى البحر: خذ عبدي الظّالم وعبادي الظلمة, سلطاني فيك, فإني قد سلطتك عليهم, قال: فتغطغطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال, وضرب بعضها بعضا فلما أدركه الغرق قالَ آمَنْتُ أنّه لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرَائيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه لما ردّ من آيات الله, ولطول علاج موسى إياه, فدخل في أسفل البحر, فأخرج طينا, فحشاه في فم فرعون لكيلا يقولها الثانية, فتدركه الرحمة, قال: فبعث الله إليه ميكائيل يعبره: آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ وقال جبرائيل: يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين أحدهما من الجنّ وهو إبليس, والآخر فرعون قالَ أنَا رَبّكُمُ الأَعْلى ولقد رأيتني يا محمد, وأنا أحشو في فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها. وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: وأزْلَفْنا ثَمّ الآخَرِينَ وجمعنا, قال: ومنه ليلة المزدلفة, قال: ومعنى ذلك: أنها ليلة جمع. وقال بعضهم: وأزلفنا ثم وأهلكنا. وقوله: وأنجَيْنا مُوسَى وَمَنْ مَعَه أجَمعِينَ يقول تعالى ذكره: وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين, وقوله: ثُمّ أغْرَقْنا الآخَرِينَ يقول: ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه, وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَةً يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلت بفرعون ومن معه تغريقي إياهم في البحر إذ كذّبوا رسولي موسى, وخالفوا أمري بعد الإعذار إليهم, والإنذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي, وعظة لهم وعبرة أن ادّكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم, فيحلّ بهم من العقوبة نظير ما حلّ بهم, ولك آية في فعلي بموسى, وتنجيتي إياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه, وإظهاري إياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم, على أني سالك فيك سبيله, إن أنت صبرت صبره, وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه, ومظهرك على مكذّبيك, ومعليك عليهم, وما كان أكثرهم مؤمنين يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحقّ المبين, فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون وَإنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه, الرّحِيمُ بمن أنجى من رسله, وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذّب به الكفرة.

الآية : 69 - 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلّ لَهَا عَاكِفِينَ }.

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أيّ شيء تعبدون؟ قَالوا له: نَعْبُدُ أصْنَاما فَنَظَلّ لَهَا عَاكِفِين يقول: فنظلّ لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها. وقد بيّنا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وكان ابن عباس فيما روي عنه يقول في معنى ذلك ما.

20257ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: قالُوا نَعْبُدُ أصْناما فَنَظَلّ لَهَا عاكِفِينَ قال: الصلاة لأصنامهم.

الآية : 72-74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ }.

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أيّ شيء تعبدون؟ قالوا له: نَعْبُدُ أصْنَاما فَنَظَلّ لَهَا عَاكِفِين يقول: فنظلّ لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها. وقد بيّنا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وكان ابن عباس فيما روي عنه يقول في معنى ذلك ما.

20257ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: قالُوا نَعْبُدُ أصْناما فَنَظَلّ لَهَا عاكِفِينَ قال: الصلاة لأصنامهم.

الآية : 75 - 77

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمُ الأقْدَمُونَ * فَإِنّهُمْ عَدُوّ لِيَ إِلاّ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون, يعني بالأقدمين: الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم, وهم الأوّلون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام, فإنهم عدوّ لي إلا ربّ العالمين. يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدوّ لي لو عبدتهم يوم القيامة, كما قال جلّ ثناؤه واتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّا, كَلاّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا. وقوله: إلاّ رَبّ العالَمينَ نصبا على الاستثناء, والعدوّ بمعنى الجمع, ووجد لأنه أخرج مخرج المصدر, مثل القعود والجلوس. ومعنى الكلام: أفرأيتم كلّ معبود لكم ولآبائكم, فإني منه بريء لا أعبده, إلا ربّ العالمين.

الآية : 78 - 80

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ }.

يقول: فإنهم عدوّ لي إلا ربّ العالمين الّذي خَلَقَنِي فَهُو يَهْدِينِ للصواب من القول والعمل, ويسدّدني للرشاد وَالّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ يقول: والذي يغدوني بالطعام والشراب, ويرزقني الأرزاق وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ يقول: وإذا سقم جسمي واعتلّ, فهو يبرئه ويعافيه.

الآية : 81 - 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِي يُمِيتُنِي ثُمّ يُحْيِينِ * وَالّذِيَ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدّينِ }.

يقول: والذي يـميتنـي إذا شاء ثم يحيـينـي إذا أراد بعد مـماتــي وَالّـذِي أطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لـي خَطِيئَتِـي يَوْمَ الدّينِ فرّبى هذا الذي بـيده نفعـي وضـرّي, وله القدرة والسلطان, وله الدنــيا والآخـرة, لا الـذي لا يسـمع إذا دُعـي, ولا ينفع ولا يضرّ. وإنـما كان هذا الكلام من إبراهيـم احتـجاجا علـى قومه, فــي أنه لا تصلـح الألوهة, ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لـمن يفعل هذه الأفعــال, لا لـمن لا يطيق نفعا ولا ضرّا. وقـيـل: إن إبراهيـم صلوات الله عليه, عنــي بقوله: وَالّذِي أطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لـي خَطِيئَتِـي يَوْمَ الدّينِ: والذي أرجــو أن يغفـر لـي قولـي: إنّـي سَقِـيـمٌ, وقولـي: بَلْ فَعَلَـهُ كَبِـيرُهُمْ هَـذَا, وقولــي لسـارة إنها أختـي. ذكر من قال ذلك:

20258ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فـي قول اللـه: أنْ يَغْفِـرَ لــي خَطِيئَتِــي يَـوْمَ الـدّينِ قال: إنّـي سَقِـيـمٌ, وقوله فَعَلَهُ كَبِـيرُهُمْ هَذَا, وقوله لسارَة: إنها أختـي, حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله وَالّذِي أطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لـي خَطِيئَتِـي يَوْمَ الدّينِ قال: قوله إنّــي سَقِـيـمٌ, وقوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِـيرُهُمْ هَذَا, وقوله لسارَة: إنها أخْتـي.

قال: ثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو تُـمَيـلة, عن أبـي حمزة, عن جابر, عن عكرمـة ومــجاهد نــحوه. ويعنــي بقـوله يَـوْمَ الـدّينِ يـوم الــحساب, يـوم الـمـجازاة, وقد بـيّنا ذلك بشواهده فـيـما مضى.

الآية : 83 - 84

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {رَبّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصّـالِحِينَ * وَاجْعَل لّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن مسألة خـلـيـله إبراهيـم إياه رَبّ هَبْ لـي حُكْما يقول: ربّ هـب لــي نبـوّة وألْـحِقْنِــي بـالصّالِـحِينَ يقـول: واجعلنــي رسولاً إلـى خـلقك, حتـى تلـحقنـي بذلك بِعداد من أرسلته من رسـلك إلــى خـلقك, واتـمنته علـى وحيك, واصطفـيته لنفسك. وقوله: وَاجْعَلْ لـي لِسانَ صِدْقٍ فِـي الآخِرِينَ يقول: واجعل لـي فـي الناس ذكـرا جميلاً, وثنـاء حسـنا, بـاقـيًا فـيـمن يجيء من القرون بعدي. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20259ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي بكر, عن عكرمة, قوله وَاجْعَلْ لـي لِسانَ صِدْقٍ فِـي الآخِرِينَ, قـوله وآتَـيْنـاهُ أجْرَهُ فِـي الدّنْـيا. قال: إن الله فضله بـالـخُـلّة حيـن اتــخذه خـلــيلاً, فسـأل الله فقال: وَاجْعَلْ لـي لِسانَ صِدْقٍ فِــي الآخِرِيـنَ حتــى لا تكذّبنــي الأمــم, فأعطـاه اللـه ذلـك, فـإن الــيهود آمنـت بــموسى, وكفـرت بعيسـى, وإن النصارى آمنت بعيسى, وكفـرت بـمــحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم, وكلهـم يتولـى إبراهيـم قالت الـيهود: هو خـلـيـل الله وهو منا, فقطـع اللــه ولايتهـم منه بعد ما أقرّوا له بـالنبوّة وآمنـوا بـه, فقـال: مـا كـانَ إبْرَاهِيــمُ يَهُودِيّـا وَلا نَصْرَانِـيّا, وَلَكِنْ كانَ حَنِـيفـا مُسْلِــمَا وَمـا كـانَ مِـنَ الــمُشْرِكِينَ, ثـم أحـق ولايته بكم فقال: إنّ أوْلَـى النّاسِ بإبْرَاهيـمَ لَلّذِينَ اتّبَعُوهُ, وَهَذَا النّبِـيّ وَالّذِينَ آمَنُوا وَالله وَلِـيّ الـمُؤْمِنِـينَ فهذا أجـره الـذي عجـل لـه, وهـي الــحسنة, إذ يقول: وآتَـيْنـاهُ فـي الدّنْـيا حَسَنَةً وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه.

20260ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَاجْعَلْ لي لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ قال: اللسان الصّدْق: الذكْر الصدق, والثناء الصالح, والذكر الصالح في الآخرين من الناس, من الأمم.

الآية : 85 - 89

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنّةِ النّعِيمِ * وَاغْفِرْ لأبِيَ إنّهُ كَانَ مِنَ الضّآلّينَ * وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إلاّ مَنْ أتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }.

يعني إبراهيم صلوات الله عليه بقوله: وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنّةِ النّعِيمِ أورثني يا ربّ من منازل مَن هلك مِن أعدائك المشركين بك من الجنة, وأسكني ذلك وَاغْفِرْ لأبي يقول: واصفح لأبي عن شركه بك, ولا تعاقبه عليه إنّه كانَ مِنَ الضّآلّينَ يقول: إنه كان ممن ضلّ عن سبيل الهدى, فكفر بك. وقد بيّنا المعنى الذي من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه, واختلاف أهل العلم في ذلك, والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.)

و قوله: وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يقول: ولا تُذِلّني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مالٌ كان له في الدنيا, ولا بنوه الذين كانوا له فيها, فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه, ولا ينجيه منه. وقوله: إلاّ مَنْ أتى اللّهَ بِقَلْب سَلِيمٍ يقول: ولا تخزني يوم يبعثون, يوم لا ينفع إلا القلب السليم.

والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلام القلب من الشكّ في توحيد الله, والبعث بعد الممات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20261ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن عون, قال: قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حقّ, وأن الساعة قائمة, وأن الله يبعث من في القبور.

20262ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد إلاّ مَنْ أتى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ قال: لا شكّ فيه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله إلاّ مَنْ أتى اللّهَ بِقَلْب سَلِيمٍ قال: ليس فيه شكٌّ في الحقّ.

20263ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ قال: سليم من الشرك.

20264ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد إلاّ مَنْ أتى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ قال: سليم من الشرك, فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد.

20265ـ حدثني عمرو بن عبد الحميد الآمُلي, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن جُوَبير, عن الضحاك, في قول الله إلاّ مَنْ أتى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ قال: هو الخالص.

الآية : 90 - 95

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنّةُ لِلْمُتّقِينَ * وَبُرّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وأُزْلِفَتِ الجَنّةُ لِلْمُتّقِينَ وأدنيت الجنة وقرّبت للمتقين, الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا وَبُرّزَتِ الجَحِيمُ للْغاوِينَ يقول: وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل وَقِيلَ للغاوين أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ من الأنداد هَلْ يَنْصُرونَكُمْ اليوم من الله, فينقذونكم من عذابه أَوْ يَنْتَصِرُونَ لأنفسهم, فينجونها مما يُرَاد بها؟

وقوله: فَكُبْكِبُوا فيها هُمْ والغاوُونَ يقول: فرمي ببعضهم في الجحيم على بعض, وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم. وأصل كبكبوا: كببوا, ولكن الكاف كرّرت كما قيل: بِرِيحٍ صَرْصَرٍ يعني به صرّ, ونهنهني يُنهَنهني, يعني به: نهني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20266ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: فَكُبْكِبُوا قال: فدهوروا.

20267ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَكُبْكِبُوا فيها يقول: فجمعوا فيها.

20268ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَكُبْكِبُوا فِيها قال: طرحوا فيها. فتأويل الكلام: فكبكب هؤلاء الأنداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم والغاوون.

وذُكر عن قَتادة أنه كان يقول: الغاوون في هذا الموضع: الشياطين. ذكر الرواية عمن قال ذلك:

20269ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالغاوُونَ قال: الغاوون: الشياطين.

فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قَتادة: فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين.

وقوله: وَجُنُودُ إبْلِيسَ أجمَعُونَ يقول: وكبكب فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون. وجنود. كل من كان من أتباعه, من ذرّيته كان أو من ذرّية آدم.

الآية : 96 - 98

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللّهِ إِن كُنّا لَفِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ * إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس, وهم في الجحيم يختصمون تاللّهِ إنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول: تالله لقد كنا في ذهاب عن الحقّ, إن كنا لفي ضلال مبين, يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه, لمن تأمله وتدبره, أنه ضلال وباطل. وقوله: إذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ العالَمِينَ يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين نعد لكم برب العالمين فنعبدكم من دونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20270ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله إذْ نُسَوّيكُمْ برَبّ العالَمِينَ قال: لتلك الآلهة.

الآية : 99 - 102

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَضَلّنَآ إِلاّ الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنّ لَنَا كَرّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين في الجحيم: وَما أضَلّنا إلاّ المُجْرَمُونَ يعني بالمجرمين إبليس, وابن آدم الذي سنّ القتل. كما:

20271ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرِمة, قوله وَما أضَلّنا إلاّ المُجْرِمُونَ قال: إبليس وابن آدم القاتل.

وقوله فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ يقول: فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد, فيعفو عنا, وينجينا من عقابه وَلا صَدِيقٍ حَميمٍ من الأقارب.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بـ الشافعين, وبـ الصديق الحميم, فقال بعضهم: عني بالشافعين: الملائكة, وبالصديق الحميم: النسيب. ذكر من قال ذلك:

20272ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ قال: من الملائكة وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ قال: من الناس, قال مجاهد: صديق حميم, قال: شقيق.

وقال آخرون: كل هؤلاء من بني آدم. ذكر من قال ذلك:

20273ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا إسحاق بن سعيد البصريّ المسمعي, عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعي, قال: كان قَتادة إذا قرأ: فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ قال: يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع, وأن الحميم إذا كان صالحا شفع.

وقوله فَلَوْ أنّ لَنا كَرّةً فَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يقول: فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين.

الآية : 103 - 104

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: إن فيما احتجّ به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر, على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة, ويقتدون بهم في ذلك ما سنّ فيهم في الدار الآخرة, من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم, وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين, وإن ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد دونه, ثم لم يتب من كفره حتى هلك, الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم.

الآية : 105 - 107

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتّقُونَ * إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: كَذّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ نُوحٌ ألاَ تَتّقُونَ فتحذروا عقابه على كفركم به, وتكذيبكم رسله إنّي لَكُمْ رَسُولٌ من الله أمِينٌ على وحيه إليّ, برسالته إياي إليكم.

الآية : 108 -110

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ * فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ }.

يقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به, وأطيعوني في نصيحتي لكم, وأمري إياكم باتقائه وَما أسْألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ يقول: وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمري إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم, من ثواب ولا جزاء إنْ أجرِيَ إلاّ عَلى رَبّ العالَمِينَ دونكم ودون جميع خلق الله, فاتقوا عقاب الله على كفركم به, وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله, وأطيعون: يقول: وأطيعوني في نصيحتي لكم, وأمري إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم.

الآية : 111 - 113

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتّبَعَكَ الأرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاّ عَلَىَ رَبّي لَوْ تَشْعُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم: إني لكم رسول أمين, فاتقوا الله وأطيعون قالوا: أنؤمن لك يا نوح, ونقرّ بتصديقك فيما تدعونا إليه, وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات قال وَمَا عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون, إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه, ولم أكلّف علم باطنهم, وإنما كلفت الظاهر, فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا, ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا إنْ حِسابُهُمْ إلاّ عَلى ربّي لَوْ تَشْعُرُونَ يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون, فإنه يعلم سرّ أمرهم وعلانيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20274ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله إنْ حِسابُهُمْ إلاّ عَلى رَبّي لَوْ تَشْعُرُونَ قال: هو أعلم بما في نفوسهم.

الآية : 114 - 116

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ مّبِينٌ * قَالُواْ لَئِنْ لّمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني على التصديق بما جئت به من عند الله إنْ أنا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه, وسطوته على كفركم به مبين: يَقول: نذير قد أبان لكم إنذاره, ولم يكتمكم نصحيته قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنّ مِنَ المَرْجُومِينَ يقول: قال لنوح قومهُ: لئن لم تنته يا نوح عما تقول, وتدعو إليه, وتعيب به آلهتنا, لتكونن من المشتومين, يقول: لنشتمك.

الآية : 117 - 120

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ رَبّ إِنّ قَوْمِي كَذّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجّنِي وَمَن مّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال نوح: رَبّ إنّ قَوْمِي كَذّبُونِ فيما أتيتهم به من الحقّ من عندك, وردّوا عليّ نصيحتي لهم فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحا يقول: فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك تهلك به المُبطل, وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك, وكذّب رسولك. كما:

20275ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله فافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحا قال: فاقض بيني وبينهم قضاء.

20276ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحا قال: يقول: اقض بيني وبينهم, وَنَجِّني يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكما بيني وبينهم وَمَنْ مَعِيَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يقول: والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي.

وقوله فَأَنجَيْناه وَمَنْ مَعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ يقول: فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين حين فتحنا بينهم وبين قومهم, وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين في الفلك المشحون, يعني في السفينة الموقرة المملوءة. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله الفُلْكِ المَشْحُونِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20277ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ قال: يعني الموقَر.

حدثنا محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا الحسين بن الحسن الأشقر, قال: حدثنا أبو كدينة, عن عطاء, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: المشحون: الموقَر.

20278ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله الفُلْكِ المَشْحُونِ قال: المفروغ منه المملوء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: المَشْحُونِ المفروغ منه تحميلاً.

20279ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قول الله الفُلْكِ المَشْحُونِ قال: هو المحمل.

وقوله: ثُمّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الباقِينَ من قومه الذين كذّبوه, وردّوا عليه النصيحة.

الآية : 121 - 122

القول في تأويل قوله تعالى: (حسر سورة الشعراء) {إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون, حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا, بقومه الذين كذّبوه, لآية لك ولقومك المصدّقيك منهم والمكذّبيك, في أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم, إذا نزلت نقمتنا بالمكذّبين بهم من قومهم,

وإهلاك المكذّبين بالله, وكذلك سنتي فيك وفي قومك. وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ يقول: ولم يكن أكثر قومك بـ الذين يصدّقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا وَإنّ رَبّكَ لَهُوَ العَزِيزُ في انتقامه ممن كفر به, وخالف أمره الرّحِيمُ بالتائب منهم, أن يعاقبه بعد توبته.

الآية : 123 - 127

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ألاَ تَتّقُونَ * إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ * فَاتّقُوا اللّهَ وَأطِيعُونِ * وَمَا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلاّ عَلَى رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: كَذّبَتْ عَادٌ رسل الله إليهم إذْ قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ هُودٌ ألاَ تَتّقُونَ عقاب الله على كفركم به إنّي لَكُمْ رَسُولٌ من ربي يأمركم بطاعته, ويحذّركم على كفركم بأسه, أمِينٌ على وحيه ورسالته فاتّقُوا اللّهَ بطاعته والانتهاء إلى ما يأمركم وينهاكم وأطِيعُونِ فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته وَما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ يقول: وما أطلب منكم على أمري إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا إنْ أجْرِيَ إلاّ عَلى رَبّ العالَمِينَ يقول: ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على ربّ العالمين.

الآية : 128 - 130

القول في تأويل قوله تعالى: {أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّارِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه: أتَبْنُونَ بِكُلّ ريع آيَةً تَعْبَثُونَ والريع: كلّ مكان مشرف من الأرض مرتفع, أو طريق أو واد ومنه قول ذي الرّمّة:

طِرَاقُ الخَوَافِي مُشْرفٌ فَوْق رِيعَةٍنَدَى لَيْلِه فِي ريشِهِ يَتَرَقْرَقُ

وقول الأعشى:

ويَهْماءُ قَفْرٍ تَجاوَزْتَهاإذَا خَبّ فِي رِيعِها آلُهَا

وفيه لغتان: ريع ورَيع بكسر الراء وفتحها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20280ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله أتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ يقول: بكلّ شَرَف.

20281ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله بكُلّ ريعٍ قال: فجّ.

20282ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله أتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً قال: بكل طريق.

20283ـ حدثني سليمان بن عبيد الله الغيلاني, قال: حدثنا أبو قُتيبة, قال: حدثنا مسلم بن خالد, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله أتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ قال: الريع: الثنية الصغيرة.

حدثني يونس, قال: أخبرنا يحيى بن حسان, عن مسلم بن خالد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.

20284ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال عكرمة بِكُلّ ريعٍ قال: فجّ وواد, قال: وقال مجاهد بِكُلّ رِيعٍ بين جبلين.

قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ قال: شرف ومنظر.
20285ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله بِكُلّ رِيع قال: بكلّ طريق.
20286ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله بِكُلّ رِيعٍ بكلّ طريق. ويعني بقوله آيَةً بنيانا, علما. وقد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا, أن الآية هي الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويله. ذكر من قال ذلك:
20287ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس بِكُلّ رِيعٍ آيَةً قال: الآية: علم.
20288ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بِكُلّ ريع آيَةً قال: آية: بنيان.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد آيَةً: بنيان.
20289ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله بِكُلّ رِيع آيَةً قال: بنيان الحمام.
وقوله: تَعْبَثُونَ قال: تلعبون. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20290ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس تَعْبَثُونَ قال: تلعبون.
20291ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك, يقول في قوله تَعْبَثُونَ قال: تلعبون.
وقوله: وَتَتّخِذُونَ مَصَانِعَ اختلف أهل التأويل في معنى المصانع, فقال بعضهم: هي قصور مشيدة. ذكر من قال ذلك:
20292ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَتَتّخِذُونَ مَصَانعَ قال: قصور مشيدة, وبنيان مخلد.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد مَصَانِعَ: قصور مشيدة وبنيان.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن مجاهد, قال: مَصَانِعَ يقول: حصون وقصور.
20293ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا يحيى بن حسان, عن مسلم, عن رجل, عن مجاهد, قوله مَصَانِعَ لَعَلّكُمْ تَخْلُدُونَ قال: أبرجة الحمام.
وقال آخرون: بل هي مآخذ للماء. ذكر من قال ذلك:
20294ـ حدثني الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله مَصَانِعَ قال: مآخذ للماء.
قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة, والعرب تسمي كل بناء مصنعة, وجائز أن يكون ذلك البناء كان

قصورا وحصونا مشيدة, وجائز أن يكـون كـان مآخـذ للــماء, ولا خـبر يقطـع العذر بأيّ ذلك كان, ولا هو مـما يُدرك من جهة العقـل. فــالصواب أن يقـال فـيه, ما قال الله: إنهم كانوا يتـخذون مصانع.

وقوله: لَعَلّكُمْ تَـخْـلُدُنَ يقول: كأنكم تـخـلدون, فتبقون فـي الأرض. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20295ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: حـدثنا معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله لَعَلّكُمْ تَـخْـلُدُونَ يقول: كأنكم تـخـلدون.

20296ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, قال فـي بعض الـحروف وَتَتّـخِذُونَ مَصَانِعَ كأنكم تـخـلدون.

وكان ابن زيد يقول: «لعلكم» فـي هذا الـموضع استفهام. ذكـر مـن قـال ذلك:

20297ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله وَتَتّـخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلّكُمْ تَـخْـلُدُونَ قـال: هـذا اسـتفهام, يقـول: لعلكـم تـخـلدون حين تبنون هذه الأشياء؟

وكـان بعـض أهـل العربــية يزعـم أن لعلكـم فــي هـذا الــموضع بــمعنى «كيـما».

وقوله: وَإِذَا بَطَشْتُـمْ بَطَشْتُـمْ جَبّـارِينَ يقول: وإذا سطوتـم سطوتـم قتلاً بـالسيوف, وضربـا بـالسياط. كما:

20298ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جُرَيج وَإِذَا بَطَشْتُـمْ بَطَشْتُـمْ جَبّـارِينَ قال: القتل بـالسيف والسياط.

الآية : 131 - 135

القول فـي تأويـل قـولـه تعالــى: {فَـاتّقُواْ اللّـهَ وَأَطِيعُـونِ * وَاتّقُـواْ الّـذِيَ أَمَدّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِيـنَ * وَجَنّـاتٍ وَعُيُـونٍ * إِنّـيَ أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل هود لقومه من عاد: اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فـيـما أمركـم ونهـاكم, وانتهـوا عـن اللهـو واللعـب, وظلـم الناس, وقهرهم بـالغلبة والفساد فـي الأرض, واحذروا سـخط الـذي أعطاكم من عنده مـا تعلــمون, وأعـانكم بـه مـن بــين الــمواشي والبنــين والبساتـين والأنهار إنّـي أخافُ عَلَـيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ من الله عَظِيـمٍ.

الآية : 136 - 138

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مّـنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَـذَا إِلاّ خُلُقُ الأوّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذّبِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قالت عاد لنبـيهم هود صلى الله عليه وسلم: معتدل عندنا وعظك إيانا, وتركك الوعظ, فلن نؤمن لك ولن نصدّقك علـى ما جئتنـا به.

وقوله: إِنْ هَذَا إِلاّ خُـلُقُ الأوّلِـينَ اختلفت القرّاء فـي قـراءة ذلـك فقرأتـه عامة قرّاء الـمدينة سوى أبـي جعفر, وعامة قرّاء الكوفة الـمتأخرين منهـم: إِنْ هَذَا إِلاّ خُـلُقُ الأوّلِـينَ من قبلنا: وقرأ ذلك أبو جعفر, وأبو عمرو بن العلاء: «إِنْ هَذَا خَـلْقُ الأوّلِـينَ» بفتـح الـخاء وتسـكين اللام بــمعنى: مـا هـذا الـذي جئتنا به إلا كذب الأوّلـين وأحاديثهم.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, نحو اختلاف القرّاء في قراءته, فقال بعضهم: معناه: ما هذا إلا دين الأوّلين وعادتهم وأخلاقهم. ذكر من قال ذلك:

20299ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله إنْ هَذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ يقول: دين الأوّلين.

20300ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة قوله إنْ هَذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ يقول: هكذا خِـلْقة الأوّلين, وهكذا كانوا يحيون ويموتون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما هذا إلا كذب الأوّلين وأساطيرهم. ذكر من قال ذلك:

20301ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس إنْ هَذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ قال: أساطير الأوّلين.

20302ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ قال: كذبهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

20303ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله إنْ هَذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ قال: إن هذا إلا أمر الأوّلين وأساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملي عليه بكرة وأصيلاً.

20304ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن علقمة, عن ابن مسعود إنْ هَذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ يقول: إن هذا إلا اختلاق الأوّلين.

قال: ثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا داود, عن الشعبيّ, عن علقمة, عن عبد الله, أنه كان يقرأ إنْ هَذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ ويقول شيء اختلقوه.

20305ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن داود, عن الشعبيّ, قال: قال علقمة إنْ هَذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ قال: اختلاق الأوّلين.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ إنْ هَـذَا إلاّ خُـلُقُ الأوّلِينَ بضمّ الخاء واللام, بمعنى: إن هذا إلا عادة الأوّلين ودينهم, كما قال ابن عباس, لأنهم إنما عُوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه, وبطشهم بالناس بطش الجبابرة, وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم, فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك, احتذاءً منهم سنة من قبلهم من الأمم, واقتفاءً منهم آثارهم, فقالوا: ما هذا الذي نفعه إلا خُـلق الأوّلين, يَعنون بالخُـلق: عادةَ الأوّلين. ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل, قولهُم: وَما نَـحْنُ بِمُعَذّبِـينَ لأنهم لو كانوا لا يُقرّون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم, ما قالوا وَما نَـحْنُ بِـمَعَذّبِـينَ بل كانوا يقولون: إنْ هذا الذي جئتنا به يا هود إلا خلق الأوّلين, وما لنا من معذّب يعذّبنا, ولكنهم كانوا مقرّين بالصانع, ويعبدون الآلهة, على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها, ويقولون إنّها تُقَرّبُنا إلى اللّهِ زُلْفَى, فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوّته: سَوَاءٌ عَلَيْنا أوَعَظْتَ أمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ ثم قالوا له: ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم, وما

الله معذّبنا عليه, كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا, أنهم كانوا يقولون لرسلهم: إنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمّةٍ وَإنّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ.

الآية : 139 - 140

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَذّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: فكذّبت عاد رسول ربهم هُودا, والهاء في قوله فَكَذّبُوهُ من ذكر هود. فَأَهْلَكْناهُمْ يقول: فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا, إنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً يقول تعالى ذكره: إنّ في إهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها, لعبرةً وموعظةً لقومك يا محمد, المكذّبيك فيما أتيتهم به من عند ربك. وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ يقول: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله. وإنّ رَبّكَ لَهُوَ العَزِيزُ في انتقامه من أعدائه, الرحيم بالمؤمنين به.

الآية : 141 - 145

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتّقُونَ * إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: كَذّبت ثمود رسل الله, إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله, فقال لهم: ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم إياه, وخلافكم أمره, بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله, إنّي لَكُمْ رَسُولٌ من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره أمِينٌ على رسالته التي أرسلها معي إليكم فَاتّقُوا اللّهَ أيها القوم, واحذروا عقابه وأطِيعُونِ في تحذيري إياكم, وأمر ربكم باتباع طاعته وَما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ يقول: وما أسألكم على نصحي إياكم, وإنذاركم من جزاء ولا ثواب إنْ أَجْرِيَ إلاّ عَلى رَبّ العالَمِينَ يقول: إن جزائي وثوابي إلاّ على ربّ جميع ما في السموات, وما في الأرض, وما بينهما من خلق.

الآية : 146 - 150

القول في تأويل قوله تعالى: {أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَآ آمِنِينَ * فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ * فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود: أيترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين, لا تخافون شيئا فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ يقول: في بساتين وعيون ماء وَزُرُوعٍ ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ يعني بالطلع: الكُفُرّى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله هَضِيمٌ فقال بعضهم: معناه اليانع النضيج. ذكر من قال ذلك:

20306ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ يقول: أينع وبلغ فهو هضيم.

وقال آخرون: بل هو المتهشم المتفتت. ذكر من قال ذلك:

20307ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ قال محمد بن عمرو في حديثه تهشم هشيما. وقال الحارث: تهشّم تهشّما.

20308ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عبد الكريم يقول: سمعت مجاهدا يقول في قوله ونَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ قال: حين تطلع يقبض عليه فيهضمه.

قال: ابن جُرَيج. قال مجاهد: إذا مسّ تهشّم وتفتّت, قال: هو من الرطب هضيم تقبض عليه فتهضمه.

وقال آخرون: هو الرطب اللين. ذكر من قال ذلك:

20309ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرِمة قوله ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ قال: الهضيم: الرطب اللين.

وقال آخرون: هو الراكب بعضه بعضا. ذكر من قال ذلك:

20310ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: طَلْعُها هَضِيمٌ إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا, حتى نقص بعضها بعضا, فهو حينئذ هضيم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لينه ورطوبته, وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيّفه, فكذلك الهضم في الطلع, إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمسّ الأيدي, وإما بركوب بعضه بعضا, وأصله مفعول صرف إلى فعيل.

وقوله: وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فَرِهِينَ يقول تعالى ذكره: وتتخذون من الجبال بيوتا. فاختلفت القرّاء في قراءة قوله فارِهِينَ فقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: فارِهِينَ بمعنى: حاذقين بنحتها. وقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: «فَرِهِينَ» بغير ألف, بمعنى: أشرين بطرين.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القرّاء في قراءته, فقال بعضهم: معنى فارهين: حاذقين. ذكر من قال ذلك:

20311ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثام, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح وعبد الله بن شدّاد وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فارِهِينَ قال أحدهما: حاذقين, وقال الآخر: يتجبرون.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا مروان, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالدف, عن أبي صالح وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فارِهِينَ قال: حاذقين بنحتها.

20312ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فارِهِينَ يقول: حاذقين.

وقال آخرون: معنى فارهين: مستفرهين متجبرين. ذكر من قال ذلك:

20313ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن عبد الله بن شدّاد في قوله «فَرِهِينَ» قال: يتجبرون.

قال أبو جعفر: والصواب: فارهين.

وقال آخرون ممن قرأه فارهين: معنى ذلك: كَيّسين. ذكر من قال ذلك:

20314ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فارِهِينَ قال: كيسين.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد, عن الضحاك أنه قرأ فارهِينَ قال: كيسين.
وقال آخرون: فرهين: أشرين. ذكر من قال ذلك:
20315ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فارِهِينَ يقول: أشرين, ويقال: كيسين.
20316ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: «بُيُوتا فَرِهِينَ» قال: شرهين.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, بمثله.
وقال آخرون: معنى ذلك: أقوياء. ذكر من قال ذلك:
20317ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: «وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فَرِهِينَ» قال: الفَرِه: القويّ. وقال آخرون في ذلك بما:
20318ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن قتادة, في قوله «فَرِهِينَ» قال: معجبين بصنيعكم.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأها فارِهِينَ وقراءة من قرأ «فَرِهِينَ» قراءتان معروفتان, مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في علماء القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. ومعنى قراءة من قرأ فارِهِينَ: حاذقين بنحتها, متخبرين لمواضع نحتها, كيسين, من الفراهة. ومعنى قراءة من قرأ «فَرِهِينَ»: مَرِحين أشرين. وقد يجوز أن يكون معنى فَارِه وفَرِه واحدا, فيكون فاره مبنيا على بنائه, وأصله من فعل يفعل, ويكون فره صفة, كما يقال: فلان حاذق بهذا الأمر وحَذِق. ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عديّ بن وادع العوفي من الأزد:

لا أسْتَكِينُ إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْوَ لَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فارِهَ الطَّلَبِ

أي مرح الطلب. وقوله: فاتّقُوا اللّهَ وأطِيعُونِ يقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم, وخلافكم أمره, وأطيعونِ في نصيحتي لكم, وإنذاري إياكم عقاب الله ترشدوا.

الآية : 151 - 153

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تُطِيعُوَاْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ * قَالُوَاْ إِنّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ }.
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود: لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله, واجترائهم على سخطه, وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض, ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جلّ ثناؤه بقوله: وكانَ فِي المَدِينَةِ تَسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ يقول: الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه, ولا يصلحون, يقول: ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله.
وقوله: إنّمَا أنْتَ منَ المُسَحّرِينَ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه إنما أنت من المسحورين. ذكر من قال ذلك:

20319ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إنّمَا أنْتَ مِنَ الْمُسَحّرِينَ قال: من المسحورين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

20320ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله إنّمَا أنْتَ مِنَ الْمُسَحّرِينَ قال: إنما أنت من المسحورين.

وقال آخرون: معناه: من المخلوقين. ذكر من قال ذلك:

20321ـ حدثني محمد بن عبيد, قال: حدثنا موسى بن عمرو, عن أبي صالح, عن ابن عباس, في قوله إنّمَا أنْتَ مِنَ الْمُسَحّرِينَ قال: من المخلوقين.

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك, فكان بعض أهل البصرة يقول: كلّ من أكل من إنس أو دابة فهو مسحّر, وذلك لأن له سَحْرا يَقْرِي ما أكل فيه, واستشهد على ذلك بقول لَبيد:

فإنْ تَسْأَلينا فِيمَ نَحْنُ فإنّناعَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ الْمُسَحّرِ

وقال بعض نحويّي الكوفيين نحو هذا, غير أنه قال: أخذ من قولك: انتفخ سَحْرُك: أي أنك تأكل الطعام والشراب, فتُسَحّر به وتُعَلّل. وقال: معنى قول لبيد: «من هذا الأنام المسحرّ»: من هذا الأنام المعّلل المخدوع. قال: ويُروى أن السّحْر من ذلك, لأنه كالخديعة.

والصواب من القول في ذلك عندي: القول الذي ذكرته عن ابن عباس, أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يُعْلّلون بالطعام والشراب مثلنا, وليست ربا ولا ملكا فنطيعَك, ونعلم أنك صادق فيما تقول. والمسحّر: المفعل من السحرة, وهو الذي له سحرة.

الآية : 154- 156

القول في تأويل قوله تعالى: {مَآ أَنتَ إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ * قَالَ هَـَذِهِ نَاقَةٌ لّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مّعْلُومٍ * وَلاَ تَمَسّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِيل ثمود لنبيها صالح: ما أنْتَ يا صالح إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا من بني آدم, تأكل ما نأكل, وتشرب ما نشرب, ولست بربّ ولا ملك, فعلام نتبعك؟ فإن كنت صادقا في قيلك, وأن الله أرسلك إلينا فَأْتِ بِآيَةً يعني: بدلالة وحجة على أنك محقّ فيما تقول, إن كنت من صَدَقَنا في دعواه أن الله أرسله إلينا. وقد:

20322ـ حدثني أحمد بن عمرو البصري, قال: حدثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ, قال: حدثنا داود بن أبي الفرات, قال: حدثنا عِلباء بن أحمر, عن عكرِمة, عن ابن عباس, أن صالحا النبيّ صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى قومه, فآمنوا به واتبعوه, فمات صالح, فرجعوا عن الإسلام, فأتاهم صالح, فقال لهم: أنا صالح, قالوا: إن كنت صادقا فأتنا بآية, فأتاهم بالناقة, فكذّبوه وعقروها, فعذّبهم الله.

وقوله: قالَ هَذِهِ ناقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْم مَعْلُومٍ يقول تعالى ذكره: قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه, فأتاهم بناقة

أخرجها من صخرة أو هضبة: هذه ناقة يا قوم, لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم, ما لكم من الشرب, ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئا, ولا لها أن تشرب في يومكم شيئا. ويعني بالشرب: الحظّ والنصيب من الماء, يقول: لها حظّ من الماء, ولكم مثله, والشِّرْب والشّرْب والشّرْب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر. وقد حُكي عن العرب سماعا: آخرها أقلها شُرْبا وشِربا.)

وقوله: وَلا تَمَسّوها بِسُوءٍ يقول: لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20323ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَلا تَمَسّوها بِسُوءٍ لا تعقروها. وقوله: فَيأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ يقول: فيحلّ بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه.

الآية : 157 - 159

القول في تأويل قوله تعالى: {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره, فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم, فعقروا الناقة التي قال لهم صالح: لا تمسوها بسوء, فأصبحوا نادمين على عقرها, فلم ينفعهم ندمهم, وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم إنّ فِي ذلكَ لآيَةً يقول: إنّ في إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبيّ الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ يقول: ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله وَإنّ رَبّكَ يا محمد لَهُوَ العَزِيزُ في انتقامه من أعدائه الرّحِيمُ بمن آمن به من خلقه.

الآية : 160 - 164

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتّقُونَ * إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: كَذّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ من أرسله الله إليهم من الرسل حين قَالَ لَهُمْ أخُوهُمْ لُوطٌ: ألاَ تَتّقُونَ الله أيها القوم إنّي لَكُمْ رَسُولٌ من ربكم أمِينٌ على وحيه, وتبليغ رسالته فاتّقُوا اللّهَ في أنفسكم, أن يحلّ بكم عقابه على تكذيبكم رسوله وأطِيعُونِ فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد وَما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ يقول: وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم إلى ربي جزاءً ولا ثوابا إنْ أجْرِيَ إلاّ عَلى رَبّ العالَمِينَ يقول: ما جزائي على دعايتكم إلى الله, وعلى نُصحي لكم وتبليغ رسالات الله إليكم, إلا على ربّ العالمين.

الآية : 165- 166

القول في تأويل قوله تعالى: {أَتَأْتُونَ الذّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبّكُمْ مّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ }.

يعني بقوله: أتأْتُونَ الذّكْرَانَ مِنَ العالَمِينَ: أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم, وقوله: وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ يقول: وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهنّ, فأحلّه لكم. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «وَتَذَرُونَ ما أصْلَحَ لَكُمْ رَبّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ». وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20324ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ قال: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد بنحوه.

وقوله: بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ يقول: بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم, وأحله لكم من الفروج إلى ما حرّم عليكم منها. كما:

20325ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ قال: قوم معتدون.

الآية : 167- 168

القول في تأويل قوله تعالى:

{قَالُواْ لَئِن لّمْ تَنتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنّي لِعَمَلِكُمْ مّنَ الْقَالِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ عن نهينا عن إتيان الذّكران لَتَكُونَنّ مِنَ المُخْرَجِينَ من بين أظهرنا وبلدنا قالَ إنّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالِينَ يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين, يعني من المبغضين, المنكرين فعله.

الآية : 169-171

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبّ نّجِنِي وَأَهْلِي مِمّا يَعْمَلُونَ * فَنَجّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاّ عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة, فقال رَبّ نَجّنِي وَأَهْلِي من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران فَنَجّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ من عوقبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط أجَمعينَ إلاّ عَجُوزا فِي الغابِرِينَ يعني في الباقين, لطول مرور السنين عليها, فصارت هَرِمة, فإنها أُهْلِكت من بين أهل لوط, لأنها كانت تدلّ قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قريتهم, وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه, فكانت من الغابرين بعد قومها, ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة, وقد بيّنا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها.

الآية : 172-175

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ دَمّرْنَا الآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ * إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير وَأَمْطَرْنَا عَلَيهِمْ مَطَرا وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذّبوه إنّ فِي ذلكَ لآيَةً يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا, لعبرة وموعظة لقومك يا محمد, يتعظون بها في تكذيبهم إياك, وردّهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحقّ وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ في سابق علم الله وَإنّ رَبّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرّحِيمُ بمن آمن به.

الآية : 176-179

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ألاَ تَتّقُونَ * إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ }.

يقول تعالى ذكره: كَذّبَ أصحَابُ الأيْكَةِ. والأيكة: الشجر الملتفّ, وهي واحدة الأيك, وكلّ شجر ملتفّ فهو عند العرب أيكة ومنه قول نابغة بني ذبيان:

تَجْلُو بِقادِمَتيْ حَمامَةِ أيْكَةٍبَرَدا أُسِفّ لِثاتُهُ بالإثْمِدِ

وأصحاب الأيكة: هم أهل مَدْيَنَ فيما ذُكر. ذكر من قال ذلك:

20326ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله كَذّبَ أصَحابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ يقول: أصحاب الغيضة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله كَذّبَ أصَحابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ قال: الأيكة: مجمع الشجر.

20327ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله كَذّبَ أصَحابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ قال: أهل مدين, والأيكة: الملتفّ من الشجر.

20328ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله كَذّبَ أصَحابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ قال: الأيكة: الشجر, بعث الله شعيبا إلى قومه من أهل مدين, وإلى أهل البادية, قال: وهم أصحاب ليكة, وليكة والأيكة: واحد.

وقوله إذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ألا تَتّقُونَ يقول تعالى ذكره: قال لهم شعيب: ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم إنّي لَكُمْ من الله رَسُولٌ أمِينٌ على وحيه فاتّقُوا عقاب اللّهَ على خلافكم أمره وأطِيعُونِ ترشدوا.

الآية : 180-181

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُواْ الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُخْسِرِينَ }.

يقول: وَمَا أسْألُكُمْ على نصحي لكم من جزاء وثواب, ما جزائي وثوابي على ذلك إلاّ عَلى رَبّ الْعَالَمِينَ. أوْفُوا الكَيْلَ يقول: أوفوا الناس حقوقهم

مـن الكيــل وَلا تَكُونُـوا مِـنَ الــمُخْسِرِينَ يقـول: ولا تكونـوا مــمن نقصَـهم حقوقَهم.

الآية : 182-187

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَزِنُـواْ بِالْقِسْـطَاسِ الْمُسْـتَقِيمِ * وَلاَ تَبْخَسُـواْ النّـاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ }

يعنـي بقول وزِنُوا بـالقِسْطاس وزنوا بـالـميزان الـمُسْتقِيـم الذي لا بخس فـيه علـى مـن وزنتــم لـه وَلا تَبْخَسـوا النّـاسَ أشْـياءَهُمْ يقـول: ولا تنقصـوا الناس حقوقهم فـي الكيـل والوزن وَلا تَعْثَوْا فِـي الأرْضِ مُفْسدِينَ يقـول: ولا تكـثروا فــي الأرض الفسـاد. وقـد بــيّنا ذلـك كلـه بشـواهده, واختلاف أهـل التأويـل فـيه فـيـما مضى, فأغنى ذلك عن إعادته فـي هذا الـموضع.

القول فِـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاتّقُواْ الّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلّـةَ الأوّلِيـنَ * قَالُوَاْ إِنّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَـحّرِينَ * وَمَـآ أَنـتَ إِلاّ بَشَـرٌ مّثْلُنَـا وَإِن نّظُنّـكَ لَمِـنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مّنَ السّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَاتّقُوا أيها القوم عقاب ربكم الّذِي خَـلَقَكُمْ, وَ خـلق الـجِبِلّةَ الأوّلِـينَ يعنــي بـالـجِبِلّة: الـخــلق الأوّلــين. وفـ ي الــجبلة للعـرب لغتان: كسر الـجيـم والبـاء وتشديد اللام, وضم الـجيـم والبـاء وتشـديد اللام فإذا نُزعت الهاء من آخرها كان الضمّ فـي الـجيـم والبـاء أكثر كما قـال جـلّ ثناؤه: وَلَقَدْ أضَلّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِـيرا وربـما سكنوا البـاء من الـجِبْل, كمـا قـال أبو ذُؤيب:

مَنايا يُقَرّبْنَ الـحُتُوفَ لأَهْلِها جِهارا وبَسْتَـمْتِعْنَ بـالأنَسِ الـجِبْلِ

وبنـحو ما قلنا فـي معنى الـجبِلّة قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20329ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس: قوله وَاتّقُوا الّذِي خَــلَقَكُمْ والــجِبِلّةَ الأوّلِـينَ يقـول: خـلق الأوّلـين.

20330ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, ق ال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: والـجِبِلّةَ الأوّلِـينَ قال: الـخـلـيقة.

20331ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله والـجِبِلّةَ الأوّلِـينَ قال: الـخـلق الأوّلـين, الـجبلة: الـخـلق.

وقولـه: قالُوا إنّـمَا أنْتَ مِنَ الـمُسَحّرِينَ يقول: قالوا: إنـما أنت يا شـعيب معلّلٌ تعلّلُ بـالطعام والشراب, كما نعلّـل بهمـا, ولسـت مَلَكـا وَمـا أنْـتَ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا تأكل وتشـرب وَإنْ نَظُنّـكَ لَــمِنَ الكاذِبِــينَ. يقـول: ومـا نــحسبك فـيـما تـخبرنا وتدعونا إلـيه, إلا مـمن يكذِب فـيـما يقـول, فـإن كنـت صـادقا فـيـما تقول بأنك رسول الله كما تزعم فَأَسْـقِطْ عَلَــيْنا كِسَفــا مِـنَ السّـماءِ يعنـي قِطعا من السماء, وهي جمع كِسْفة, جُمـع كـذلك كمـا تــجمع تــمرة: تـمرا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20332ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: حـدثنا معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: كِسَفـا يقول: قِطعا.

20333ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله كِسَفا مِنَ السّماءِ: جانبا من السماء.

20334ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفا مِنَ السّماءِ قال: ناحية من السماء, عذاب ذلك الكسف.

الآية : 188-189

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ رَبّـِيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ إِنّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.

يقول تعالى ذكره: قال شُعيب لقومه: رَبّـِي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ يقول: بأعمالهم هو بها محيط, لا يخفى عليه منها شيء, وهو مجازيكم بها جزاءكم فَكَذّبُوهُ يقول: فكذّبه قومه فأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ يعني بالظلة: سحابة ظللتهم, فلما تتامّوا تحتها التهبت عليهم نارا, وأحرقتهم, وبذلك جاءت الآثار. ذكر من قال ذلك:

20335ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن زيد بن معاوية, في قوله: فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ قال: أصابهم حرّ أقلقهم في بيوتهم, فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة, فابتدروها, فلما تتاموا تحتها أخذتهم الرجفة.

20336ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, في قوله: عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ قال: كانوا يحفرون الأسراب ليتبرّدوا فيها, فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّا من الظاهر, وكانت الظلة سحابة.

20337ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني جرير بن حازم أنه سمع قَتادة يقول: بعث شُعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين, وألى أصحاب الأيكة. وكانت الأيكة من شجر ملتفّ فلما أراد الله أن يعذّبهم, بعث الله عليهم حرّا شديدا, ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها, فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا. قال: فذلك قوله: فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ.

20338ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: ثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد, قال: حدثنا حاتم بن أبي صغيرة, قال: ثني يزيد الباهلي, قال: سألت عبد الله بن عباس, عن هذه الآية فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ إِنّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فقال عبد الله بن عباس: بعث الله عليهم وَمَدَةً وحرّا شديداً, فأخذ بأنفاسهم, فدخلوا البيوت, فدخل عليهم أجواف البيوت, فأخذ بأنفاسهم, فخرجوا من البيوت هرابا إلى البرية, فبعث الله عليهم سحابة, فأظلتهم من الشمس, فوجدوا لها بردا ولذّة, فنادى بعضهم بعضا, حتى إذا اجتمعوا تحتها, أرسلها الله عليهم نارا. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة, إنه كان عذاب يوم عظيم.

20339ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله «يَوْمِ الظّلّةِ» قال: إظلال العذاب إياهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد عَذَابُ يَوْمِ الظلّةِ قال: أظلّ العذابُ قوم شُعيب.
قال ابن جُرَيج: لما أنزل الله عليهم أوّل العذاب, أخذهم منه حرّ شديد, فرفع الله لهم غمامة, فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها, فأصابهم منها رَوْحٌ وبرد وريح طيبة, فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا, فذلك قوله: عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ.
20340ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر بن راشد, قال: ثني رجل من أصحابنا, عن بعض العلماء قال: كانوا عطّلوا حدّا, فوسع الله عليهم في الرزق, ثم عطلوا حدّا, فوسع الله عليهم في الرزق, ثم عطلوا حدّا, فوسع الله عليهم في الرزق, فجعلوا كلما عطلوا حدّا وسع الله عليهم في الرزق, حتى إذا أراد إهلاكهم سلّط الله عليهم حرّا لا يستطيعون أن يتقارّوا, ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء, حتى ذهب ذاهب منهم, فاستظلّ تحت ظُلة, فوجد رَوْحا, فنادى أصحابه: هلموا إلى الرّوْح, فذهبوا إليه سراعا, حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا, فذلك عذاب يوم الظلة.
20341ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو تُمَيلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن ابن عباس, قال: من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة؟ فكذّبه.
20342ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ قوم شعيب, حبس الله عنهم الظلّ والريح, فأصابهم حرّ شديد, ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب, فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها, زعموا يستظلون, فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم.
20343ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلّةِ, إنّهُ كانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قال: بعث الله إليهم ظُلّة من سحاب, وبعث إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض, فخرجوا كلهم إلى تلك الظّلة, حتى إذا اجتمعوا كلهم, كشف الله عنهم الظلة, وأحمى عليهم الشمس, فاحترقوا كما يحترق الجراد في المِقلَى. وقوله: إنّهُ كانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ يقول تعالى ذكره: إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شُعيب عظيم.

الآية : 190-191

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ * وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.
يقول تعالى ذكره: إن في تعذيبنا قوم شُعيب عذاب يوم الظلة, بتكذيبهم نبيهم شُعيبا, لآيةً لقومك يا محمد, وعبرةً لمن اعتبر, إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك, سنتنا في أصحاب الأيكة وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ في سابق علمنا فيهم وَإنّ رَبّكَ يا محمد لَهُوَ العَزِيزُ في نقمته ممن انتقم منه من أعدائه الرّحِيمُ بمن تاب من خلقه, وأناب إلى طاعته.

الآية : 192-195

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّهُ لَتَنزِيلُ رَبّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأمِينُ * عَلَىَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: وإنّ هذا القرآن لَتَنْزِيلُ رَبّ العَالَمِينَ والهاء في قوله وَإِنّهُ كناية الذكر الذي في قوله: وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرّحْمَنِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20344ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله لَتَنْزِيلُ رَبّ العالَمِينَ قال: هذا القرآن.

واختلف القرّاء في قراءة قوله نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة نَزَلَ بهِ مخففة الرّوحُ الأَمِينُ رفعا بمعنى: أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد, وهو جبريل. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة نَزّلَ مشددة الزاي الرّوحَ الأَمِينَ نصبا, بمعنى: أن ربّ العالمين نزّل بالقرآن الروح الأمين, وهو جبريل عليه السلام.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن, لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول, ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله, وأن الله إذا أنزله به نزل. وبنحو الذي قلنا في أن المعنيّ بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20345ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ قال: جبريل.

20346ـ حدثنا الحسين, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قول الله نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ قال: جبريل.

20347ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج قال الرّوحُ الأَمِينُ جبريل.

20348ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله الرُوحُ الأَمِينُ قال: جبريل.

وقوله عَلَى قَلْبِكَ يقول: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد, حتى وعيته بقلبك. وقوله: لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا إليه من قومهم, فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذّبين بآيات الله. وقوله: بِلِسانٍ عَرَبِيّ مُبِينٍ يقول: لتنذر قومك بلسان عربيّ مبين, يبين لمن سمعه أنه عربيّ, وبلسان العرب نزل, والباء من قول بِلِسانٍ من صلة قوله: نَزَلَ, وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربيّ مبين في هذا الموضع, إعلاما منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك, لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا, فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه, لأنا لا نفهمه, وإنما هذا تقريع لهم, وذلك أنه تعالى ذكره قال: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرّحْمَن مُحْدَثٍ إلاّ كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ثم قال: لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه, بل يفهمونها, لأنه تنزيل ربّ العالمين نزل به الروح الأمين بلسانهم العربيّ, ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبا به واستكبارا فَقَدْ كَذّبُوا فَسَيأتيهِمْ أنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذّبت رسلها أنباء ما كانوا به يُكذبون.

الآية : 196-201

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّهُ لَفِي زُبُرِ الأوّلِينَ * أَوَ لَمْ يَكُن لّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزّلْنَاهُ عَلَىَ بَعْضِ الأعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّىَ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفي زبر الأوّلين: يعني في كتب الأوّلين, وخُرّج مَخْرَج العموم ومعناه الخصوص, وإنما هو: وإن هذا القرآن لفي بعض زبر الأوّلين يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله: أوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إسْرائِيلَ يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك, دِلالةٌ على أنك رسول ربّ العالمين, أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقيل: عني بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل في عصره. ذكر من قال ذلك:

20349ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إسْرائِيلَ قال: كان عبد الله بن سلام من علماء بني إسرائيل, وكان من خيارهم, فآمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم, فقال لهم الله: أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وخيارهم.

20350ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله عُلَماءُ بَنِي إسْرَائِيلَ قال: عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم.

20351ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج أوَ لَمْ يَكُنْ لَهَمْ آيَةً قال محمد: أنْ يَعْلَمَهُ قال: يعرفه عُلَماءُ بَنِي إسْرَائِيلَ.

قال ابن جُرَيج, قال مجاهد: علماء بني إسرائيل: عبد الله بن سلام, وغيره من علمائهم.

20351حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: أوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إسْرائِيلَ قال: أو لم يكن للنبيّ آية, علامة أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدون مكتوبا عندهم, وقوله: وَلَوْ نَزّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ يقول تعالى ذكره: ولو نزّلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق, وإنما قيل على بعض الأعجميين, ولم يقل على بعض الأعجمين, لأن العرب تقول إذا نعتت الرجل بالعُجمة وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعْجَم, وللمرأة: هذه امرأة عَجْماء, وللجماعة: هؤلاء قوم عُجْم وأعجمون, وإذا أريد هذا المعنى وصف به العربيّ والأعْجَميّ, لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان, وقد يكون كذلك, وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَائِلٍ لا حَيّ يَعْدِلُهُمْنْ سُوقَةٍ عَرَبٌ وَلا عُجْمُ

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم, لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان, فإنه يقال: هذا رجل عجميّ, وهذان رجلان عجميان, وهؤلاء قوم

عَجَم, كما يقال: عربيّ, وعربيان, وقوم عرب. وإذا قيل: هذا رجل أعجميّ, فإنما نسب إلى نفسه كما يقال للأحمر: هذا أحمري ضخم, وكما قال العجاج:

والدّهْرَ بالإنْسانِ دَوّارِيّ ومعناه: دوّار, فنسبه إلى فعل نفسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20352ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن محمد بن أبي موسى, قال: كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة, فتلا هذه الآية: وَلَوْ نَزّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ. فقَرأهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ قال: لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به لقَالُوا: لَوْلاَ فُصّلَتْ آيَاتُهُ حتى يفقهه عربيّ وعجميّ, لو فعلنا ذلك.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت داود بن أبي هند, عن محمد بن أبي موسى, قال: كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة, فقرأ هذه الآية وَلَوْ نَزّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فقرأه عليهم, قال: فقال: جملي هذا أعجم, فلو أُنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين. ورُوي عن قِتادة في ذلك ما.

20353ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة وَلَوْ نَزّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ قال: لو نزله الله أعجميا كانوا أخسر الناس به, لأنهم لا يعرفون بالعجمية.

وهذا الذي ذكرناه عن قتادة قول لا وجه له, لأنه وجّه الكلام أن معناه: ولو أنزلناه أعجميا, وإنما التنزيل وَلَوْ نَزّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ يعني: ولو نزّلنا هذا القرآن العربيّ على بهيمة من العجم أو بعض ما لا يفصح, ولم يقل: ولو نزّلناه أعجميا. فيكون تأويل الكلام ما قاله.

وقوله فَقَرأهُ عَلَيْهِمْ يقول: فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين. يقول: لم يكونوا ليؤمنوا به, لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء, وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه, لئلا يشتدّ وجده بإدبارهم عنه, وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن, لأنه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه, والدخول فيما دعاهم إليه, حتى عاتبه ربه على شدّة حرصه على ذلك منهم, فقال له: لَعَلّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أنْ لا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ثم قال مؤْيِسَه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته, كما هلك بعض الأمم الذين قصّ عليهم قصصهم في هذه السورة. ولو نزّلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك, فإنك رجل منهم, ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا, وهلا نزل به مَلَك, فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن, ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حقّ, وأنه تنزيل من عندي, ما كانوا به مصدّقين, فخفض من حرصك على إيمانهم به, ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين, الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من إيمانهم من الشقاء والبلاء, فقال: كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن وَلَوْ نَزّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فقرأه عليهم كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ التكذيب والكفر فِي قُلُوبِ المجرِمِينَ. ويعني بقوله: سلكنا: أدخلنا, والهاء في قوله سَلَكْناهُ كناية من ذكر قوله ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ, كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب

الـمـجرمين ترك الإيـمان بهذا القرآن. وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
20354ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جُرَيج, قوله: كذَلكَ سَلَكْناهُ قال: الكفر فِـي قُلُوبِ الـمُـجْرِمِينَ.
20355ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله كَذلكَ سَلَكْناهُ فِـي قُلُوبِ الـمُـجْرِمِينَ. لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حتـى يَرَوا العَـذَابَ الأَلِـيـمَ.
20356ـ حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا زيد بـن أبـي الزرقـاء, عـن سفـيان, عن حميد, عن الـحسن, فـي هذه الآية كَذلكَ سَـلَكْناهُ فِـي قُلُـوبِ الـمُـجْرِمِينَ قال: خـلقناه.
20357ـ قال: ثنا زيد, عـن حمـاد بـن سلـمة, عـن حميـد, قـال: سـألت الـحسن فـي بـيت أبـي خـلـيفة, عـن قـوله كـذلكَ سَـلَكْناهُ فِـي قُلُـوبِ الـمُـجْرِمِينَ قال: الشرك سلكه فـي قلـوبهم, وقـوله: لا يُؤْمِنُـونَ بِـهِ حتـى يَرَوا العَذَابَ الأَلِـيـمَ يقول: فعلنا ذلك بهـم لئلا يصـدّقوا بهـذا القـرآن, حتـى يروا العذاب الأَلـيـم فـي عاجل الدنـيا, كما رأت ذلك الأمـم الذين قـصّ اللـه قصصهم فـي هذه السورة. ورفع قوله لا يُؤْمِنُونَ لأن العـرب مـن شـأنها إذا وضعت فـي موضع مثل هذا الـموضع «لا» ربـما جزمـت مـا بعـدها, وربـما رفعت فتقول: ربطـت الفـرس لا تنفلـتْ, وأحكمـت العقـد لا ينـحلّ, جزمـا ورفعا. وإنـما تفعل ذلك لأن تأويـل ذلك: إن لـم أحكم العقد انـحلّ, فجزمـه علـى التأويـل, ورفعه بأن الـجازم غير ظـاهر. ومـن الشـاهد علـى الـجزم فـي ذلك قول الشاعر:

لَوْ كُنْتَ إذْ جِئْتَنا حاوَلْتَ رُؤْيَتَنا أوْ جِئْتَنا ماشِيا لا يَعْرِفِ الفَرَس

وقول الآخر:

لَطالَـمَا حّلأْتَـمَاها لا تَرِدْ فَخَـلّـياها وَالسّجالَ تَبْتَرِدْ

الآية : 202-204

القول فـي تأويـل قولـه تعالـى: {فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُـواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: فـيأتـي هؤلاء الـمكذّبـين بهذا القرآن, العذاب الأليـم بغتة, يعنـي فجأة وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ يقول: لا يعلـمون قبل ذلك بـمـجيئه حتـى يفجأهم بغتة فَـيَقُولُوا حين يأتـيهم بغتـة هَـلْ نَـحْنُ مُنْظَـرُونَ: أي هـل نـحن مؤخّر عنا العذاب, ومُنْسأ فـي آجالنا لنثوب, وننـيب إلـى اللـه مـن شـركنا وكفرنا بـالله, فنراجع الإيـمان بـه, وننـيب إلـى طـاعته. وقـوله: أَفَبِعَـذَابِنا يَسْـتَعْجِلُونَ يقـول تعالـى ذكـره: أفبعـذابنا هـؤلاء الـمشركون يسـتعجلون بقولهم: لن نؤمن لك حتـى تُسقط السماء كما زعمت علـينا كِسَفـا.

الآية : 205-207

القول فـي تأويـل قولـه تعالـى: {أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِـنِينَ * ثُـمَّ جَـآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىَ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون علـى كفرهم بآياتنا, وتكذيبهم رسولنا, ما أَغْنَى عَنْهُمْ يقول: أيّ شيء أغنى عنهـم التـأخير الذي أخّرنا فـي آجالهم, والـمتاع الذي متعناهم به من الـحياة, إذ لـم يتوبـوا

من شركهم, هل زادهم تـمتـيعنا إياهم ذلك إلا خبـالاً, وهل نفعهم شـيئا, بـل ضرّهم بـازديادهم من الآثام, واكتسابهم من الإجرام ما لـو لـم يـمتعوا لـم يكتسبوه.

20358ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله أفَرأيْتَ إنْ مَتّعْناهُمْ سِنـينَ إلـى قوله ما أغْنَى عَنْهُمْ مـا كـانُوا يُـمَتّعُونَ قال: هؤلاء أهل الكفر.

الآية : 208-212

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَـآ أَهْلَكْنَـا مِـن قَرْيَـةٍ إلاّ لَهَـا مُنـذِرُونَ * ذِكْرَىَ وَمَا كُنّا ظَالِمِينَ * وَمَا تَنَزّلَـتْ بِـهِ الشّـيَاطِينُ * وَمَـا يَنبَغِـي لَهُـمْ وَمَـا يَسْتَطِيعُونَ * إنّهُمْ عَنِ السّمْعِ لَمَعْزُولُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ من هذه القرى التـي وصفت فـي هذه السور إلاّ لَهَا مُنْذِرُونَ يقول: إلا بعد إرسالنا إلـيهم رسلاً ينذرونهم بأسنا علـى كفرهم وسخطنا علـيهم ذِكْرَى يقول: إلا لها منذرون ينذرونهم, تـذكرة لهم وتنبـيها لهم علـى ما فـيه النـجاة لهم من عذابنا. ففـي الـذكرى وجهـان من الإعراب: أحدهما النصب علـى الـمصدر مـن الإنـذار علـى مـا بـيّنْتُ, والآخر: الرفع علـى الابتداء, كأنه قـيـل: ذكرى. وبنـحو الذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20359ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلاّ لَهَا مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى قال: الرسـل. قال ابن جُرَيج: وقوله: ذِكْرَى قال: الرسل.

قوله: وما كُنّا ظالِـمِينَ يقول: وما كنا ظالـميهم فـي تعذيبناهم وإهلاكهم, لأنا إنـما أهلكناهم, إذ عتوا علـينا, وكفروا نعمتنا, وعبـدوا غيرنـا بعـد الإعـذار علـيهم والإنذار, ومتابعة الـحجج علـيهم بأن ذلك لا ينبغـي أن يفعلـوه, فـأبوا إلا التـمادي فـي الغيّ.

وقوله: وَما تَنزّلَتْ بِهِ الشّياطِينُ يقول تعالـى ذكره: وما تنزّلت بهذا القرآن الشياطين علـى مـحمد, ولكنه ينزل به الروح الأمين وَما يَنْبَغـي لَهُـمْ يقـول: وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به علـيه, ولا يصلـح لهم ذلك وَما يَسْـتَطيعُونَ يقول: وما يستطيعون أن ينزّلـوا بـه, لأنهـم لا يصـلون إلـى اسـتـماعه فـي الـمكان الذي هـو بـه مـن السـماء إنّهُـمْ عَـنِ السّـمْعِ لَـمَعْزُولُونَ يقـول: إن الشياطين عن سمع القرآن من الـمكان الذي هو به من السماء لـمعزولون, فكيف يستطيعون أن يتنزّلوا به. وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل ذلك, قال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20360ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, فـي قوله: وَما تَنزّلَتْ بِهِ الشّـياطِينُ قـال: هـذا القـرآن. وفـي قـوله إنّهُمْ عَنِ السّمْعِ لَـمَعْزُلُونَ قال: عن سمع السماء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي أبو سفـيان, عن معمـر, عن قَتادة, بنـحوه, إلا أنه قال: عن سمع القرآن.

والقرّاء مـجمعة علـى قراءة وَما تَنزّلَتْ بِهِ الشّياطِينُ بـالتاء ورفـع النـون, لأنها نون أصلـية, واحدهم شيطان, كما واحد البساتـين بسـتان. وذُكـر عـن الـحسن أنه كان يقرأ ذلك: «وَما تَنزّلَتْ بِهِ الشّياطُونَ» بـالواو, وذلك لـحن,

وينبغي أن يكون ذلك إن كـان صـحيحا عنـه, أن يكـون تـوهم أن ذلـك نظيـر الـمسلـمين والـمؤمنـين, وذلك بعيد من هذا.

الآية : 213-215

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلاَ تَدْعُ مَـعَ اللّـهِ إِلَـهاً آخَـرَ فَتَكُـونَ مِـنَ الْمُعَذّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأقْرَبِـينَ * وَاخْفِـضْ جَنَاحَـكَ لِمَـنِ اتّبَعَـكَ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: فَلا تَدْعُ يا مـحمد مَعَ اللّهِ إلَها آخَرَ: أي لا تعبد معه معبودا غيره فَتكُونَ مِنَ الـمُعَذّبِـينَ فـينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا. وقوله: وأنْـذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِـينَ يقول جلّ ثناؤه لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربـين إلـيك قرابة, وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهـم بكفرهم.

وذُكر أن هذه الآية لـما نزلت, بدأ ببنـي جده عبد الـمطلب وولده, فحذّرهم وأنذرهم. ذكر الرواية بذلك:

20361ـ حدثنـي أحمد بن الـمقدام, قال: حدثنا مـحمد بن عبد الرحمـن, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن أبـيه, عن عائشـة قالت: لـما نزلـت هـذه الآية: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِـينَ قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «يـا صَفِـيّةُ بِنْتَ عَبْدِ الـمُطّلِبِ, يا فـاطِمَةُ بِنْتَ مْـحَمّد يا بَنِـي عَبْد الـمُطّلِبِ إنّـي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئا, سَلُونِـي مِنْ مالـي ما شِئْتُـمْ».

حدثنا ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي ويونس بن بكير, عن هشام بن عروة, عن أبـيه, عن عائشة, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, بنـحوه.

20362ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن هشام بن عروة, عن أبـيه, قال: لـما نزلت وأَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَقْرَبِـينَ قـام النبـيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «يا فـاطِمَةُ بِنْتُ مُـحَمّدٍ, وَيـا صَفِـيّةُ ابْنَـةَ عَبْـدِ الـمطّلِبِ» ثم ذكر نـحو حديث ابن الـمقدام.

20363ـ حدثنـي يونس بن عبد الأعلـى, قال: حـدثنا سـلامة, قـال: قـال عقـيـل: ثنـي الزهري, قال: قال سعيد بن الـمسيب, وأبـو سلـمة بـن عبـد الرحمن: إن أبـا هريرة قال: قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حيـن أنزل عليه وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِـينَ: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِـنَ اللّهِ, لا أُغْنِـي عَنْكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئا, يا بَنِـي عَبْدِ مَنافٍ لا أُغْنِـي عَنْكُمْ مِـنَ اللّـهِ شَيْئا, يا عَبّـاسُ بَنَ عَبْدِ الـمُطّلِبِ لا أُغْنِـي عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَيْئا, يا فـاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ الله لا أُغْنِـي عَنْكِ مِنَ اللّهِ شَيْئا, سَلِـينِـي ما شِئْتِ, لا أُغْنـي عَنْكِ مِـنَ اللّهِ شَيْئا».

20364ـ حدثنـي مـحمد بن عبد الـملك, قال: حـدثنا أبـو الـيـمان, قـال: أخبرنا شُعيب عن الزهري, قال: أخبرنـي سعيد بن الـمسيب وأبو سلـمة بن عبد الرحمن أن أبـا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم حيـن أُنـزل علـيه: وأَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَقْرَبِـينَ قـال: «يـا مَعْشَـرَ قُرَيْـشٍ اشْـتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللّهِ» ثم ذكر نـحو حديث يونس, عن سـلامة غيـر أنـه زاد فـيه «يا صَفِـيّةُ عَمّةَ رَسُولِ اللّهِ لا أُغْنِـي عَنْـكِ مِـنَ اللّـهِ شَـيْئا» ولـم يـذكر فـي حديثه فـاطمة.

20365ـ حدثني يونس, قال: حدثنا سلامة بن روح, قال: قال عقيل: ثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ جمع قريشا, ثم أتاهم, فقال لهم: «هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟» فقالوا: لا إلا ابن أخت لنا لا نراه إلا منا, قال: «إنّهُ مِنْكُمْ», فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم قال لهم في آخر كلامه: «لا أُعْرِفَنّ ما وَرَدَ على النّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ يَسُوقُونَ الآخِرَةَ, وَجِئْتُمْ إليّ تَسُوقُونَ الدّنْيا».

حدثني يونس, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن, أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللّهِ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئا, يا بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئا, يا عَبّاسُ بْنَ عَبْدِ المطّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَيْئا, يا صَفِيّةُ عَمّةَ رَسُولِ اللّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللّهِ شِيْئا, يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمّد سَلِينِي ما شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللّهِ شَيْئا».

20366ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت الحجاج يحدّث, عن عبد الملك بن عمير, عن موسى بن طلحة, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما أنزل الله: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النّار, يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النّار, ألا إنّ لَكُمْ رَحِما سأبُلّها بِبِلالها».

20367ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو أسامة, عن زائدة, عن عبد الملك بن عمير, عن موسى بن طلحة, عن أبي هريرة, قال: لما نَزَلت هذه الآية: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا, فعمّ وخَصّ, فقال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللّهِ, يا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ, يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدَ منافٍ, يا مَعْشَرَ بَنِي هاشِمٍ, يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ», يقول لكلهم: «أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النّارِ, يا فاطِمَةُ بِنْتِ مُحَمّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النّارِ, فإني وَاللّهِ ما أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئا, ألا إنّ لَكُمْ رَحِما سأبُلّها بِبِلالها».

20368ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: حدثنا أبو عثمان, عن زُهير بن عمرو وقَبيصة بن مُخارق: أنهما قالا: أنزل الله على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ, فحدّثنا عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنه علا صخرة من جبل, فعلا أعلاها حَجَرا, ثم قال: «يا آلَ عَبْدِ مَنافاه, يا صَباحاه, إنّي نَذِيرٌ, إنّ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ أتى الجَيْشَ, فَخَشِيَهُمْ عَلى أَهْلِهِ, فَذَهَبَ يَرْبَؤُههمْ, فَخَشِيَ أنْ يَسْبِقُوهُ إلى أهْلِهِ, فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِهِمْ: يا صَباحاه» أو كما قال.

20369ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر, عن عوف, عن قَسامة بن زهير, قال: بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ جاء فوضع أصبعه في أذنه, ورفع من صوته, وقال: «يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ وَاصَباحاهُ» 20370ـ قال: ثني أبو عاصم, قال: حدثنا عوف, عن قسامة بن زهير, قال: أظنه عن الأشعريّ, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: حدثنا أبو زيد الأنصاريّ سعد بن أوس, عن عوف, قال: قال قسامة بن زهير, حدثني الأشعريّ, قال: لما نزلت, ثم ذكر نحوه إلا أنه قال: وضع أصبعيه في أذنيه.

20371ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن نُمير, عن الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: لما نزلت هذه الآية وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا, ثم نادى: «يا صَباحاهُ», فاجتمع الناس إليه, فبينَ رجل يجيء, وبين آخر يبعث رسوله, فقال: «يا بَنِي هاشِم, يا بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ, يا بَنِي فِهْرٍ, يا بَنِي يا بَنِي, أرأيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ صَدّقْتُمُونِي؟» قالوا: نعم, قالَ: «فإنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فقال أبو لهب: تَبّا لكم سائَر اليوم, ما دعوتمونـي إلا لهذا؟ فنزلت: تَبّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَتَبّ.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن عمرو بن مُرّة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: صَعِد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا, فقال: «يا صباحاهُ» فاجتمعت إليه قريش, فقالوا له: مالَك؟ فقال: «أرأيْتَكُمْ إنْ أخْبَرْتُكُمْ أنّ العَدُوّ مُصَبّحُكُمْ أوْ مَمَسّيكُمْ ألا كُنْتُمْ تُصَدّقونَنِي؟» قالوا: بلى, قال: «فإنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». قال أبو لهب: تَبّا لك, ألهذا دعوتنا أو جمعتنا, فأنزل الله: تَبّتْ يَدَا أبِي لَهَب... إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو أسامة, عن الأعمش, عن عمرو بن مُرّة, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: لمّا نزلت هذه الآية: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ورهطك منهم المخلصين, خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِد الصفا, فهتف: «يا صَباحاهُ» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد, فاجتمعوا إليه, فقال: «يا بَنِي فُلانٍ, يا بَنِي فُلانٍ, يا بَنِي عَبدِ المُطّلِبِ, يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ», فاجتمعوا إليه, فقال: «أرَأيْتَكُمْ إنْ أخْبَرْتُكُمْ أنّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ أكُنْتُمْ مُصَدّقيّ؟» قالُوا: ما جرّبنا عليك كذبا, قال: «فإني نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ», فقال أبو لهب: تبا لك, ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: تَبّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وقد تبّ, كذا قرأ الأعمش, إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو معاوية بن هشام, عن سفيان, عن حبيب, عن سعيد, عن ابن عباس, قال: لما نزلت وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقام على الصفا, فقال: «يا صَباحاهُ»

قال: ثنا خالد بن عمرو, قال: حدثنا سفيان الثوريّ, عن حبيب بن أبي ثابت, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: لما نزلت وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ, قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا, فقال: «يا صَباحاهُ» فجعل يُعَدّدُهم: «يا بَنِي فُلانٍ, وَيا بَنِي فُلانٍ, وَيا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ».

20372ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن عمرو بن مرّة الجَمَليّ, قال: لما نزلت: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ قال: أتى جبلاً, فجعل يهتف: يا صَباحاهُ», فأتاه مَنْ خَفّ من الناس, وأرسل إليه المتثاقلون من الناس رُسُلاً, فجعلوا يجيئون يتّبعون الصوت فلما انتهوا إليه قال: «إنّ

مِنْكُمْ مَنْ جاءَ لِيَنْظُرَ, وَمِنْكُمْ مَنْ أَرْسلَ لِينظرَ مَن الهاتفُ», فلما اجتمعوا وكثروا قال: «أَرأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أنّ خَيْلاً مُصَبّحَتُكُمْ مِنْ هَذَا الجَبَل, أكُنْتُمْ مُصَدّقيّ؟» قالوا: نعم, ما جرّبنا عليك كذبا, فقرأ عليهم هذه الآيات التي أنزلن, وأنذرهم كما أمِر, فجعل ينادي: «يا قُرَيْشُ, يا بَنِي هاشِمٍ» حتى قالَ: «يا بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ, إنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ».

20373ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عمرو: أنه كان يقرأ: وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ورَهْطَكَ المُخْلِصين.

20374ـ قال: ثنا سَلَمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن عبد الغفار بن القاسم, عن المِنهال بن عمرو, عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب, عن عبد الله بن عباس, عن عليّ بن أبي طالب: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال لي: «يا عليّ, إنّ اللّهَ أَمَرَنِي أنْ أُنْذِرْ عَشِيرَتِي الأَقْرَبِينَ», قال: «فضقت بذلك ذَرْعا, وعرفت أنى متى ما أنادهم بهذا الأمر أَرَ منهم ما أكره, فصمتّ حتى جاء جبرائيل, فقال: يا محمد, إنك إلاّ تفعلْ ما تؤمر به يعذّبْك ربك. فاصنع لنا صاعا من طعام, واجعل عليه رجل شاة, واملأ لنا عُسّا من لبن, ثم اجمع لي بني عبد المطّلب, حتى أكلّمهم, وأبلغهم ما أمرت به», ففعلت ما أمرني به, ثم دعوتهم له, وهم يومئذ أربعون رجلاً, يزيدون رجلاً أو ينقصونه, فيهم أعمامه: أبو طالب, وحمزة, والعباس, وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم, فجئت به. فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حِذْية من اللحم, فشقها بأسنانه, ثم ألقاها في نواحي الصّحفة, قال: «خُذُوا باسم الله», فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة, وما أرى إلا مواضع أيديهم وَايْمُ الله الذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم, ثم قال: «اسْقِ النّاسَ», فجِئْتُهُمْ بذلك العُسّ, فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا, وايمُ الله إنَ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم, بَدَرَه أبو لهَب إلى الكلام, فقال: لَهَدّ ما سحركم به صاحبكم, فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «الغَدَ يا عليّ, إنّ هَذَا الرّجُلَ قَد سَبَقَنِي إلى ما قَدْ سَمِعْتَ مِنَ القَوْلِ, فَتفرّق القوم قبلَ أنْ أُكَلّمَهُمْ, فَأَعِدّ لَنا مِنَ الطّعامِ مِثْلَ الّذِي صَنَعْتَ, ثُمّ اجمَعْهُمْ لي», قال: ففعلت ثم جمعتهم, ثم دعاني بالطعام, فقرّبته لهم, ففعل كما فعل بالأمس, فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة, قال: «اسْقِهِمْ», فجئتهم بذلك العسّ فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا, ثم تكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «يا بَنِي عَبْدِ المُطلِبِ, إنّي وَاللّهِ ما أعْلَمُ شابا فِي العَرَبِ جاءَ قَوْمَهُ بأفْضَلَ مِمّا جِئْتُكُمْ بِهِ, إنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدّنْيا والآخِرَةِ, وَقَدْ أَمَرَنِي اللّهُ أَنْ أدْعُوَكُمْ إلَيْهِ, فَأيّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَذَا الأَمْرِ, عَلى أنْ يَكُونَ أخِي» وكَذَ وكَذَا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا, وقلت وإني لأحدَثهم سنا, وأرمصهم عينا, وأعظمهم بطنا, وأخمشهم ساقا. أنا يا نبيّ الله أكونُ وزيرك, فأخذ برقبتي, ثم قال: «إن هذا أخي» وكذا وكذا, «فاسمعوا له وأطيعوا», قال: فقام القوم يضحكون, ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

20375ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني إسحاق, عن عمرو بن عبيد, عن الحسن بن أبي الحسن, قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح, ثم قال: «يا بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ, يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ, يا بَنِي قُصَيّ», قال: ثم فَخّذ قريشا قبيلة قبيلة, حتى مرّ على آخرهم, «إنّي أَدْعُوكُمْ إلى اللّهِ, وأُنْذِرُكُمْ عَذَابَهُ».

20376ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ قال: أمِر محمد أن ينذر قومه, ويبدأ بأهل بيته وفصيلته, قال: وَكَذّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقّ.

20377ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا مَعْمَر, عن هشام بن عروة, عن أبيه, قال: وَلما نزلت: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يا فاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمّدٍ, يا صَفِيّةُ بِنْتَ عَبْدِ المُطّلِبِ, اتّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ».

20378ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ بدأ بأهل بيته وفصيلته.

20379ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: لما نزلت: وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ جمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بني هاشم, فقال: «يا بني هاشم, ألا لا أُلْفِيَنّكُمْ تَأْتُونِي تَحْمِلُونَ الدّنْيا, وَيأْتِي النّاسُ يَحْمِلُونَ الآخِرَةَ, ألا إنّ أوْلِيائي مِنْكُمُ المُتّقُونَ, فاتّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشقّ تَمْرَةٍ».

20380ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته قال: وشقّ ذلك على المسلمين, فأنزل الله تعالى: وَاخْفِضْ جَناحَكَ لَمنِ اتّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ.

وقوله: وَاخْفِضْ جَناحَكَ يقول: وألن جانبك وكلامك لَمِنَ اتّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ كما.

20381ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاخْفِضْ جَناحَكَ لَمِنِ اتّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: يقول: لِنْ لهم.

الآية : 216-220

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنّي بَرِيءٌ مّمّا تَعْمَلُونَ * وَتَوكّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرّحِيمِ * الّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلّبَكَ فِي السّاجِدِينَ * إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: فإن عصتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم, وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان, والإشراك بالرحمن, فقل لهم: إنّي بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ من عبادة الأصنام ومعصية باريء الأنام وَتَوَكّلْ عَلى العَزِيزِ في نقمته من أعدائه الرّحِيمِ بمن أناب إليه وتاب من معاصيه, الّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ يقول: الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك. وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما:

20382ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج عن مجاهد, قوله: الّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ قال: أينما كنت.

وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: ويرى تقلبك فـي صلاتك حين تقوم, ثم تركع, وحين تسجد. ذكــر من قال ذلك:

20383ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس قوله: وَتَقَلّبَـكَ فِــي السّـاجِدِينَ يقـول: قـيامك وركوعك وسجودك.

20384ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, قال: سمعت أبـي وعلـيّ بن بذيـمة يحدّثان عـن عكرِمـة فــي قـوله: يَـراكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ قال: قـيامه وركوعه وسجوده.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمـر, قـال: قـال عكرِمة, فــي قـوله: وَتَقَلّبَـكَ فِــي السّـاجِدِينَ قـال: قائمـا وسـاجدا وراكعـا وجالسا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تقلبك فـي الـمصلـين, وإبصارك منهم من هو خـلفك, كما تبصر من هو بـين يديك منهم. ذكر من قال ذلك:

20385ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن لـيث, عن مـجاهد وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ كان يرى من خـلفه, كما يــرى من قدّامه.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ قـال: الـمصلــين كان يرى مَن خـلفه فـي الصلاة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ قال: الـمصلـين, قال: كان يـرى فــي الصلاة من خـلفه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتقلبك مع الساجدين: أي تصرفك معهم فـي الـجلوس والقـيام والقعود. ذكر من قال ذلك:

20386ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جُرَيج: أخبرنـي عطاء الـخراسانـي عن ابن عبـاس, قـال: وَتَقَلّبَـكَ فِــي السّاجِدِينَ قال: يراك وأنت مع الساجدين تَقَلّب وتقوم وتقعد معهم.

20387ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, فـي قوله: وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ قال: فـي الـمصلـين.

20388ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ قال: فـي الساجدين: الـمصلـين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تصرّفك فـي الناس. ذكر من قال ذلك:

20389ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا ربـيعة بن كلثـوم, قال: سألت الـحسن عن قوله: وَتَقَلّبَكَ فِـي السّاجِدِينَ قال: فـي الناس.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتصرّفك فـي أحوالك كما كانت الأنبـياء من قبلك تفعله, والساجدون فـي قول قائل هذا القول: الأنبـياء. ذكـر مـن قـال ذلك:

20390ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن أشعث, ع ن جعفـر, عن سعيد, فـي قوله: الَّذِي يَرَاكَ... الآية, قال: كما كانت الأنبـياء من قبلك.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك, حين تقوم معهم وتركع وتسجد, لأن ذلك هو الظاهر من معناه. فأما قول من وجّهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس, فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة, وإن كان له وجه, لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله, فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلان مع الساجدين, أو في الساجدين, أنه مع الناس أو فيهم, بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود, السجودَ المعروف, وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر. وكذلك أيضا في قول من قال: معناه: تتقلّب في أبصار الساجدين, وإن كان له وجه, فليس ذلك الظاهر من معانيه.

فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم, الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك, ويرى تقلبك في المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس.

وقوله: إنّهُ هُوَ السّمِيعُ الَعلِيمُ يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد, وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر, العليم بما تعلم فيها ويعمل فيها من يتقلّب فيها معك مؤتما بك, يقول: فرتل فيها القرآن, وأقم حدودها, فإنك بمرأى من ربك ومسمع.

الآية : 221-227

القول في تأويل قوله تعالى: {هَلْ أُنَبّئُكُمْ عَلَىَ مَن تَنَزّلُ الشّيَاطِينُ * تَنَزّلُ عَلَىَ كُلّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ }. يقول تعالى ذكره: هَلْ أُنَبّئُكُمْ أيها النّاس عَلى مَنْ تَنزّلُ الشّيَاطِينُ من الناس؟ تَنزّلُ عَلى كُلّ أفّاكٍ يعني كذّاب بهّات أَثِيمٍ يعني: آثم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلكً:

20391ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: كُلّ أفّاكٍ أَثِيمٍ قال: كلّ كذّاب من الناس.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد تَنزّلُ عَلى كُلّ أفّاكٍ أَثِيمٍ قال: كذّاب من الناس.

20392ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: كُلّ أفّاكٍ أَثِيمٍ قال: هم الكهنة تسترق الجنّ السمع, ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس.

20393ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن وهب, قال: كنت عند عبد الله بن الزبير, فقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه, فقال: صدق, ثم تلا: هَلْ أُنَبّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنزّلُ الشّياطينُ تَنزّلُ عَلى كُلّ أفّاكٍ أَثِيمٍ.

وقوله: يُلْقُونَ السّمْعَ يقول تعالى ذكره: يُلقي الشياطين السمع, وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء, إلى كُلّ أفاكٍ أَثِيمٍ من أوليائهم من بني آدم. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20394ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يُلْقُونَ السّمْعَ قال: الشياطين ما سمعته ألقته على كلّ أفّاك كذّاب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد يُلْقُونَ السّمْعَ الشياطين ما سمعته ألقته عَلى كُلّ أفّاكٍ قال: يلقون السمع, قال: القول.

وقوله: وأكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ يقول: وأكثر من تنزّل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20395ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, في قوله وأكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ عن عروة, عن عائشة قالت: الشياطين تسترق السمع, فتجيء بكلمة حقّ فيقذفها في أذن وليه قال: ويزيد فيها أكثر من مئة كذبة. القول في تأويل قوله تعالى: {وَالشّعَرَآءُ يَتّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلاّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوَاْ أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والشعراء يتبعهم أهل الغيّ لا أهل الرشاد والهدى.

واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغيّ في هذا الموضع فقال بعضهم: رواة الشعر. ذكر من قال ذلك:

20396ـ حدثني الحسن بن يزيد الطحان, قال: حدثنا إسحاق بن منصور, قال: حدثنا قيس, عن يعلى, عن عكرمة, عن ابن عباس وحدّثني أبو كُرَيب, قال: حدثنا طلق بن غنام, عن قيس وحدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطيّة, عن قيس, عن يعلى بن النعمان, عن عكرمة, عن ابن عباس والشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوُونَ قال: الرواة.

وقال آخرون: هم الشياطين. ذكر من قال ذلك:

20397ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوُونَ: الشياطين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

20398ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ قال: يتبعهم الشياطين.

20399ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن سلمة بن كهيل, عن عكرِمة, في قوله وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوُونَ قال: عصاة الجنّ.

وقال آخرون: هم السفهاء, وقالوا: نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

20400ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوُونَ... إلى آخر الآية, قال: كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه

وسلم: أحدهما من الأنصار, والآخر من قوم آخرين, وأنهما تهاجيا, وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه, وهم السفهاء, فقال الله: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوونَ, أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ.

20401ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوُونَ قال: كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحدهما من الأنصار, والآخر من قوم آخرين, تهاجيا, مع كلّ واحد منهما غواة من قومه, وهم السّفهاء.

وقال آخرون: هم ضلال الجنّ والإنس. ذكر من قال ذلك:

20402ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ قال: هم الكفار يتبعهم ضلال الجنّ والإنس.

20403ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ قال: الغاوونَ المشركون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جلّ ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس, ومردة الشياطين, وعصاة الجنّ, وذلك أن الله عمّ بقوله: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض, فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية. قوله: أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمونَ يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أنهم, يعني الشعراء في كلّ وادٍ يذهبون, كالهائم على وجهه على غير قصد, بل جائزا على الحقّ, وطريق الرشاد, وقصد السبيل. وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حقّ, فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20404ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ يقول: في كلّ لغو يخوضون.

20405ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ قال: في كّل فنّ يَفْتَنّون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ قال: فن يَهِيمُونَ قال: يقولون.

20406ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ قال: يمدحون قوما بباطل, ويشتمون قوما بباطل.

وقوله: وَأَنّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ يقول: وأن أكثر قيلهم باطل وكذب. كما:

20407ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَأَنّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ يقول: أكثر قولهم يكذبون, وعني بذلك شعراء المشركين. كما:

20408ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال عبد الرحمن بن زيد: قال رجل لأبي: يا أبا أسامة, أرأيت قول الله جلّ ثناؤه: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ أَلَمْ تَرَ أنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأنّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ فقال له أبي: إنما هذا لشعراء المشركين, وليس شعراء المؤمنين, ألا ترى أنه يقول: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ... الخ. فقال: فَرّجت عني يا أبا أسامة فرّج الله عنك.

وقوله: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ وهذا استثناء من قوله وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ. وذُكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم, كحسان بن ثابت, وكعب بن مالك, ثم هو لكلّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها. وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار. ذكر من قال ذلك:

20409ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة وعليّ بن مجاهد, وإبراهيم بن المختار, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط, عن أبي الحسن سالم البرّاد مولى تميم الداري, قال: لما نزلت: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة, وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهم يبكون, فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنّا شعراء, فتلا النبيّ صلى الله عليه وسلم: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ, وَذَكَرُوا اللّهَ كَثِيرا, وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا, وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أيّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ.

20410ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: نزلت وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ إلى آخر السورة في حسّان بن ثابت, وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.

20411ـ قال: ثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة وطاوس, قالا: قال وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ أَلَمْ تَرَ أنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأنّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يفْعَلُونَ, فنسخ من ذلك واستثنى, قال: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ... الآية.

20412ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: ثم استثنى المؤمنين منهم, يعني الشعراء, فقال: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, فذكر مثله.

20413ـ حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَذَكَرُوا اللّهَ كَثِيرا, وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا قال: هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

20414ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن محمد بن إسحاق, عن يزيد بن عبد الله بن قسيط, عن أبي حسن البراد, قال: لما نزلت: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الْغاوُونَ ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة.

وقوله: وَذَكَرُوا اللّهَ كَثِيرا اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء, فقال بعضهم: هي حال منطقهم

ومحاورتهم الناس, قالوا: معنى الكلام: وذكروا الله كثيرا في كلامهم. ذكر من قال ذلك:
20415ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ, وَذَكَرُوا اللّهَ كَثِيرا في كلامهم.
وقال آخرون: بل ذلك في شعرهم. ذكر من قال ذلك:
20416ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَذَكَرُوا اللّهَ كَثِيرا قال: ذكروا الله في شعرهم.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا, ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه, ولا على لسان رسوله, فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كلّ أحوالهم.
وقوله: وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا يقول: وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم, وإجابتهم عما هجوهم به. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20417ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا قال: يردّون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين.
20418ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وانْتَصَرُوا من المشركين مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا.
وقيل: عني بذلك كله الرهط الذين ذكرت. ذكر من قال ذلك:
20419ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا عليّ بن مجاهد وإبراهيم بن المختار, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن عبد الله بن قسيط, عن أبي الحسن سالم البرّاد مولى تميم الداري, قال: لما نزلت: وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوُونَ جاء حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة, وكعب بن مالك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهم يبكون, فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء, فتلا النبيّ صلى الله عليه وسلم: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ, وَذَكَرُوا اللّهَ كَثيرا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن محمد بن إسحاق, عن يزيد بن عبد الله بن قسيط, عن أبي حسن البرّاد, قال: لما نزلت وَالشّعَرَاءُ يَتّبِعُهُمُ الغاوُونَ ثم ذكر نحوه.
20420ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا قال عبد الله بن رواحة وأصحابه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا قال: عبد الله بن رواحة.
وقوله: وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة أيّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ يقول: أيّ مرجع يرجعون إليه, وأيّ معاد يعودون إليه بعد مماتهم, فإنهم يصيرون إلى نار لا يُطفأ سعيرها, ولا يَسْكُن لهبها. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20421ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, وعليّ بن مجاهد, وإبراهيم بن المختار, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن عبد الله بن قسيط, عن أبي الحسن سالم البرّاد مولى تميم الداري وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أيّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ يعني: أهل مكة.

20422ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أيّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ قال: وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أيّ منقلب ينقلبون.

آخر تفسير سورة الشعراء

سورة النمل

سورة النمل مكية

وآياتها ثلاث وتسعون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1 - 3

القول في تأويل قوله تعالى:

{طسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىَ لِلْمُؤْمِنِينَ * الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُم بِالاَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }.

قال أبو جعفر: وقد بيّنا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم في فواتح السور, فقوله: طس من ذلك. وقد رُوي عن ابن عباس أن قوله: طس: قسم أقسمه الله هو من أسماء الله.

20423ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس. فالواجب على هذا القول أن يكون معناه: والسميع اللطيف, إن هذه الآيات التي أنزلتها إليك يا محمد لآيات القرآن, وآيات كتاب مبين: يقول: يبين لمن تدبّره, وفكّر فيه بفهم أنه من عند الله, أنزله إليك, لم تتخرّصه أنت ولم تتقوّله, ولا أحد سواك من خلق الله, لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله, ولو تظاهر عليه الجنّ والإنس. وخفض قوله: وكِتابٍ مُبِينٍ عطفا به على القرآن. وقوله: هُدًى من صفة القرآن. يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحقّ وسبيل السلام وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ يقول: وبشارة لمن آمن به, وصدّق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد.

وفي قوله: هُدًى وَبُشْرَى وجهان من العربية: الرفع على الابتداء بمعنى: هو هدى وبُشرى. والنصب على القطع من آيات القرآن, فيكون معناه: تلك آيات القرآن الهدى والبشرى للمؤمنين, ثم أسقطت الألف واللام من الهدى والبشرى, فصارا نكرة, وهما صفة للمعرفة فنصبا.

وقوله: الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ يقول: هو هدى وبشرى لمن آمن بها, وأقام الصلاة المفروضة بحدودها. وقوله: وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ يقول: ويؤدّون الزكاة المفروضة. وقيل: معناه: ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصي. وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وَهُمْ بِالاَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة, وإيتائهم

الزكاة الواجبة, بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون, فيذلون في طاعة الله, رجاء جزيل ثوابه, وخوف عظيم عقابه, وليسوا كالذين يكذّبون بالبعث, ولا يبالون, أحسنوا أم أساءوا, وأطاعوا أم عصوا, لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا, وإن أساءوا لم يخافوا عقابا.

الآية : 4 و 5

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ زَيّنّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَـئِكَ الّذِينَ لَهُمْ سُوَءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الاَخِرَةِ هُمُ الأخْسَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدّقون بالدار الآخرة, وقيام الساعة, وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب زَيّنا لَهُمْ أعمالَهُمْ يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم, وسهّلنا ذلك عليهم فَهُمْ يَعْمَهُونَ يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيّناها لهم يتردّدون حيارى, يحسبون أنهم يحسنون. وقوله: أُولَئِكَ الّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا, وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش وَهُمْ فِي الاَخِرَةِ هُمُ الأَخسَرُونَ يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى فَمَا رَبحَتْ تِجَارَتهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ.

الآية : 6 - 8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّكَ لَتُلَقّى الْقُرْآنَ مِن لّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَىَ لأهْلِهِ إِنّيَ آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لّعَلّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمّا جَآءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه, عليم بأنباء خلقه ومصالحهم, والكائن من أمورهم, والماضي من أخبارهم, والحادث منها. إذْ قال مُوسى وإذ من صلة عليم. ومعنى الكلام: عليم حين قال موسى لأَهْلِهِ وهو في مسيره من مدين إلى مصر, وقد آذاهم بردُ ليلهم لما أصلد زَنْدُه: إنّي آنَسْتُ نارا: أي أبصرت نارا أو أحسستها, فامكثوا مكانكم سآتِيكُمْ مِنْها بِخَبرٍ يعني من النار, والهاء والألف من ذكر النار أوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «بِشِهابِ قَبَسٍ» بإضافة الشهاب إلى القبس, وترك التنوين, بمعنى: أو آتيكم بشعلةِ نارٍ أقتبسها منها. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: بشِهابٍ قَبَسٍ بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس, يعني: أو آتيكم بشهاب مقتبس.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قَرَأة الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وكان بعض نحويّ البصرة يقول: إذا جُعل القبس بدلاً من الشهاب, فالتنوين في الشهاب, وإن أضاف الشهاب إلى القبس, لم ينوّن الشهاب. وقال بعض نحويّ الكوفة: إذا أضيف الشهاب إلى القبس فهو بمنزلة قوله وَلَدَارُ الآخِرَةِ مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماه ولفظاه توهما بالثاني أنه غير الأوّل.

قال: ومثله حبة الخضراء, وليلة القمراء, ويوم الخميس وما أشبهه.
وقال آخر منهم: إن كان الشهاب هو القبس لم تجز الإضافة, لأن القبس نعت, ولا يُضاف الاسم إلى نعته إلا في قليل من الكلام, وقد جاء: وَلَدَارُ الآخِرَةِ ووَلَلدّارُ الآخِرَةُ.
والصواب من القول في ذلك أن الشهاب إذا أريد به أنه غير القبس, فالقراءة فيه بالإضافة, لأن معنى الكلام حينئذ, ما بينا من أنه شعلة قبس, كما قال الشاعر:
فـي كَفّه صَعْدَةٌ مُشَقّـفَةٌفِيها سِنانٌ كشُعْلَةِ القَبَسِ
وإذا أريد بالشهاب أنه هو القبس, أو أنه نعت له, فالصواب في الشهاب التنوين, لأن الصحيح في كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته, وإلى نفسه, بل الإضافات في كلامها المعروف إضافة الشيء إلى غير نفسه وغير نعته.
وقوله: لَعَلّكُمْ تَصْطَلُونَ يقول: كي تصطلوا بها من البرد. وقوله: فَلَمّا جاءَها يقول: فلما جاء موسى النار التي آنسها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ ومَنْ حَوْلَهَا. كما:
20424ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ يقول: قُدّس.
واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله مَنْ فِي النّارِ فقال بعضهم: عني جلّ جلاله بذلك نفسه, وهو الذي كان في النار, وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20425ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فَلَمّا جاءَها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ في النّارِ يعني نفسه قال: كان نور ربّ العالمين في الشجرة.
20426ـ حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدي, قال: حدثنا أبو قُتَيبة, عن ورقاء, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, في قول الله: بُورِكَ مَنْ في النّارِ قال: ناداه وهو في النار.
20427ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن الحسن, في قوله: نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا قال هو النور.
20428ـ قال: قال قَتادة: بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ قال: نور الله بورك.
قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال الحسن البصري بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار. ذكر من قال ذلك:
20429ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الأشيب, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ بوركت النار. كذلك قاله ابن عباس.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله أنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ قال: بوركت النار.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ قال: بوركت النار.

20430ـ حدثنا مـحمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا مكي بن إبراهيـم, قال: حدثنا موسى, عن مـحمد بن كعب, فـي قوله: أنْ بورِكَ مَنْ فِــي النّـارِ نـور الرحمن, والنور هو الله وَسُبْحَانَ اللّهِ رَبّ العَالَـمِينَ.

واختلف أهل التأويـل فـي معنى النار فـي هـذا الــموضع, فقـال بعضـهم: معناه: النور كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه.

وقال آخرون: معناه النار لا النور. ذكر من قال ذلك:

20431ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن سعيد بن جُبَـير, أنه قال: حجاب العزّة, وحجاب الـمَلِك, وحجـاب السلطان, وحجاب النار, وهي تلـك النـار التــي نـودي منهـا. قـال: وحجـاب النور, وحجاب الغمام, وحجاب الـماء, وإنـما قـيــل: بـورك مـن فــي النـار, ولـم يقل: بورك فـيـمن فـي النار علــى لغـة الـذين يقولـون: بــاركك اللـه. والعرب تقول: بـاركك الله, وبـارك فـيك.

وقوله: وَمَنْ حَوْلَهَا يقول: ومن حول النار. وقـيــل: عَنــي بــمن حولهـا: الـملائكة. ذكر من قال ذلك:

20432ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس وَمَنْ حَوْلَهَا قال: يعنـي الـملائكة.

20433ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن الـحسن, مثله.

وقال آخرون: هو موسى والـملائكة.

20434ـ حدثنا مـحمد بن سنان القزّاز, قال: حدثنا مكي بن إبراهيـم, قال: حدثنا موسى, عن مـحمد بن كعب وَمَنْ حَوْلَهَا قال موسى النبـيّ والـملائكة, ثم قال: يا مُوسَى إنّهُ أنا اللّهُ العَزِيزُ الـحَكيـمُ.

وقوله: وَسُبْحانَ الله رَبّ العالَـمِينَ يقول: وتنزيها لله ربّ العالـمين, مـما يصفه به الظالـمون.

الآية : 9 - 11

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {يَمُوسَـىَ إِنّـهُ أَنَـا اللّـهُ الْعَزِيـزُ الْحَكِيـمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمّا رَآهَا تَهْتَزّ كَأَنّهَا جَآنّ وَلّىَ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقّبْ يَمُوسَىَ لاَ تَخَفْ إِنّي لاَ يَخَافُ لَدَيّ الْمُرْسَلُونَ * إَلاّ مَن ظَلَمَ ثُمّ بَدّلَ حُسْـناً بَعْـدَ سُـوَءٍ فَـإِنّي غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـله لـموسى: إنّهُ أنا اللّـهُ العَزِيـزُ فــي نقمته من أعدائه الـحَكِيـمُ فـي تدبـيره فـي خـلقه. والهاء التــي فـي قـوله: إنّهُ هاء عماد, وهو اسم لا يظهر فـي قول بعض أهـل العربــية. وقـال بعـض نـحويـي الكوفة: يقول هي الهاء الـمـجهولة, ومعناها: أن الأمر والشـأن: أنـا الله, وقوله: وألْقِ عَصَاكَ فَلَـمّا رآهَا تَهْتَزّ فــي الكلام مــحذوف تُـرك ذكـره, استغناء بـما ذُكِر عما حُذف, وهو: فألقاها فصارت حية تهتز فَلَـمّا رآهـا تَهْتَـزّ كأنّها جانّ يقول: كأنها حية عظيـمة, والـجانّ: جنس من الـحيات معروف.

وقال ابن جُرَيْج فـي ذلك ما.

20435ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جُرَيج: وألْقِ عَصَاكَ فَلَـمّا رآها تَهْتَزّ كأنّها جـانّ قـال: حيـن تــحوّلت حيـة تسعى, وهذا الـجنس من الـحيات عنـي الراجز بقوله:

يَرْفَعْنَ بـاللّـيْـلِ إذَا ما أسْدَفـاأعْناقَ جِنّانٍ وَهامـا رُجّفَــاوَعَنَقا بَعْـدَ الرّسِيــم خَيْطَفَـا

وقوله: وَلّى مُدْبرا يقول تعالى ذكره: ولى موسى هاربا خوفا منها ولَمْ يُعَقِّبْ يقول: ولم يرجع من قولهم: عقب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20436ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: ولَمْ يُعَقِّبْ قال: لم يرجع.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

20437ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر, عن قتادة, قال: لم يلتفت.

20438ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله ولَمْ يُعَقِّبْ قال: لم يرجع يَا مُوسَى قال: لما ألقى العصا صارت حية, فرعب منها وجزع, فقال الله: إنّي لا يَخافُ لَدَيّ الْمُرْسَلُونَ قال: فلم يرعو لذلك, قال: فقال الله له: أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إنّكَ مِنَ الآمِنِينَ قال: فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال: سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت, فرجع فأخذها, ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها.

وقوله: يا موسَى لا تَخَفْ إنّي لا يَخافُ لَدَيّ الْمُرْسَلُونَ إلاّ مَنْ ظَلَمَ يقول تعالى ذكره: فناداه ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية, إني لا يخاف لديّ المرسلون: يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوّة, إلا من ظلم منهم, فعمل بغير الذي أذن له في العمل به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20439ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قوله يا مُوسَى لا تَخَفْ إنّي لا يَخافُ لَدَيّ الْمُرْسَلُونَ قال: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم, فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه.

20440ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عبد الله الفزاري, عن عبد الله بن المبارك, عن أبي بكر, عن الحسن, قال: قوله: يا مُوسَى لا تَخَفْ إنّي لا يَخافُ لَدَيّ الْمُرْسَلُونَ إلاّ مَنْ ظَلَمَ قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس, قال: وقال الحسن: كانت الأنبياء تذنب فتعاقب.

واختلف أهل العربية في وجه دخول إلا في هذا الموضع, وهو استثناء مع وعد الله الغفران المستثنى من قوله: إنّي لا يَخافُ لَدَيّ الْمُرْسَلُونَ بقوله: فإنّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله, وذلك أن يكون ما بعده إن كان ما قبله منفيا مثبتا كقوله: ما قام إلا زيد, فزيد مثبت له القيام, لأنه مستثنى مما قبل إلا, وما قبل إلا منفيّ عنه القيام, وأن يكون ما بعده إن كان ما قبله مثبتا منفيا كقولهم: قام القوم إلا زيدا فزيد منفي عنه القيام ومعناه: إن زيدا لم يقم, والقوم مثبت لهم القيام, (إلا من ظلم, ثم بدّل حسنا بعد سوء), فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة, وأدخله في عداد من لا يخاف لديه من المرسلين. فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت إلا في هذا الموضع, لأن إلا تدخل

في مثل هذا الكلام, كمثل قول العرب: ما أشتكي إلا خيرا فلم يجعل قوله: إلا خيرا على الشكوى, ولكنه علم أنه إذا قال: ما أشتكي شيئا أن يذكر عن نفسه خيرا, كأنه قال: ما أذكر إلا خيرا.

وقال بعض نحويي الكوفة: يقول القائل: كيف صير خائفا من ظلم, ثم بدّل حسنا بعد سوء, وهو مغفور له؟ فأقول لك: في هذه الآية وجهان: أحدهما أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة, ومن خلط عملاً صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو, فهذا وجه. والآخر: أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة, لأن المعنى: لا يخاف لديّ المرسلون, إنما الخوف على من سواهم, ثم استثنى فقال: إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمّ بَدّلَ حُسْنا يقول: كان مشركا, فتاب من الشرك, وعمل حسنا, فذلك مغفور له, وليس يخاف. قال: وقد قال بعض النحويين: إن إلا في اللغة بمنزلة الواو, وإنما معنى هذه الآية: لا يخاف لديّ المرسلون, ولا من ظلم ثم بدّل حسنا, قال: وجعلوا مثله كقول الله: لِئَلاّ يكُونَ للنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجّةٌ إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قال: ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا, لأني لا أجيز: قام الناس إلا عبد الله, وعبد الله قائم إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء التي قبل إلا. وقد أراه جائزا أن يقول: لي عليك ألف سوى ألف آخر فإن وُضِعت إلا في هذا الموضع صلحت, وكانت إلا في تأويل ما قالوا, فأما مجرّدة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا, ولكن مثله مما يكون معنى إلا كمعنى الواو, وليست بها قوله: خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السّمَوَاتُ والأرْضُ إلاّ ما شاءَ رَبّكَ هو في المعنى. والذي شاء ربك من الزيادة, فلا تجعل إلا بمنزلة الواو, ولكن بمنزلة سوى فإذا كانت «سوى» في موضع «إلا» صلحت بمعنى الواو, لأنك تقول: عندي مال كثير سوى هذا: أي وهذا عندي, كأنك قلت: عندي مال كثير وهذا أيضا عندي, وهو في سوى أبعد منه في إلا, لأنك تقول: عندي سوى هذا, ولا تقول: عندي إلا هذا.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في قوله إلاّ مَنْ ظَلَمَ ثُم بَدّلَ عندي غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية, بل هو القول الذي قاله الحسن البصري وابن جُرَيج ومن قال قولهم ا, وهو أن قوله: إلاّ مَنْ ظَلَمَ استثناء صحيح من قوله لا يَخافُ لَدَيّ المُرْسَلُونَ إلاّ مَنْ ظَلَمَ منهم فأتى ذنبا, فإنه خائف لديه من عقوبته. وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك, وهو قوله قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس.

فإن قال قائل: فما وجه قيله إن كان قوله إلاّ مَنْ ظَلَمَ استثناءً صحيحا, وخارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين, وكيف يكون خائفا من كان قد وُعد الغفران والرحمة؟ قيل: إن قوله: ثُمّ بَدّلَ حُسْنا بَعْدَ سُوءٍ كلام آخر بعد الأوّل, وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم, ومن لم يظلم عند قوله إلاّ مَنْ ظَلَمَ ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل, وسائر الناس غيرهم. وقيل: فمن ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فإني له غفور رحيم.

فإن قال قائل: فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت بثم إن لم يكن عطفا على قوله: ظَلَمَ؟ قيل: على متروك استغني بدلالة قوله ثُمّ بَدّلَ حُسْنا بَعْدَ سُوءٍ عليه عن إظهاره, إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره, وهو: فمن ظلم من الخلق. وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية, فقد

قالوا على مذهب العربية, غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل. وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل, ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل.

وقوله: ثُمّ بَدّلَ حُسْنا بَعْد سُوءٍ يقول تعالى ذكره: فمن أتى ظلما من خلق الله, وركب مأثما, ثم بدل حسنا, يقول: ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم, فإني غَفُورٌ يقول: فإن ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه, وترك عقوبته عليه رَحِيمٌ به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20441ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله إلاّ مَنْ ظَلَمَ, ثُمّ بَدّلَ حُسْنا بَعْدَ سُوءٍ ثم تاب من بعد إساءته فإنّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوَءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبيه موسى: وأدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه وإنما أمره بإدخاله في جيبه, لأن الذي كان عليه يومئذ مِدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كُمّ. وقال بعضهم: كان كمها إلى بعض يده. ذكر من قال ذلك:

20442ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ قال: الكفّ فقط في جيبك. قال: كانت مدرعة إلى بعض يده, ولو كان لها كُمّ أمره أن يدخل يده في كمه.

20443ـ قال: ثني حجاج, عن يونس بن أبي إسحاق, عن أبيه, عن عمرو بن ميمون, قال: قال ابن مسعود: إن موسى أتى فرعون حين أتاه في دُرْ مانقة, يعني جبة صوف.

وقوله: تَخْرُجْ بَيْضَاءَ يقول: تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غيرِ سُوءٍ يقول: من غير برص في تسع آيات, يقول تعالى ذكره: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء, فهي آية في تسع آيات مُرسل أنت بهنّ إلى فرعون وترك ذكر مرسل لدلالة قوله إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ على أن ذلك معناه, كما قال الشاعر:

رأتْنِي بِحَبْلَيْها فَصَدّتْ مَخافَةًوفِي الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤَادِ فَرُوقُ

ومعنى الكلام: رأتني مقبلاً بحبليها, فترك ذكر «مقبل» استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك, إذ قال: رأتني بحبليها ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة.

والآيات التسع: هنّ الآيات التي بيّناهنّ فيما مضى. وقد:

20444ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا, واليد, والجراد, والقمل, والضفادع, والطوفان, والدم, والحجر, والطّمْس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم.

وقوله: إنّهُمْ كانُوا قَوْما فـاسِقِـينَ يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فـاسقـين, يعنـي كافرين بـالله, وقد بـيّنا معنى الفسق فـيـما مضى.

الآية : 13 - 14

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّـا جَـآءَتْهُمْ آيَاتُنَـا مُبْصِـرَةً قَـالُواْ هَـَذَا سِحْرٌ مّبِينٌ * وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَـانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: فلـما جـاءت فرعـون وقـومه آياتنـا, يعنـي أدلتنـا وحججنا, علـى حقـيقة ما دعاهم إلـيه موسى وصـحته, وهـي الآيـات التسـع التـي ذكرناها قبل. وقوله مُبْصِـرَةً يقـول: يبصـر بهـا مـن نظـر إلـيها ورآهـا حقـيقة ما دلت علـيه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر مـن قال ذلك:

20445ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جُرَيج فَلَـمّا جاءَتْهُمْ آياتُنَا مُبْصِرَةً قال: بـيّنة قَالُوا: هَـذَا سِـحْرٌ مُبِـينٌ, يقـول: قال فرعون وقومه: هذا الذي جاءنا بـه موسـى سـحر مبـين, يقـول: يبـين للناظرين له أنه سحر.

وقوله: وَجَحَدُوا بِها يقول: وكذّبوا بـالآيات التسع أن تكون من عنـد اللـه, كما:

20446ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جُرَيج وَجَحَدُوا بِها قال: الـجحود: التكذيب بها.

وقوله: وَاسْتَـيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ يقول: وأيقنتها قلوبهم, وعلـموا يقـينا أنها من عند الله, فعاندوا بعد تبـينهم الـحقّ, ومعرفتهم به, كما:

20447ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جُرَيج, عن عطاء الـخراسانـي, عن ابن عبـاس وَاسْتَـيْقَنَتْها أنْفُسُـهُمْ قـال: يقـينهم فـي قلوبهم.

20448ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فـي قوله الله: وَاسْتَـيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ ظُلْـما وَعُلُوّا قـال: استـيقنوا أن الآيـات مـن الله حقّ, فلِم جحدوا بها؟ قال: ظلـما وعلوّا.

وقوله: ظُلْـما وَعُلُوّا يعنـي بـالظلـم: الاعتداء, والعلوّ: الكبر, كأنه قـيـل: اعتداء وتكبرا وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:

20449ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جُرَيج, فـي قوله ظُلْـما وَعُلُوّا قال: تعظما واستكبـارا, ومعنى ذلك: وجحدوا بـالآيات التسع ظلـما وعلوّا, واستـيقنتها أنفسهم أنها من عند اللـه, فعانـدوا الـحقّ بعد وضوحه لهم, فهو من الـمؤخر الذي معناه التقديـم.

وقوله: فـانْظُرْ كَيْف كانَ عاقِبَةُ الـمُفْسِدِينَ. يقـول تعالـى ذكـره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: فـانظر يا مـحمد بعين قلبك كيـف كـان عاقبـة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جـاءتهم مبصـرة, ومـاذا حـلّ بهـم مـن إفسادهم فـي الأرض ومعصيتهم فـيها ربهم, وأعقبهـم مـا فعلـوا, فـإن ذلـك أخرجهم من جنات وعيـون, وزروع ومقـام كريـم, إلـى هلاك فـي العاجـل بـالغرق, وفـي الآجل إلـى عذاب دائم, لا يفـتر عنهـم, وهـم فـيه مبلسـون. يقول: وكذلك يا مـحمد سنتـي فـي الذين كـذّبوا بـما جئتهـم بـه م ن الآيـات علـى حقـيقة ما تدعوهم إلـيه من الـحقّ من قومك.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي فَضّلَنَا عَلَىَ كَثِيرٍ مّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيمَانُ عِلْما وذلك علم كلام الطير والدوابّ, وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه وَقالا الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي فَضّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ المُؤْمِنِينَ يقول جلّ ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَأَيّهَا النّاسُ عُلّمْنَا مَنطِقَ الطّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلّ شَيْءٍ إِنّ هَـَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: وَوَرِثَ سُلَيْمانُ أباه دَاوُدَ العلم الذي كان آتاه الله في حياته, والمُلك الذي كان خصه به على سائر قومه, فجعله له بعد أبيه داود سائر ولد أبيه. وَقالَ يا أيّها النّاس عُلّمْنا مَنْطِقَ الطّيْرِ يقول: وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منطق الطير, يعني فهمنا كلامها وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها, وقد:

20450ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب وَقالَ يا أيّها النّاسُ عُلّمْنا مَنْطِقَ الطّيْر قال: بلغنا أن سليمان كان عسكره مئة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس, وخمسة وعشرون للجنّ وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير, وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاث مئة صريحة, وسبع مئة سرية, فأمر الريح العاصف فرفعته, وأمر الرّخاء فسيرته فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته. وقوله: وأُوتينا مِنْ كلّ شَيْءٍ يقول: وأعطينا ووُهب لنا من كلّ شيء من الخيرات إنّ هَـَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين, يقول: الذي يبين لمن تأمّله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَحُشِرَ لِسْلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنّ وَالإِنْس وَالطّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وجمع لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير في مسير لهم فهم يوزعون.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله فَهُمْ يُوزَعُونَ فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم يُحبس أوّلهم على آخرهم حتى يجتمعوا. ذكر من قال ذلك:

20451ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قال: جعل على كل صنف من يردّ أولاها على أُخراها لئلا يتقدموا في المسير كما تصنع الملوك.

20452ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر, عن قَتادة, في قوله: وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنودُهُ مِنَ الجنّ والإنْس والطّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ قال: يردّ أوّلهم على آخرهم.

وقال آخرون: معنى ذلك فهم يساقون. ذكر من قال ذلك:

20453ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنّ والإنْسِ والطّيْرَ فَهُمْ يُوزَعُونَ قال: يوزعون: يُساقون.

وقال آخرون: بل معناه: فهم يتقدمون. ذكر من قال ذلك:

20454ـ حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر, قال: قال الحسن: يُوزَعُونَ يتقدمون.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: يردّ أوّلهم على آخرهم وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكافّ, يقال منه: وزع فلان فلانا عن الظلم: إذا كفّه عنه, كما قال الشاعر:

أَلَمْ يَزَعِ الهَوَى إذْ لَمْ يُؤَاتِ بَلى وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَب الفَتاةِ

وقال آخر:

عَلى حِينَ عاتَبْتُ المَشيبَ عَلى الصّبا وقُلْتُ أَلَمّا أصْحُ والشّيْبُ وَازِعُ

وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء وزعة: لكفهم إياهم عنه.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَآ أَتَوْا عَلَىَ وَادِي النّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيّهَا النّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: حتى إذَا أتَوْا عَلى وَادِي النّمْلِ حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيّها النّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يحْطِمَنّكُمْ سلَيْمانُ وَجُنُودُهُ يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم.

20455ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن ويحيى, قالا حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن رجل يقال له الحكم, عن عوف, في قوله: قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيها النّمْلُ قال: كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَبَسّمَ ضَاحِكاً مّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتِيَ أَنْعَمْتَ عَلَيّ وَعَلَىَ وَالِدَيّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصّالِحِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فتبسّم سليمان ضاحكا من قول النملة التي قالت ما قالت, وقال: رَبّ أوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أنْعَمْتَ عَلَيّ يعني بقوله أوْزِعْنِي: ألهمني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20456ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: قالَ رَبّ أوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ يقول: اجعلني.

20457ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله الله: رَبّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيّ قال: في كلام العرب, تقول: أوزع فلان بفلان, يقول: حرض عليه. وقال ابن زيد: أَوْزِعْنِي ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ.

وقوله: وأَنْ أَعْمَلَ صَالِحا تَرْضَاهُ يقول: وأوزعني أن أعمل بطاعتك وما ترضاه وأدّخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصّالِحِينَ يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين, الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك, يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20458ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عبادِكَ الصّالِحينَ قال: مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين.

الآية : 20 -21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَفَقّدَ الطّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ * لأُعَذّبَنّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنّي بِسُلْطَانٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: وَتَفَقّدَ سليمان الطيْرَ فَقالَ مالِيَ لا أرَى الهُدْهُدَ. وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير, ما:

20459ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت عمران عن أبي مُجَلّز, قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام, فسأله عن الهدهد: لم تفقّده سليمان من بين الطير 0فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له, فلم يدر ما بُعْدَ الماء, فقال: من يعلم بُعْدَ الماء؟ قالوا: الهدهد, فذاك حين تفقده.

حدثنا محمد, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا عمران بن حدير, عن أبي مجلّز, عن ابن عباس وعبد الله ابن سلام بنحوه.

20460ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن المنهال, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كان سليمان بن داود يوضع له ستّ مئة كرسي, ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه, ثم تجيء أشراف الجنّ فيجلسون مما يلي الإنس, قال: ثم يدعو الطير فتظلهم, ثم يدعو الريح فتحملهم, قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر, قال: فبينا هو في مسيره إذا احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض, قال: فدعا الهدهد, فجاءه فنقر الأرض, فيصيب موضع الماء, قال: ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب, قال: ثم يستخرجون الماء. فقال له نافع بن الأزرق: قف يا وقاف أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض, فيصيب الماء, كيف يبصر هذا, ولا يبصر الفخّ يجيء حتى يقع في عنقه؟ قال: فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر.

20461ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير, وقام له الجنّ والإنس حتى يجلس على سريره, حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه غدا إلى

مجلسه الذي كان يجلس فيه, فتفقد الطير. وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر, فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد, فقال: مالي لا أرى الهدهد

20462ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أوّل ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد فسأل الإنس عن مائه, فقالوا: ما نعلم له ماء, فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجنّ, فدعا الجنّ فسألهم, فقالوا: ما نعلم له ماء وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير, فدعا الطير فسألهم, فقالو: ما نعلم له ماء, وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد, فلم يجده, قال: فلذاك أوّل ما فقد الهدهد.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ مالِيَ لا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبِينَ قال: تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء إذا ركب, وإن سليمان ركب ذات يوم فقال: أين الهدهد ليدلنا على الماء؟ فلم يجده, فمن أجل ذلك تفقده. فقال ابن عباس: إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر, وحال القدر دون البصر.

فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه, فقال عبد الله: كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره. وقال وهب بن منبه: كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها والله أعلم بأيّ ذلك كان إذ لم يأتنا بأيّ ذلك كان تنزيل, ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح.

فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير, إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها, وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء.

وقوله: فَقالَ مالِيَ لا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبِينَ يعني بقوله ماليَ لا أَرَى الهُدْهُدَ أخطأه بصرى فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20463ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه مالِيَ لا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغَائِبِينَ أخطأه بصري في الطير, أم غاب فلم يحضر؟

وقوله: لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدا يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر وأنه غائب غير شاهد, أقسم لأُعَذِّبَنّه عَذَابا شَدِيدا وكان تعذيبه الطير فيما ذُكر عنه إذا عذّبها أن ينتف ريشها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20464ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا الحماني, عن الأعمش, عن المنهال, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, في قوله لأُعَذِّبَنّهُ عَذَابا شَدِيدا قال: نتف ريشه.

20465ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن عطية, عن شريك, عن عطاء, عن مجاهد, عن ابن عباس, في لأُعَذِّبَنّهُ عَذَابا شَدِيدا عذابه: نتفه وتشميسه.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدا قال: نتف ريشه وتشميسه.

20466ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدا قال: نتف ريشه كله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شدِيدا قال: نتف ريش الهدهد كله, فلا يغفو سنة.

20467ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة, قال: نتف ريشه.

20468ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدا يقول: نتف ريشه.

20469ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن يزيد بن رومان أنه حدّث أن عذابه الذي كان يعذّب به الطير نتف جناحه.

20470ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قيل لبعض أهل العلم: هذا الذبح, فما العذاب الشديد؟ قال: نتف ريشه بتركه بَضعة تنزو.

حدثنا سعيد بن الربيع الرازيّ, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو بن بشار, عن ابن عباس, في قوله لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدا قال: نتفه.

20471ـ حدثني سعيد بن الربيع, قال: حدثنا سفيان, عن حسين بن أبي شدّاد, قال: نتفه وتشميسه.

أو لأذبحنه, يقول: أو لأقتلنه. كما:

20472ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: أوْ لأَذْبَحَنّه يقول: أو لأقتلنه.

20473ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عباد بن العوّام, عن حُصَين, عن عبد الله بن شدّاد: لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ... الآية, قال: فتلقاه الطير, فأخبره, فقال: ألم يستثن؟

وقوله: أوْ لَيَأْتِيَنّي بسُلْطانٍ مُبِينٍ يقول: أو ليأتينني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20474ـ حدثنا عليّ بن الحسين الأزديّ, قال: حدثنا المعافىَ بن عمران, عن سفيان, عن عمار الدّهْني, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: كل سلطان في القرآن فهو حجة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله أوْلَيَأْتِيَنّي بِسُلْطانٍ مَبِينٍ يقول: ببينة أعذره بها, وهو مثل قوله: الّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللّهِ بغَيْرِ سُلْطانٍ يقول: بغير بيّنة.

20475ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن رجل, عن عكرِمة, قال: كل شيء في القرآن سلطان, فهو حجة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عبد الله, بن يزيد, عن قَباث بن رَزِين, أنه سمع عكرِمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: كلّ سلطان في القرآن فهو حجة, كان لهدهد سلطان.

20476ـ حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة أَوْلَيَأْتِيَنّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ قال: بعذر بين.

20477ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه أَوْلَيأْتِيَنّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ: أي بحجة عذر له في غيبته.

20478ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: أَوْلَيأْتِيَنّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ يقول: ببينة, وهو قول الله الّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ بغير بينة.

20479ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله أَوْلَيَأْتِيَنّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ قال: بعذر أعذره فيه.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: فَمَكَثَ غيرَ بَعِيدٍ فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد, حتى جاء الهدهد.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: فَمَكَثَ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم: «فَمَكُثَ» بضمّ الكاف, وقرأه عاصم بفتحها, وكلتا القراءتين عندنا صواب, لأنهما لغتان مشهورتان, وإن كان الضمّ فيها أعجب إليّ, لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما.

وقوله: فَقالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: أحطب بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان. كما:

20480ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تحِطْ بِهِ قال: ما لم تعلم.

20481ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه فمَكَثَ غيرَ بَعيدٍ ثم جاء الهدهد, فقال له سليمان: ما خلّفك عن نوبتك؟ قال: أحطت بما لم تحط به.

وقوله: وَجِئْتُكَ مِنْ سَبإٍ بِنَبإٍ يَقِينٍ يقول: وجئتك من سبإ بخبر يقين. وهو ما:

20482ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه وَجِئْتُكَ مِنْ سَبإٍ بِنَبإٍ يَقِينٍ: أي أدركت ملكا لم يبلغه ملكك.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مِنْ سَبإٍ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة مِنْ سَبإٍ بالإجراء. المعني أنه رجلٌ اسمه سبأ. وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والبصرة مِنْ سَبإٍ بترك الإجراء, على أنه اسم قبيلة أو لامرأة.

والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنهما قراءتان مشهورتان, وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب فالإجراء في سبأ, وغير الإجراء صواب, لأن سبأ إن كان رجلاً كما جاء به الأثر, فإنه

إذا أريد به اسم الرجل أُجري, وإن أريد به اسم القبيلة لم يُجْرَ, كما قال الشاعر في إجرائه:

الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فِي ذَرَا سَبَإٍقَدْ عَضّ أعْنَاقَهُمْ جِلدُ الجَوَاميسِ

يروى: ذرا, وذرى, وقد حُدثت عن الفرّاء عن الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ؟ قال: لست أدري ما هو فكأن أبا عمرو ترك إجراءه, إذ لم يدرِ ما هو, كما تفعل العرب بالأسماء المجهولة التي لا تعرفها من ترك الإجراء. حكي عن بعضهم: هذا أبو معرورَ قد جاء, فترك إجراءه إذ لم يعرفه في أسمائهم. وإن كان سبأ جبلاً, أجري لأنه يُراد به الجبل بعينه, وإن لم يجر فلأنه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة.

الآية : 23 - 24

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّي وَجَدتّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشّمْسِ مِن دُونِ اللّهِ وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدّهُمْ عَنِ السّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ }.

يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرا بعذره في مغيبه عنه: إنّي وَجَدْتُ امْرأَةً تَمْلِكُهُمْ يعني تملك سبأ, وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان, درأ به عنه ما كان أُوعد به, لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدا له مملكة معه, وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلاً جُبّب إليه الجهاد والغزو, فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره, وقوم كفرة يعبدون غير الله, له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل, والثواب العظيم في الآجل, وضمّ مملكة لغيره إلى ملكه, حقّت للهدهد المعذرة, وصحّت له الحجة في مغيبه عن سليمان.

وقوله: وأُوتِيَتْ مِنْ كُلّ شَيْءٍ يقول: وأوتيت من كلّ شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20483ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي عُبَيدة الباجي, عن الحسن, قوله: وأُوتِيَتْ مِنْ كُلّ شَيْءٍ يعني: من كل أمر الدنيا.

وقوله ولَهَا عَرْشٌ عَظيمٌ يقول: ولها كرسي عظيم. وعُني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره, وعظم خطره, لا عظمه في الكبر والسعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20484ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله وَلهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ قال: سرير كريم, قال: حَسن الصنعة, وعرشها: من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

20485ـ قال: ثني حجاج, عن أبي عُبيدة الباجي, عن الحسن, قوله: ولَهَا عَرْشٌ عَظيمٌ: يعني سرير عظيم.

وقوله: وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ للشّمْس مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: وجدت هذه المرأة ملكة سبأ, وقومها من سبأ, يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله. وقوله: وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطانُ أعمالَهُمْ يقول: وحسّن لهم إبليس عبادتهم الشمس, وسجودهم لها من دون الله, وحبّب ذلك إليهم فَصّدّهُمْ عَنِ السّبِيلِ يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق

المستقيم, وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه, ومعناه: فصدّهم عن سبيل الحقّ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ يقول: فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحقّ ولا يسلكونه, ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يتردّدون.

الآية : 25 -26

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلاّ يَسْجُدُواْ للّهِ الّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللّهُ لاَ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }.

اختلف القَرّاء, في قراءة قوله ألاّ يَسْجُدُوا لِلّهِ فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين «ألاَ» بالتخفيف, بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا, فأضمروا «هؤلاء» اكتفاء بدلالة «يا» عليها. وذكر بعضهم سماعا من العرب: ألا يا ارحمنا, ألا يا تصدّق علينا واستشهد أيضا ببيت الأخطل:

ألا يا اسْلَمي يا هِنْدُ هنْدَ نَبِي بَدرِوَإنْ كانَ حَيّانا عِدا آخِرَ الدّهْرِ

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم, ولا موضع لقوله «ألا» في الإعراب. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة ألاّ يَسْجُدوا بتشديد ألاّ, بمعنى: وزيّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله «ألاّ» في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا, ويسجدوا في موضع نصب بأن.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء مع صحة معنييهما.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «يا» في قراءة من قرأه على وجه الأمر, فقال بعض نحويي البصرة: من قرأ ذلك كذلك, فكأنه جعله أمرا, كأنه قال لهم: اسجدوا, وزاد «يا» بينهما التي تكون للتنبيه, ثم أذهب ألف الوصل التي في اسجدوا, وأذهبت الألف التي في «يا» لأنها ساكنة لقيت السين, فصار ألا يسجدوا. وقال بعض نحويي الكوفة: هذه «يا» التي تدخل للنداء يكتفي بها من الاسم, ويكتفي بالاسم منها, فتقول: يا أقبل, وزيد أقبل, وما سقط من السواكن فعلى هذا.

ويعني بقوله: يُخْرِجُ الخَبْءَ يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء, ونبات في الأرض ونحو ذلك. وبالذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل, وإن اختلفت عبارتهم عنه. ذكر من قال ذلك:

20486ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن ابن جُرَيج, قراءة عن مجاهد يُخْرِجُ الخَبْءَ في السّمَوَات قال: الغيث.

حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله يُخْرِجُ الخَبْءَ قال: الغيث.

20487ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله الّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: خبء السماء والأرض: ما جعل الله فيها من الأرزاق, والمطر من السماء, والنبات من الأرض, كانتا رتقا, لا تمطر هذه ولا تنبت هذه, ففتق السماء, وأنزل منها المطر, وأخرج النبات.

20488ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن حكيم ابن جابر, في قوله: ألاّ

يَسْجُدُوا لِلّه الّذِي يُخْرِجُ الـخَبْءَ فِـي السّـمَوَاتِ والأرْضِ ويعلـم كـلّ خفـية فـي السموات والأرض.
20489ـ حدثنـي مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا عبـيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أُسامة بن زيد, عن معاذ بن عبد الله, قال: رأيـت ابـن عبـاس علـى بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب: هل سألت كعبـا عن البذر تنبت الأرضُ العامَ لـم يصب العام الآخر؟ قال: سمعت كعبـا يقـول: البـذر ينـزل مـن السـماء ويخرج من الأرض, قال: صدقت.
قال أبو جعفر: إنـما هو تبـيع, ولكـن هكـذا قـال مـحمد. وقـيـل: يخـرج الـخَبْءَ فـي السموات والأرض, لأن العـرب تضـع «مِـن» مكـان «فـي» و «فـي» مكان «من» فـي الاستـخراج ويَعَلَـمُ ما تُـخْفُونَ ومَا تُعْلِنُـونَ يقـول: ويعلـم السرّ مـن أمـور خـلقه, هـؤلاء الـذين زيـن لهـم الشـيطان أعمـالهم والعلانـية منها, وذلك علـى قراءة من قرأ ألاّ بـالتشديد. وأمـا علـى قـراءة مـن قـرأ بـالتـخفـيف فـإن معنـاه: ويعلـم مـا يسـره خـلقه الـذين أمرهـم بـالسجود بقوله: «ألا يا هؤلاء اسجدوا». وقد ذكر أن ذلك فـي قـراءة أُبـيّ: «وألاّ تَسْجُدُوا لِلّهِ الّذِي يَعْلَـمُ سرّكُمْ ومَا تُعْلِنُونَ».)
وقوله: اللّهُ لا إلَهَ إلاّ هُوَ رَب العَرْشِ العَظِيـمِ يقـول تعالـى ذكـره: اللـه الذي لا تصلـح العبـادة إلا له, لا إله إلا هو, لا معبود سواه تصلـح له العبـادة, فأخـلصوا له العبـادة, وأفردوه بـالطاعة, ولا تشـركوا بـه شـيئا رَبّ العَـرْشِ العَظِيـم يعنـي بذلك: مالك العرش العظيـم الـذي كـل عـرش, وإن عظـم, فدونه, لا يُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره.
20490ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: أحَطْتُ بِـمَا لَـمْ تُـحِطْ بِهِ إلـى قوله لا إلَه إلاّ هُوَ رَبّ العَـرْشِ العَظِيـمِ هذا كله كلام الهدهد.
20491ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق بنـحوه.

الآية : 27-28

القـول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {قَـالَ سَـنَنظُرُ أَصَـدَقْتَ أَمْ كُنـتَ مِـنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بّكِتَابِي هَـذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمّ تَوَلّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُـونَ}.
يقول تعالـى ذكره: قالَ سلـيـمان للهدهد: سَنَنْظُرُ فـيـما اعتذرت به من العذر, واحتـججت به من الـحجة لغيبتـك عنـا, وفـيـما جئتنـا بـه مـن الـخير أصَدَقْتَ فـي ذلك كله أمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِـينَ فـيه اذْهَـبْ بكِتابِـي هـذَا فـأَلْقِهِ إِلَـيْهِمْ ثُمّ تَوَلّ عَنْهُمْ فـانْظُرْ ماذَا يَرْجِعُونَ.
فـاختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك فقال بعضهم: معناه: اذهب بكتابـي هذا, فألقه إلـيهم, فـانظر ماذا يَرْجِعون, ثم تولّ عنهم منصرفـا إلـيّ, فقال: هو من الـمؤخّر الذي معناه التقديـم. ذكر من قال ذلك:
20492ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: فأجابه سلـيـمان, يعنـي أجاب الهدهد لَـمّا فرغ: قالَ سَنَنْظُرُ أصَـدَقْتَ أمْ كُنْـتَ مِـنَ الكاذِبِـينَ. اذْهَبْ بكِتابِـي هَذَا فَألْقِهْ إلَـيْهِمْ وانظر ماذا يرجعون, ثم تولّ عنهم منصرفـا إلـيّ. وقـال: وكـانت لهـا كَـوّة مسـتقبلةُ الشـمس, سـاعة تطلـع الشمس تطلع فـيها فتسـجد لهـا, فجـاء الهدهـد حتـى وقـع فـيها فسـدّها, واسـتبطأت الشـمس, فقـامت تنظـر, فرمـى بـالصحيفة إلـيها م ن تـحت جناحه, وطار حتـى قامت تنظر الشمس.

قال أبو جعفر: فهذا القول من قول ابن زيد يدلّ على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعا, بعد إلقائه الكتاب, وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم, ثم تولّ عنهم, فكن قريبا منهم, وانظر ماذا يرجعون قالوا: وفعل الهدهد, وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها, وقولها لهم: إنّي أُلْقِيَ إليّ كِتابٌ كَرِيمٌ, إنّهُ مِنْ سُلَيْمانَ, وَإنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا. ذكر من قال ذلك:

20493ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قوله: فَأَلْقِهْ إلَيْهِمْ ثُمّ تَوَلّ عَنْهُمْ: أي كن قريبا فانْظُرْ ماذَا يَرْجِعُونَ. وهذا القول أشبه. بتأويل الآية, لأن مراجعة المرأة قومها, كانت بعد أن ألقي إليها الكتاب, ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أُمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان.

الآية : 29 - 31

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَتْ يَأَيّهَا الْمَلأُ إنّي أُلْقِيَ إلَيّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إنّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ * أَلاّ تَعْلُواْ عَلَيّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها, فألقاه إليها فلما قرأته قالت لقومها: يا أيّها المَلأ إنّي أُلْقِيَ إليّ كِتابٌ كَرِيمٌ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20494ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: كتب, يعني سليمان بن داود مع الهدهد: بسم الله الرحمن الرحيم, من سليمان بن داود, إلى بلقيس بنت ذي سرح وقومها, أما بعد, فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين, قال: فأخذ الهدهد الكتاب برجله, فانطلق به حتى أتاها, وكانت لها كوّة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها, فسجدت لها, فأتى الهدهد الكوّة فسدّها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم, ثم ألقى الكتاب من الكوّة, فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه, فأخذته.

20495ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة, قال: بلغني أنها امرأة يقال لها بلقيس, أحسبه قال: ابنة شراحيل, أحد أبويها من الجنّ, مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة, وكانت في بيت مملكة, وكان أولو مشورتها ثلاث مئة واثني عشر كلّ رجل منهم على عشرة آلاف, وكانت بأرض يقال لها مأرب, من صنعاء على ثلاثة أيام فلما جاء الهدهد بخبرها إلى سليمان بن داود, كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد, فجاء الهدهد وقد غَلّقت الأبواب, وكانت تغلّق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها, فجاء الهدهد فدخل من كوّة, فألقى الصحيفة عليها, فقرأتها, فإذا فيها: إنّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ أَلاّ تَعْلُوا عَلَيّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ وكذلك كانت تكتب الأنبياء لا تطنب, إنما تكتب جملاً.

20496ـ قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: لم يزد سليمان على ما قصّ الله في كتابه: إنه وإنه.

20497ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: اذْهَبْ بكِتابِي هَذَا فألْقه إلَيْهِمْ: فمضى الهدهد بالكتاب, حتى إذا حاذى الملكة وهي على عرشها ألقى إليها الكتاب.

وقوله: قالَتْ يا أيّها المَلأُ إنّي أُلْقِيَ إليّ كِتابٌ كَرِيمٌ والملأ: أشراف قومها. يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: يا أيّها المَلأ إنّي أُلْقِيَ إليّ كِتابٌ كَرِيمٌ.

واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم, فقال بعضهم: وصفته بذلك لأنه كان مختوما: وقال آخرون: وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه. وممن قال ذلك ابن زيد.

20498ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّي أُلْقِيَ إليّ كِتابٌ كَرِيمٌ قال: هو كتاب سليمان حيث كتب إليها.

وقوله إنّهُ مِن سُلَيْمانَ وَإنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ كُسِرت إن الأولى والثانية على الردّ على «إني» من قوله: إنّي أُلْقِيَ إليّ كِتابٌ كَرِيمٌ. ومعنى الكلام: قالت: يا أيها الملأ إني أُلقي إليّ كتاب, وإنه من سليمان.خ

وقوله أَلاّ تَعْلُوا عَليّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ يقول: ألقي إليّ كتاب كريم ألا تعلوا عليّ.

ففي «أنْ» وجهان من العربية: إن جعلت بدلاً من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب بدلاً منه وإن جعل معنى الكلام: إنى ألقى إليّ كتاب كريم أن لا تعلو عليّ كانت نصبا بتعلق الكتاب بها.

وعنى بقوله: أَلاّ تَعْلُوا عَلَيّ: أن لا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه. كما:

20499ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَلاّ تَعْلُوا عَليّ: أن لا تتمنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتكم. فقلت لابن زيد: أنْ لا تَعْلُوا عَليّ أن لا تتكبروا عليّ؟ قال: نعم قال: وقال ابن زيد: أَلاّ تَعْلوا عَليّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ ذلك في كتاب سليمان إليها. وقوله: وأْتُونِي مُسْلِمِينَ يقول: وأقبلوا إليّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة.

الآية : 32 -33

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَتْ يَأَيّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِيَ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتّىَ تَشْهَدُونِ * قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُو قُوّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: يا أيّها المَلأ أَفْتُونِي فِي أمْرِي تقول: أشيروا عليّ في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إليّ, فجعلت المشورة فتيا.

وقوله: ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرا حتى تَشْهَدُونِ تقول: ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون, فأشاوركم فيه. كما:

20500ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: دعت قومها تشاورهم أيّها المَلأ أفْتُونِي في أمْرِي, ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرا حتى

تَشْهَدُونِ يقول فـي الكلام: ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضـي أمـرا, فلذلك قالت: ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرا بمعنى: قاضية.

وقوله: قالُوا نَـحْنُ أُولُو قُوّةٍ وأُولُو بأسٍ شَدِيدٍ يقول تعالـى ذكـره: قـال الـملأ من قوم مَلِكة سبأ, إذ شاورتهم فـي أمرها وأمر سلـيـمان: نـحن ذوو القوّة علـى القتال, والبأس الشديد فـي الـحرب, والأمر أيتها الـملكة إلـيك فـي القتال وفـي تركه, فـانظري من الرأي ما ترين, فَمُرِينـا نأتـمرْ لأمـرك. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20501ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قـالُوا نَـحْنُ أُولُو قُوّةٍ وأُولُو بَأسٍ شَـدِيدٍ عرضـوا لهـا القتـال, يقـاتلون لهـا, والأمـر إلـيك بعد هذا, فـانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ.

20502ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مـجاهد, قال: كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قـيول, مع كـلّ قـيول مئة ألف.

20503ـ حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن عطاء بن السائب, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس, قال: كان مـع بلقـيس مئة ألف قَـيْـل, مع كل قَـيْـل مئة ألف.

قال: ثنا وكيع, قال: حدثنا الأعمش, قال: سمعت مـجاهدا يقول: كـانت تـحت يد ملكة سبأ اثنا عشر ألف قـيول والقـيول بلسانهم: الـملك تـحت يـد كلّ مَلِكٍ مئة ألف مقاتل.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَتْ إِنّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوَاْ أَعِزّةَ أَهْلِهَآ أَذِلّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: قالت صاحبة سبأ للـملأ من قومها, إذا عرضوا علـيها أنفسهم لقتال سلـيـمان, إن أَمَرَتهم بذلك: إنّ الـمُلُوكَ إذَا دَخَـلُوا قَرْيَةً عَنْوةً وغَلَبةً أفْسَدُوها يقول: خرّبوها وَجَعَلُوا أعِزّةَ أهْلِها أذِلّـةً وذلـك بـاستعبـادهم الأحـرار, واسـترقاقهم إيـاهم وتنـاهى الـخبر منهـا عـن الـملوك فـي هـذا الـموضع, فقال الله: وكذلكَ يَفْعَلُونَ يقول تعالـى ذكره: وكما قـالت صـاحبة سبأ تفعل الـملوك, إذا دخـلوا قرية عَنْوة. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20504ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو بكر, فـي قـوله: وَجَعَلُـوا أعِـزّةَ أهْلِها أذِلّةً قال أبو بكر: هذا عَنْوَة.

20505ـ حدثنا أبو هشـام الرفـاعي, قـال: حـدثنا أبـو بكـر, قـال: حـدثنا الأعمش, عن مسلـم, عن ابن عبـاس, فـي قـوله: إنّ الـمُلُوكَ إذَا دَخَـلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوها قال: إذا دخـلوها عَنْوَة خرّبوها.

20506ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس قـالَتْ إنّ الـمُلُوكَ إذَا دَخَـلُوا قَرْيَـةً أفْسَـدُوها وَجَعَلُوا أعِزّةَ أهْلِها أذِلّةً قال ابن عبـاس: يقول الله: وكذلكَ يَفْعَلُونَ.

الآية : 35 -37

القـول فـي تأويـل قـوله تعالـى: **{وَإِنّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيّـةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمّـا جَـآءَ سُـلَيْمَانَ قَـالَ أَتُمِدّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ آتَـانِيَ اللّـهُ خَيْـرٌ مّمّـآ آتَـاكُمْ بَـلْ أَنتُـمْ**

بِهَدِيّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنّهُم بِجُنُودٍ لاّ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنّهُم مّنْهَآ أَذِلّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ }.

ذكر أنها قالت: إني مرسلة إلي سليمان, لتختبره بذلك وتعرفه به, أملك هو, أم نبيّ؟ وقالت: إن يكن نبيا لم يقبل الهدية, ولم يرضه منا, إلا أن نتبعه على دينه, وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف. ذكر الرواية عمن قال ذلك:

20507ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قالت: وإنّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ قال: وبعثت إليه بوصائف ووصفَاء, وألبستْهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى, فقالت: إن زيّل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى, ثم ردّ الهدية فإنه نبيّ, وينبغي لنا أن نترك ملكنا, ونتّبع دينه, ونلحق به.

20508ـ حدثني محمد بن عمرو, ق ال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: وإنّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ قال: بجوارٍ لباسهم لباس الغلمان, وغلمان لباسهم لباس الجواري.

20509ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قولها: وَإنّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ قال: مئتي غلام ومئتي جارية. قال ابن جُرَيج, قال مجاهد: قولَه بِهَدِيّةٍ قال: جوار ألبستهنّ لباس الغلمان, وغلمان ألبستهم لباس الجواري.

قال ابن جُرَيج: قال (مجاهد): قالت: فإن خلّص الجواري من الغلمان, وردّ الهدية فإنه نبيّ, وينبغي لنا أن نتّبعه.

قال ابن جُرَيج, قال مجاهد: فخلّص سليمان بعضهم من بعض, ولم يقبل هديتها.

20510ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا سفيان, عن معمر, عن ثابت اليُثانيّ, قال: أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجنّ فموّهوا له الآجرّ بالذهب, ثم أمر به فألقي في الطرق فلما جاءوا فرأوه ملقى ما يُلتفت إليه, صغر في أعينهم ما جاءوا به.

20511ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها... الآية, وقالت: إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسنرضيه, وإن كان إنما يريد الدين فلن يقبلَ غيره وإنّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ.

20512ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة في بيت ملك, لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها, إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك, وكان دينها ودين قومها فيما ذُكر الزنديقية فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها, فبعثت إلى المَقَاولة من أهل اليمن, فقالت لهم: يا أيّها المَلأُ إنّي أُلْقِيَ إلَيّ كِتابٌ كَرِيمٌ, إنّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ, ألاّ تَعْلُوا عَلَيّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ إلى قوله بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ثم قالت: إنه قد جاءني كتاب لم يأتني مثله من ملك من الملوك قبله, فإن يكن الرجل نبيا

مرسلاً فلا طاقة لنا به ولا قوّة, وإن يكن الرجل ملكا يكاثر, فليس بأعزّ منا, ولا أعدّ. فهيّأت هدايا مما يُهدَى للملوك, مما يُفتنون به, فقالت: إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب في المال, وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة, وليس إياها يريد, إنما يريد أن ندخل معه في دينه ونتبعه على أمره, أو كما قالت.

20513ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وإنّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ بعثت بوصائف ووصفاء, لباسهم لباس واحد, فقالت: إن زيّل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى, ثم ردّ الهدية فهو نبيّ, وينبغي لنا أن نتّبعه, وندخل في دينه فزيّل سليمان بين الغلمان والجواري, وردّ الهدية, فقال: أتُمِدّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتانِيَ اللّهُ خَيْرٌ مِمّا آتاكمْ.

20514ـ حدّثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: كان في الهدايا التي بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون في ثيابهم, لتمييز الغلمان من الجواري, قال: فدعا بماء, فجعل الجواري يتوضأن من المرفق إلى أسفل, وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق. قال: وكان أبي يحدثنا هذا الحديث.

20515ـ حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا مروان بن معاوية, قال: حدثنا إسماعيل, عن أبي صالح وَإنّي مُرْسِلةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ قال: أرسلت بلبنة من ذهب, وقالت: إن كان يريد الدنيا علمته, وإن كان يريد الآخرة علمته.

وقوله: فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ تقول: فأنظر بأيّ شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلي, أبقبول وانصراف عنا, أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟ وأسقطت الألف من «ما» في قوله بِمَ وأصله: بما, لأن العرب إذا كانت «ما» بمعنى: أي, ثم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقا بين الاستفهام وغيره, كما قال جلّ ثناؤه عَمّ يَتَساءَلونَ و قَالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ, وربما أثبتوا فيها الألف, كما قال الشاعر:

عَلامَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمُكَخِنْزِيرٍ تَمَرّغَ فِي تُرَابِ

وقالت وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ وإنما أرسلت إلى سليمان وحده على النحو الذي بيّنا في قوله: عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ.

وقوله: فَلَمّا جاءَ سُلَيْمانَ قالَ أتُمِدّونَنِ بِمَالٍ.

إن قال قائل: وكيف قيل: فَلَمّا جاءَ سُلَيْمانَ فجعل الخبر في مجيء سليمان عن واحد, وقد قال قبل ذلك فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فإن كان الرسول كان واحدا, فكيف قيل بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ وإن كانوا جماعة فكيف قيل: فَلَمّا جَاءَ سُلَيْمَانَ؟ قيل: هذا نظير ما قد بيّنا قبل من إظهار العرب الخبر في أمر كان من واحد على وجه الخبر, عن جماعة إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه, يُشار إليه بعينه, فسمي في الخبر. وقد قيل: إن الرسول الذي وجّهته ملكة سبأ إلى سليمان كان أمراً واحدا, فلذلك قال: فلَمّا جاءَ سُلَيْمانَ يُراد به: فلما جاء الرسول سليمان واستدلّ قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقوله سليمان للرسول: ارْجِعْ إلَيْهِمْ وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله. فلما جاءوا سليمان على الجمع, وذلك للفظ قوله: بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى.

وقوله: قال أتُمِدّونَنِ بِمَالٍ يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها: أتمدونني بمال. واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة «أتُمِدّنَنِي» بنونين, وإثبات الياء. وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك, غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الأخيرة. وقرأه بعض قرّاء البصرة بنونين, وإثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف. وقرأه بعض قرّاء الكوفة بتشديد النون وإثبات الياء. وكلّ هذه القراءات متقاربات وجميعها صواب, لأنها معروفة في لغات العرب, مشهورة في منطقها.)

وقوله: فَمَا آتانِيَ اللّهُ خَيْرٌ مّمّا آتاكُمْ يقول: فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيّتِكُمْ تَفْرَحُونَ يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إليّ, بل أنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم, لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا, ومكاثرة بها, وليست الدنيا وأموالها من حاجتي, لأن لله تعالى ذكره قد مكّنني منها وملّكني فيها ما لم يُمَلّك أحدا ارْجِعْ إِلَيْهِمْ وهذا قول سليمان لرسول المرأة ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20516ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: لما أتت الهدايا سليمان فيها الوصائف والوُصفاء, والخيل العراب, وأصناف من أصناف الدنيا, قال للرسل. الذين جاءوا به: أتُمِدّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ خَيْرٌ مِمّا آتاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيّتِكُمْ تَفْرَحُونَ لأنه لا حاجة لي بهديتكم, وليس رأيي فيه كرأيكم, فارجعوا إليها بما جئتم به من عندها, فَلَنَأْتِيَنّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها.

20517ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح في قوله: فَلَنَأْتِيَنّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها قال: لا طاقة لهم بها.

وقوله وَلَنُخْرِجَنّهُمْ مِنْهَا أَذِلّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ يقول: ولنخرجنّ من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20518ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: وَلَنُخْرِجَنّهُمْ مِنْها أَذِلّةً وَهُمْ صَاغرونَ, أو لتأتيني مسلمة هي وقومها.

الآية : 38-40

القول في تأويل قوله تعالى: **{قَالَ يَأَيّهَا الْمَلأُ أَيّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مّنَ الْجِنّ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مّقَامِكَ وَإِنّي عَلَيْهِ لَقَوِيّ أَمِينٌ * قَالَ الّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مّنَ الْكِتَابِ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبّي لِيَبْلُوَنِيَ أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنّ رَبّي غَنِيّ كَرِيمٌ }**.

اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان يا أيها المَلأُ أيّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا فقال بعضهم: قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبأ صاحبة سبأ, وقال له: جِئْتُكَ مِنْ سَبأ بِنَبأٍ يَقِينٍ وأخبره أن لها عرشا عظيما, فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم: سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء: أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين. وقالوا إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة بعد ما صحّ عنده صدق الهدهد بمجيء العالم بعرضها إليه على ما وصفه به الهدهد, قالوا: ولولا ذلك كان محالاً أن يكتب معه كتابا إلى من لا يدري, هل هو في الدنيا أم لا؟ قالوا: وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتابا إلى المرأة قبل مجيء عرشها إليه, وقبل علمه صدق الهدهد بذلك, لم يكن لقوله له سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ معنى, لأنه لا يُلِم بخبره الثاني من إبلاغه إياها الكتاب, أو ترك إبلاغه إياها ذلك, إلا نحو الذي علم بخبره الأوّل حين قال له: جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبإٍ يَقِينٍ قالوا: وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه, وكان محالاً أن يقول نبيّ الله قولاً لا معنى له وقد قال: سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة إليه, على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه, ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها. ذكر من قال ذلك:

20519ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: إن سليمان أوتي ملكا, وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره فلما فقد الهدهد سأله: من أين جئت؟ ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب, قال: جِئْتُكَ مِنْ سَبأ بِنَبأٍ يَقِينٍ قال له سليمان: ما هذا النبأ؟ قال الهدهد: إنّي وَجَدْتُ امْرأَةً بسبأ تَمْلِكُهُمْ, وأُوتِيَتْ مِنْ كُلّ شَيْءٍ, ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا, أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره, فقال لمن عنده من الجنّ والإنس: يا أيّها المَلأُ أيّكُمْ يَأْتِينِي بعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ؟ قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنّ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ, وإنّي عَلَيْهِ لَقَوِيّ أمِينٌ قال سليمان: أريد أعجل من ذلك قالَ الّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر, الذي إذا دعي به أجاب: أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ فدعا بالاسم وهو عنده قائم, فاحتمل العرش احتمالاً حتى وُضع بين يدي سليمان, والله صنع ذلك فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون, يسجدون للشمس والقمر, أخبره الهدهد بذلك, فكتب معه كتابا ثم بعثه إليهم, حتى إذا جاء الهدهد الملكة ألقى إليها الكتاب قالَتْ يا أيّها المَلأُ إنّي أُلْقِيَ إلَيّ كِتابٌ كَرِيمٌ... إلى وأْتُونِي مُسْلِمِينَ فقالت لقومها ما قالت وإنّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ قال: وبعثت إليه بوصائف ووصفاء, وألبستهم لباسا واحدا, حتى لا يعرف ذكر من أنثى, فقالت: إن زيّل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى, ثم ردّ الهدية, فإنه نبيّ, وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتّبع دينه ونلحق به, فردّ سليمان الهدية وزيّل بينهم, فقال: هؤلاء غلمان, وهؤلاء جَوَارٍ, وقال: أتُمِدونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتانِيَ اللّهُ خَيْرٌ مِمّا أتاكُمْ بَلْ أنْتُمْ بِهَدِيّتِكُمْ تفْرَحُونَ... إلى آخر الآية.

20520ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّي وَجَدْتُ امْرأةً تَمْلِكُهُمْ... الآية قال: وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره, قال لمن حوله من الجنّ والإنس: أيّكُمْ يَأْتِينِي بعَرْشِها... الآية.

وقال آخرون: بل إنما اختبر صدقَ الهدهدِ سليمانُ بالكتاب, وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده, وبعد أن أقبلت المرأة إليه. ذكر من قال ذلك:

20521ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان: قالت: والله عرفت ما هذا بملك, وما لنا به طاقة, وما نصنع بمكاثرته شيئا, وبعثت: إني قادمة عليك بملوك قومي, حتى أنظر ما أمرك, وما تدعو إليه من دينك. ثم أمرت بسرير ملكها, الذي كانت تجلس عليه, وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ, فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض, ثم أقفلت عليه الأبواب. وكانت إنما يخدمها النساء, معها ستّ مئة امرأة يخدمنها ثم قالت لمن خلفت على سلطانها, احتفظ بما قِبَلك, وبسرير ملكي, فلا يخلص إليه أحد من عباد الله, ولا يرينه أحد حتى أتيك ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قَيْلٍ معها من ملوك اليمن, تحت يد كلّ قَيْلٍ منهم ألوف كثيرة, فجعل سليمان يبعث الجنّ,. فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كلّ يوم وليلة, حتى إذا دنت جمع مَن عنده من الجنّ والإنس ممن تحت يده, فقال: يا أيّها المَلأُ أيّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يأْتُونِي مُسْلِمِينَ.

وتأويل الكلام: قال سليمان لأشراف من حضره من جنده من الجنّ والإنس: يا أيّها المَلأ أيّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها يعني سريرها. كما:

20522ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: أيّكُمْ يَأْتِينِي بعَرْشِها قال: سرير في أريكة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: عرشها سرير في أريكة. قال ابن جُرَيج: سرير من ذهب, قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

20523ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه أيّكُمْ يَأْتِينِي بعَرْشِها: بسريرها.

وقال ابن زيد في ذلك ما:

20524ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أيكُمْ يَأْتِينِي بعَرْشِها قال: مجلسها.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خصّ سليمان مسألة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها, فقال بعضهم: إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته, وخشي أن تسلم فيحرُم عليه مالها, فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرُم عليه أخذه بإسلامها. ذكر من قال ذلك:

20525ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة, قال: أخبر سليمانَ الهدهدُ أنها قد خرجت لتأتيه, وأخبر

بعرشها فأعجبه. كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلّل باللؤلؤ, فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين لم تحلّ لهم أموالهم, فقال للجنّ: أيّكُمْ يَأتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأتونِي مُسْلِمِينَ.

وقال آخرون: بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به, ويختبر به عقلها, هل تثبته إذا رأته, أم تنكره؟ ذكر من قال ذلك:

20526ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أعلم الله سليمان أنها متأتيه, فقال: أيّكُمْ يَأتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأتُونِي مُسْلِمِينَ حتى يعاتبها, وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله قَبْلَ أن يَأتُونِي مُسْلِمِينَ فقال بعضهم: معناه: قبل أن يأتوني مستسلمين طوعا. ذكر من قال ذلك:

20527ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وقبْل أنْ يَأتُونِي مُسْلِمِينَ يقول: طائعين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله. ذكر من قال ذلك:

20528ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج أيّكُمْ يَأتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأتُونِي مُسْلِمِينَ بحرمة الإسلام فيمنعهم وأموالهم, يعني الإسلام يمنعهم.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا, ليجعل ذلك حجة عليها في نبوّته, ويعرّفها بذلك قُدرة الله وعظيم شأنه, أنها خلّفته في بيت في جوف أبيات, بعضها في جوف بعض, مغلق مقفل عليها, فأخرجه الله من ذلك كله, بغير فتح أغلاق وأقفال, حتى أوصله إلى وَلِيّة من خلقه, وسلمه إليه, فكان لها في ذلك أعظم حجة, على حقيقة ما دعا لها إليه سليمان, وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوّته.

فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ بتأويله, فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل, من أن معناه طائعين, لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة, وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة.)

وقوله: قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنّ يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجنّ مارد قويّ. وللعرب فيه لغتان: عفريت, وعفرية فمن قال: عفرية, جمعه: عفاري ومن قال: عفريت, جمعه: عفاريت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20529ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قال مجاهد: قال عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنّ قال: مارد من الجنّ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ.

20530ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة وغيره, مثله.

20531ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن بعض أصحابه قالَ عِفْرِيتٌ قال: داهية.

20532ـ قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني وهب بن سليمان, عن شعيب الجبائي قال: العفريت الذي ذكره الله اسمه: كوزن.

20533ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, قَالَ عِفْرِيتٌ اسمه: كوزن.

وقوله: أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ يقول: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا. وكان فما ذُكر قاعدا للقضاء بين الناس, فقال: أنا أتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس. وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20534ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

20535ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة وغيره, مثله, قال: وكان يقضي قال: قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضي فيه.

20536ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أن تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ يعني مجلسه.

وقوله وإنّي عَلَيْهِ لَقَوِيّ أمِينٌ على ما فيه من الجواهر, ولا أخون فيه. وقد قيل: أمين على فرج المرأة. ذكر من قال ذلك:

20537ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله وإنّي عَلَيْهِ لَقَوِيّ أمِينٌ يقول: قويّ على حمله, أمين على فرج هذه.

قوله: قَالَ الّذِي عِنْدَه عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ يقول جلّ ثناؤه: قال الذي عنده علم من كتاب الله, وكان رجلاً فيما ذكر من بني آدم, فقال بعضهم: اسمه بليخا. ذكر من قال ذلك:

20538ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عثمة, قال: حدثنا شعبة, عن بشر, عن قَتادة, في قوله قالَ الّذي عنْدَه عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ قال: كان اسمه بليخا.

20539ـ حدثنا يحيى بن داود الواسطي, قال: حدثنا أبو أسامة, عن إسماعيل, عن أبي صالح, في قوله الّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ رجل من الإنس.

20540ـ حدثنا ابن عرفة, قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزاريّ, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, في قول الله: قالَ الّذِي عِنْدَه عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أنا آتِيكَ بِهِ قال: أنا أنظر في كتاب ربي, ثم آتيك به قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ قال: فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الأرض حتى خرج إليهم.

20541ـ حدثنا ابن عرفة, قال: ثني حماد بن محمد, عن عثمان بن مطر, عن الزهريّ, قال: دعا الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كلّ شيء إلها واحدا, لا إله إلا أنت, ائتني بعرشها, قال: فمثل بين يديه.

20542ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة قالَ الّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ قال: رجل من بني آدم أحسبه قال: من بني إسرائيل, كان يعلم اسم الله الذي إذا دعي به أجاب.
20543ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله الّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ قال: الاسم الذي إذا دعي به أجاب, وهو: يا ذا الجلال والإكرام.
20544ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: قال سليمان لمن حوله: أيّكُمْ يَأتِينِي بِعَرْشِها قَبْلِ أنْ يَأتُونِي مُسْلِمِينَ فقال عفريت أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أن تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ قال سليمان: أريد أعجل من ذلك, فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب, يعني اسم الله إذا دعي به أجاب.
20545ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنّ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ, وإنّي عَلَيْهِ لَقَوِيّ أمِينٌ لا آتيك بغيره, أقول غيره أمثله لك. قال: وخرج يومئذٍ رجل عابد في جزيرة من البحر, فلما سمع العفريت قالَ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ قال: ثم دعا باسم من أسماء الله, فإذا هو يحمل بين عينيه, وقرأ: فَلَمّا رآهُ مُسْتَقرّا عنْدَهُ قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبّي... حتى بلغ إنّ رَبّي غَنِيّ كَرِيمٌ.
20546ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال رجل من الإنس. قال: وقال مجاهد: الذي عنده علم من الكتاب: علم اسم الله.
وقال آخرون: الذي عنده علم من الكتاب, كان آصف. ذكر من قال ذلك:
20547ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق قَالَ عِفْرِيتٌ لسليمان أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ, وإنّي عَلَيْهِ لَقَوِيّ أمِينٌ فزعموا أن سليمان بن داود قال: أبتغي أعجل من هذا, فقال آصف بن برخيا, وكان صدّيقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب, وإذا سئل به أعطى: أنا يا نبيّ الله آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ.
وقوله: أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدّ البصر. ذكر من قال ذلك:
20548ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني إبراهيم, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن سعيد بن جُبَير قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ قال: من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى, فذلك قوله قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ.
20549ـ قال: ثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, قال: قال غير قَتادة قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته. ذكر من قال ذلك:
20550ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ تمدّ عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك. قال: ذلك أريد.

20551ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عثام, عن إسماعيل, عن سعيد بن جُبَير, قال: أخبرت أنه قال: ارفع طرفك من حيث يجيء, فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه.

20552ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء, عن مجاهد, في قوله قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ قال: مدّ بصره.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ قال: إذا مدّ البصر حتى يردّ الطرف خاسئا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ إلَيْكَ طَرْفُكَ قال: إذا مدّ البصر حتى يحسر الطرف.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره, وذلك أن معنى قوله يَرَتَدّ إلَيْكَ يرجع إليك البصر, إذا فتحت العين غير راجع, بل إنما يمتدّ ماضيا إلى أن يتناهى ما امتدّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك, وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدّ لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعا إلَيْكَ طَرْفُكَ من عند منتهاه.

وقوله: فَلَمّا رآه مُسْتَقِرّا عِنْدَهُ يقول: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرّا عنده. وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ظهر عما ترك, وهو: فدعا الله, فأتى به فلما رآه سليمان مستقرّا عنده.

وذُكر أن العالم دعا الله, فغار العرش في المكان الذي كان به, ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان. ذكر من قال ذلك:

20553ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: ذكروا أن آصِف بن برخيا توضأ, ثم ركع ركعتين, ثم قال: يا نبيّ الله, امدد عينك حتى ينتهي طرفك, فمدّ سليمان عينه ينظر إليه نحو اليمن, ودعا آصف فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه, ثم نبع بين يدي سليمان فَلَمّا رَآهُ سليمان مُسْتَقِرّا عِنْدَهَ قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبّي لِيَبْلُوَنِي... الآية.

20554ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: نبع عرشها من تحت الأرض.

وقوله: قالَ هَذَا مِنْ فَضِلِ رَبّي لِيَبْلُوَنِي يقول: هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إليّ عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام, من فضل ربي الذي أفْضَلَه عليّ وعطائه الذي جاد به عليّ, ليبلوني, يقول: ليختبرني ويمتحنني, أأشكر ذلك من فعله عليّ, أم أكفر نعمته عليّ بترك الشكر له؟

وقد قيل: إن معناه: أأشكر على عرش هذه المرأة إذ أُتيت به, أم أكفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني؟ ذكر من قال ذلك:

20555ـ حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني عطاء الخراساني, عن ابن عباس, في قوله: فَلَمّا رآهُ مُسْتَقِرّا عِنْدَهُ

قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبّـي لِـيَبْلُوَنِـي أأَشْكُرُ علـى السرير إذ أُتـيت به أمْ أكْفُرُ إذ رأيت من هو دونـي فـي الدنـيا أعلـم منـي؟.

وقوله: وَمَنْ شَكَرَ فإنّـمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ يقول: ومن شكر نعمة الله علـيه, وفضله علـيه, فإنـما يشـكر طلـب نفـع نفسـه, لأنـه لـيس بنفـع بـذلك غيـر نفسه, لأنه لا حاجة للـه إلــى أحـد مـن خــلقه, وإنــما دعـاهم إلــى شـكره تعريضا منه لهم للنفع, لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعا إلـى نفسه, ولا دفع ضرّ عنها. وَمَنْ كَفَرَ فإنّ رَبّـي غَنِـيّ كَرِيـمٌ يقول: ومـن كفـر نعمـه وإحسـانه إلـيه, وفضله علـيه, لنفسه ظلـم, وحظّها بخَس, والله غنّـي عـن شـكره, لا حاجة به إلـيه, لا يضـرّه كفـر م ن كفـر بـه مـن خــلقه, كريــمٌ, ومِـن كرمـه إفضاله علـى من يكفر نعمه, ويجعلها وصلة يتوصل بها إلـى معاصيه.

الآية : 41

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ نَكّـرُواْ لَهَـا عَرْشَـهَا نَنظُـرْ أَتَهْتَـدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال سلـيـمان لـما أتـى عرش بلقـيس صاحبة سبأ, وقدمت هي علـيه, لـجنده: غيّروا لهذه الـمرأة سـريرها. وبنــحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20556ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو سفـيان, عن معمر, عن قَتادة, قوله نَكّرُوا لَهَا عَرْشَها قال: غيروا.

20557ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: فلـما أتته قالَ نَكّرُوا لَهَا عَرْشَـها قـال: وتنكير العرش, أنه زيد فـيه ونقص.

20558ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله نَكّرُوا لَهَا عَرْشَها قال: غيّروه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, نـحوه.

20559ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله نَكرُوا لهَا عَرْشَها قال: مـجلسها الذي تـجلس فـيه.

20560ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول, أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول, فـي قوله نَكّرُوا لَهَا عَرْشَـها أمرهـم أن يزيـدوا فـيه, وينقصوا منه.

وقوله: نَنْظُرْ أتَهْتَدِي يقول: ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذي لهـا أمْ تَكُونُ مِنَ الّذِينَ لا يَهْتَدُونَ يقول: من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها.

وقـيـل: إن سلـيـمان إنـما نكّر لها عرشها, وأمر بـالصرح يعمل لهـا, مـن أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنـه لا عقـل لهـا, وأن رجلهـا كحـافر حمـار, فأراد أن يعرف صحة ما قـيـل له من ذلك. وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل قوله أتَهْتَدِي أمْ تَكُونُ مِنَ الّذِين لا يَهْتَدُونَ قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20561ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابـن عبــاس نَنْظُـرْ أتَهْتَـدِي أمْ تَكُـونُ مِـنَ الّـذِينَ لا يَهْتَدُونَ قال: زيد فـي عرشها ونقص منه, لـينظر إلـى عقلها, فوُجـدت ثابتـة العقل.

20562ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أتعرفه.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: ثني ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي قال: تعرفه.
20563ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ: أي أتعقل, أم تكون من الذين لا يعقلون؟ ففعل ذلك لينظر أتعرفه, أم لا تعرفه؟

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنّا مُسْلِمِينَ }.
يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبأ سليمان, أخرج لها عرشها, فقال لها: أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ قَالت وشبهته به: كَأَنّهُ هُوَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20564ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها, ثم قال: أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ قالَتْ كأنّهُ هُوَ.
20565ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة فَلَمّا جَاءَتَ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشكِ؟ قالَتْ كأنّهُ هُوَ قال: شبهته, وكانت قد تركته خلفها.
20566ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: كان أبي يحدّثنا هذا الحديث كله, يعني حديث سليمان, وهذه المرأة فلما جاءت قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ قالَتْ كأنّهُ هُوَ شكّت.
وقوله: وأوتِينا العِلْمَ مِنْ قَبْلِها يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمان, وقال سليمان: وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا أي هذه المرأة, بالله وبقدرته على ما يشاء, وَكُنّا مُسْلِمِينَ لله من قبلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20567ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله وأُوتِينَا العِلْمَ مِنْ قَبْلِها قال: سليمان بقوله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 43

القول في تأويل قوله تعالى: {وَصَدّهَا مَا كَانَت تّعْبُدُ مِن دُونِ اللّهِ إِنّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ }.
يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ ما كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ الله, وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
20568ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَصَدّها مـا كـانَتْ تَعْبُـدُ مِـنْ دُونِ اللّـهِ قـال: كفرها بقضاء الله غير الوثن (صدّها) أن تهتدي للـحق.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد وَصَدّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دونِ اللّهِ قال: كفرها بقضاء الله, صدها أن تهتدي للـحق.

ولو قـيـل: معنى ذلك: وصـدّها سلـيــمان مـا كـانت تعبـد مـن دون اللـه, بـمعنى: منعها وحال بـينها وبـينه, كان وجها حسنا. ولو قـيـل أيضـا: وصـدّها الله ذلك بتوفـيقها للإسلام, كان أيضا وجها صحيحا.

وقوله: إنّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ يقول: إن هذه الـمرأة كانت كافرة من قوم كافرين. وكسرت الألف مـن قـولـه «إنهـا» علـى الابتـداء. ومـن تـأول قوله: وَصَدّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّهِ التأويـل الـذي تأولنـا, كـانت «مـا» من قوله ما كانَتْ تَعْبُدُ فـي موضع رفع بـالصد, لأن الـمعنى فـيه لـم يصـدها عن عبـادة الله جهلها, وأنها لا تعقل, إنــما صـدها عـن عبــادة اللـه عبــادتها الشمس والقمر, وكان ذلك من دين قومها وآبــائها, فــاتبعت فــيه آثـارهم. ومن تأوله علـى الوجهين الآخرين كانت «ما» فـي موضع نصب.

الآية : 44

القول فـي تأويــل قـولـه تعالــى: حسـر سـورة النــمل) {قِيـلَ لَهَـا ادْخُلِـي الصّرْحَ فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجّةً وَكَشَفَتْ عَنِ سَاقَيْهَا قَالَ إِنّهُ صَـرْحٌ مّمَـرّدٌ مّـن قَوارِيرَ قَالَتْ رَبّ إِنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلّـهِ رَبّ الْعَـالَمِينَ }.

ذُكر أن سلـيـمان لـما أقبلت صاحبة سبأ تريده, أمر الشياطين فبنوا له صرحا, وهو كهيئة السطح من قوارير, وأجرى من تـحته الـماء لـيختبر عقلها بذلك, وفهمها علـى نـحو الذي كانت تفعل هي مـن توجيههـا إلــيه الوصـائف والوصفـاء لـيـميز بـين الذكور منهم والإناث معاتبة بذلك كذلك.

20569ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن بعـض أهل العلـم, عن وهب بن منبه, قال: أمر سلـيـمان بـالصرح, وقد عملتـه لـه الشياطين من زجاج كأنه الـماء بـياضا, ثم أرسل الـماء تــحته, ثـم وضـع لـه فـيه سريره, فجلس علـيه, وعكفت علـيه الطير والـجنّ والإنـس, ثـم قـال: ادْخُـلِـي الصّرْحَ لِـيريها مُلكا هـو أعـزّ مـن مُلكهـا, وسـلطانا هـو أعظـم مـن سلطانها فَلَـما رأَتْـهُ حَسِـبَتْهُ لُّـجةً وكَشَـفَتْ عَـنْ ساقَـيْها لا تشـكّ أنـه مـاء تـخوضه, قـيـل لها: ادخـلـي إنه صرح مـمرّد من قوارير فلـما وقـفت علــى سلـيـمان دعاها إلـى عبـادة الله وعاتبهـا فــي عبــادتها الشـمس دون اللــه, فقالت بقول الزنادقة, فوقع سلـيـمان سـاجدا إعظامـا لــما قـالت, وسـجد معه الناس وسقط فـي يديها حين رأت سلـيـمان صـنع مـا صـنع فلــما رفـع سلـيـمان رأسه قال: ويحكِ ماذا قلت؟ قـال: وأنْسِـيت مـا قـالت:, فقـالت: رَبّ إنّــي ظَلَــمْتُ نَفْسِــي وأسْلَــمْتُ مَــعَ سُلَـيْــمانِ للــه رَبّ العالَــمِينَ وأسلـمت, فحسُن إسلامها.

وقـيـل: إن سلـيـمان إنـما أمر ببناء الصرح علـى ما وصفه الله, لأن الـجنّ خافت من سلـيـمان أن يتزوّجها, فأرادوا أن يزهدوه فـيها, فقالوا: إن رجلها رجل حمار, وإن أمها كانت من الـجنّ, فأراد سلـيـمان أن يعلــم حقــيقة مـا أخبرته الـجنّ من ذلك. ذكر من قال ذلك:

20570ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب القرظيّ, قال: قالت الجنّ لسليمان تزهّدهِ في بِلقيس: إن رجلها رجل حمار, وإن أمها كانت من الجنّ فأمر سليمان بالصرح, فعُمل, فسجن فيه دواب البحر: الحِيتان, والضفادع فلما بصرت بالصرح قالت: ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق فَحَسِبَتْهُ لُجّةً وكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قال: فإذا (هي) أحسن الناس ساقا وقدما. قال: فضنّ سليمان بساقها عن الموسى, قال: فاتّخذت النّورة بذلك السبب.

وجائز عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأمرين الذي قاله وهب, والذي قاله محمد بن كعب القرضيّ, ليختبر عقلها, وينظر إلى ساقها وقدمها, ليعرف صحة ما قيل له فيها.

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى الصرح ما:

20571ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الصرْحَ قال: بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها. قال: وكانت بلقيس هلباء شعراء, قدمها كحافر الحمار, وكانت أمها جنية.

20572ـ حدثني أحمد بن الوليد الرملي, قال: حدثنا هشام بن عمار, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن سعيد بن بشير, عن قَتادة, عن النضر بن أنس, عن بشير بن نهيك, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانَ أحَدُ أبَوَيْ صَاحِبَةِ سَبإٍ جِنّيًا».

قال: ثنا صفوان بن صالح, قال: ثنـي الوليد, عن سعيد بن بشير, عن قَتادة, عن بشير بن نهيك, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, ولم يذكر النضر بن أنس.

وقوله: فَلَما رأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجةً يقول: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت عن ساقيها لتخوضه إلى سليمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20573ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة قِيل لَهَا ادْخُلِي الصرْحَ فَلَمّا رأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجّةً قال: وكان من قوارير, وكان الماء من خلفه فحسبته لجة.

20574ـ قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله حَسِبَتْهُ لُجّةً قال: بحرا.

20575ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا ابن سوار, قال: حدثنا روح بن القاسم, عن عطاء بن السائب, عن مجاهد, في قوله: وكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها فإذا هما شعراوان, فقال: ألا شيء يذهب هذا؟ قالوا: الموسى, قال: لا, الموسى له أثر, فأمر بالنّورة فصنعت.

20576ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن عمران بن سليمان, عن عكرمة وأبي صالح قالا: لما تزوّج سليمان بلقيس قالت له: لم تمسني حديدة قطّ قال سليمان للشياطين: انظروا ما يُذهب الشعر؟ قالوا: النّورة, فكان أوّل من صنع النورة.

وقوله: إنّهُ صَرْحٌ مُمَرّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ يقول جلّ ثناؤه: قال سليمان لها: إن هذا ليس ببحر, إنه صرح ممّرد من قوارير, يقول: إنما هو بناء مبنيّ

مشيد من قوارير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20577ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, مُمَرّدَ قال: مشيد.

وقوله: قالَتْ رَبّ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وأسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ... الآية, يقول تعالى ذكره: قالت المرأة صاحبة سبأ: ربّ إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس, وسجودي لما دونك وأسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ تقول: وانقدت مع سليمان مذعنة الله بالتوحيد, مفردة له بالألوهة والربوبية دون كلّ من سواه. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

20578ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في حَسِبَتْهُ لُجّةً قال: إنّهُ صَرْحٌ مُمَرّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ فعرفت أنها قد غلبت قالَتْ رَبّ إني ظَلَمْتُ نَفْسِي, وأسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ.

الآية : 45 -46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسّيّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ أرْسَلْنا إلى ثَمُودَ أخاهُمْ صَالِحا أن اعْبُدُوا اللّهَ وَحده لا شريك له, ولا تجعلوا معه إلها غيره فإذَا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ يقول: فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون, ففريق مصدّق صالحا مؤمن به, وفريق مكذّب به كافر بما جاء به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20579ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ قال: مؤمن وكافر, قولهم صالح مرسل, وقولهم صالح ليس بمُرسل. ويعني بقوله يَخْتَصِمُونَ يختلفون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد فإذَا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ قال: مؤمن, وكافر.

وقوله: قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسّيّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه: يا قوم لأيّ شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة. كما:

20580ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسّيّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ قال: السيئة: العذاب, قبل الحسنة: قبل الرحمة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسّيّئَةِ قال بالعذاب قبل الحسنة, قال: العافية.

وقوله: لَوْلا تَسْتَغْفرُونَ اللّهَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: هلا تتوبون إلى الله من كفركم, فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم, يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة.

وقوله: لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ اطّيّرْنَا بِكَ وَبِمَن مّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح اطّيّرنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ أي تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا, وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب, فأجابهم صالح فقال لهم طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللّهِ أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه, لا يدري أيّ ذلك كائن, أما تظنون من المصائب أو المكاره, أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20581ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله قالَ طائرُكُمْ عِنْدَ اللّهِ يقول: مصائبكم.

20582ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة, قوله طائِرُكُمْ عِنْدَ اللّهِ علمكم عند الله.

وقوله: بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ يقول: بل أنتم قوم تختبرون, يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم, أتطيعونه, فتعملون بما أمركم به, فيجزيكم الجزيل من ثوابه, أم تعصونه, فتعملون بخلافه, فيحلّ بكم عقابه.

الآية : 48 -49

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ * قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللّهِ لَنُبَيّتَنّهُ وَأَهْلَهُ ثُمّ لَنَقُولَنّ لِوَلِيّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنّا لَصَادِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح, وهي حِجر ثمود, تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون, وكان إفسادهم في الأرض: كفرهم بالله, ومعصيتهم إياه, وإنما خصّ الله جلّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض, ولا يصلحون, وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين, لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة, وتعاونوا عليه, وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود. وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20583ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد تِسْعَةُ رَهْطٍ قال: من قوم صالح..

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

20584ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وكانَ فِي المَدِينَة تسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ هم الذين عقروا الناقة, وقالوا حين عقروها: نبيّت صالحًا وأهله فنقتلهم, ثم نقول لأولياء صالح: ما شهدنا من هذا شيئا, ومالنا به علم, فدمرهم الله أجمعين.

وقوله: قالُوا تَقاسَمُوا بـاللّهِ لَنُبَـيّتّنّهُ وأهْلَهُ يقول تعالـى ذكره: قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يُفسدون فـي أرض حجر ثمود, ولا يصلـحون, تقاسموا بـالله: تـحالفوا بـالله أيهـا القـوم, لـيحلف بعضـكم لبعـض: لنبـيتنّ صالـحا وأهله, فلنقتلنه, ثم لنقولنّ لولـيه: ما شهدنا مهلك أهلـه. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

20585ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسين, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد تَقاسَمُوا بـاللّهِ قال: تـحالفوا علـى إهلاكـه, فلـم يصلوا إلـيه حتـى هلكوا وقومهم أجمعون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, بنـحوه:

ويتوجه قوله تَقاسَمُوا بـالله إلـى وجهين: أحدهما النصب علـى وجه الـخبر, كأنه قـيـل: قالوا متقاسمين. وقد ذُكر أن ذلـك فـي قـراءة عبـد اللـه: «وَلا يُصْلِـحُونَ تَقاسَمُوا بـاللّهِ» ولـيس فـيها «قـالوا», فـذلك مـن قراءتـه يـدلّ علـى وجه النصب فـي «تقاسموا» علـى ما وصفت. والوجه الآخر: الـجزم, كأنهم قال بعضهم لبعض: اقسموا بـالله, فعلـى هـذا الـوجه الثانـي تصلـح قراءة لَنُبَـيّتّنّهُ بـالـياء والنون, لأن القائل لهـم تقاسـموا, وإن كـان هـو الآمـر فهو فـيـمن أقسـم, كمـا يقـال فـي الكلام: انهضـوا بنـا نـمض إلـى فلان, وانهضوا نـمضي إلـيه. وعلـى الوجه الأوّل الذي هو وجه النصب القراءة فـيه بـالنون أفصح, لأن معناه: قالوا متقاسمين لنُبـيّتنّهُ, وقد تـجوز الـياء علـى هذا الـوجه كمـا يقـال فـي الكلام: قـالوا لنكرمـنّ أبـاك, ولـيكرمنّ أبـاك, وبـالنون قرأ ذلك قرّاء الـمدينة, وعامة قرّاء البصرة وبعض الكوفـيين. وأما الأغلب علـى قرّاء أهل الكوفـة, فقراءتـه بـالـياء, وضـمّ التـاء جميعـا. وأمـا بعض الـمكيين, فقرأه بـالـياء.

وأعجب القـراءات فـي ذلـك إلـيّ النـون, لأن ذلـك أفصـح الكلام علـى الوجهين اللذين بـيّنت من النصب والـجزم, وإن كـان كـل ذلـك صـحيحا غيـر فـاسد لـما وصفت. وأكرهها إلـيّ القراءة بها الـياء, لقلة قارىء ذلك كـذلك. وقوله: لَنُبَـيّتّنّهُ قال: لـيُبَـيّتُنّ صالـحا ثم يفتكوا به.

20586ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: (قال) التسعة الذين عقروا الناقة: هلـمّ فلنقتل صالـحا, فـإن كـان صـادقا, يعنـي فـيـما وعدهم من العذاب بعد الثلاث, عجلناه قبله, وإن كان كاذبـا نكون قـد ألـحقناه بناقته. فأتوه لـيلاً لـيبـيتوه فـي أهله, فدمغتهم الـملائكة بـالـحجارة فلـما أبطئوا علـى أصـحابهم أتـوا منـزل صالـح, فوجـدوهم مشـدوخين قـد رضخوا بـالـحجارة. وقوله: وَإنّا لَصَادقُونَ نقول لولـيه: وإنا لصادقون, أنا ما شهدنا مُهلِكَ أهله.

الآية : 50 -51

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {وَمَكَـرُواْ مَكْـراً وَمَكَرْنَـا مَكْـراً وَهُـمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنّا دَمّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فـي الأرض بصالـح بـمصيرهم إلـيه لـيلاً لـيقتلوه وأهله, وصالـح لا يشـعر بـذلك وَمَكَرْنـا

مَكْرا يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم, وتعجيلنا العذاب لهم وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ بمكرنا.

وقد بيّنا فيما مضى معنى: مكر الله بمن مكر به, وما وجه ذلك, وأنه أخذه من أخذه منهم على غرّة, أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به, ومعصيته إياه, ثم إحلاله العقوبة به على غرّة وغفلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

20587ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن شمر بن عطية, عن رجل, عن عليّ, قال: المكر غدر, والغدر كفر.

20588ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَمَكَرُوا مَكْرا وَمَكَرْنا مَكْرا قال: احتالوا لأمرهم, واحتال الله لهم, مكروا بصالح مكرا, ومكرنا, ومكرنا بهم مكرا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بمكرنا وشعرنا بمكرهم, قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك, وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه, فخرجوا إلى كهف وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه, ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله, ففرغنا منهم, وقرأ قول الله تبارك وتعالى: قالُوا تَقاسَمُوا بِاللّهِ لَنُبَيّتَنّه وأهْلَهُ, ثُمّ لَنَقُولَنّ لِوَلِيّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أهْلِهِ, وإنّا لَصَادِقُونَ فبعث الله صخرة من الهَضْب حِيالَهم, فَخشُوا أن تشدَخَهم, فبادروا الغار, فَطَبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار, فلا يدري قومُهم أين هم؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم؟ فعذّب الله تبارك وتعالى هؤلاء ها هنا, وهؤلاء هنا, وأنجى الله صالحا ومن معه.

20589ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قَتادة وَمَكَرُوا مَكْرا وَمَكَرْنا مَكْرا قال: فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم.

وقوله: فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقبَةُ مَكْرِهِمْ يقول تعالى ذكره: فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح, كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذّب رسلنا, وطغى علينا من سائر الخلق, فحذر قومك من قريش, أن ينالهم بتكذيبهم إياك, ما نال ثمود بتكذّيبهم صالحا من المثلات.)

وقوله: إنّا دَمّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجمَعِينَ يقول: إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين, فلم نبقِ منهم أحدا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله «إنّا» فقرأ بكسرها عامة قرّاء الحجاز والبصرة على الابتداء, وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: أنّا دَمّرْناهُمْ بفتح الألف. وإذا فُتحت كان في أنّا وجهان من الإعراب: أحدهما الرفع على ردّها على العاقبة على الإتباع لها, والآخر النصب على الردّ على موضع كيف, لأنها في موضع نصب إن شئت, وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه, فانظر كيف كان عاقبة مكرهم؟ كان عاقبة مكرهم تدميرَنا إياهم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَةِ الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 52 -53

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوَاْ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتّقُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم, ليس فيها منهم أحد, قد أهلكهم اللّه فأبادهم بما ظلموا: يقول تعالى ذكره: بظلمهم أنفسهم, بشركهم بالله, وتكذيبهم رسولهم إنّ فِي ذلكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: إن في فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة, لعظةً لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا, من قومك الذين يكذّبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة. وأنجَيْنا الّذِينَ آمَنُوا يقول: وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به وكانُوا يَتّقُونَ يقول: وكانوا يتقون بإيمانهم, وبتصديقهم صالحا الذي حلّ بقومهم من ثمود ما حلّ بهم من عذاب الله, فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك, عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم.

وذُكر أن صالحا لما أحلّ الله بقومه ما أحلّ, خرج هو والمؤمنون به إلى الشام, فنزل رملة فلسطين.